# مجموع
# تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

## لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحبابي وجعله وقفاً لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد التاسع

سورة الأعراف

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

# مجموع

# تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

## لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعلهُ وقفًا لوالديه

ح) مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٢-٥٧-٨٣٩٧-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)



الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

# مجموع

# تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

## لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد التاسع

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير سورة الأعراف(١)

قال ابن عباسٍ: وريشًا: المال، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [٥٥]: في الدعاء، وفي غيره، ﴿عَفَواْ﴾ [٩٥]: كثروا، وكثرت أموالهم، ﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ [سبأ: ٢٦]: القاضي، ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [٨٩]: اقض بيننا، ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [١٧١]: رفعنا، ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [١٦٠]: انفجرت، ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [١٣٩]: خسرانٌ، ﴿ءَاسَىٰ﴾ [٩٣]: أحزن، ﴿تَأْسَ﴾ [المائدة: ٢٦، ٢٨]: تحزن، وقال غيره: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [١٢]: يقول: ما منعك أن تسجد، ﴿يَخْصِفَانِ﴾ [٢٢]: أخذا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق، يخصفان الورق بعضه إلى بعضٍ، ﴿سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [٢٠]: كنايةٌ عن فرجيهما، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [٢٤]: هو هاهنا إلى القيامة، والحين عند العرب من ساعةٍ إلى ما لا يحصى عددها، الرياش والريش واحدٌ، وهو ما ظهر من اللباس، ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ [٢٧]: جيله الذي هو منهم، ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [٣٨]: اجتمعوا، ومشاق الإنسان والدابة كلها يسمَّى سمومًا، واحدها سمٌّ، وهي: عيناه، ومنخراه، وفمه، وأذناه، ودبره، وإحليله، ﴿غَوَاشٍ﴾ [٤١]: ما غشوا به، (نشرًا): متفرقةً، ﴿نَكِدًا﴾ [٥٨]: قليلًا، ﴿يَغْنَوْاْ﴾ [٩٢]: يعيشوا، ﴿حَقِيقٌ﴾ [١٠٥]: حقٌّ، ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [١١٦]: من الرهبة، ﴿تَلْقَفُ﴾ [١١٧]: تلقم، ﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾ [١٣١]: حظهم، طوفانٌ من السيل، وَيقال للموت الكثير: الطوفان، ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ [١٣٣]: الحمنان، يشبه صغار الحلم، عروشٌ وعريشٌ: بناءٌ، ﴿سُقِطَ﴾ [١٤٩]: كل من ندم فقد سقط

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

في يده، الأسباط: قبائل بني إسرائيل، ﴿يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [١٦٣]: يتعدون له، يجاوزون، : تجاوز، ﴿شُرَّعًا﴾ [١٦٣]: شوارع، ﴿بَئِيسٍ﴾ [١٦٥]: شديدٍ، ﴿أَخْلَدَ﴾ [١٧٦]: قعد، وتقاعس، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [١٨٢]: نأتيهم من مأمنهم، كقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ [١٨٤]: من جنونٍ، ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [١٨٧]: متى خروجها؟ ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [١٨٩]: استمر بها الحمل، فأتمته، ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ [٢٠٠]: يستخفنك، طيفٌ: ملمٌّ: به لممٌ، ويقال: ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ [٢٠١]: وهو واحدٌ، ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ [٢٠٢]: يزينون، ﴿وَخِيفَةً﴾ [٢٠٥]: خوفًا، وخفيةً: من الإخفاء، ﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾ [٢٠٥]: واحدها أصيلٌ: وهو ما بين العصر إلى المغرب، كقوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

قوله: «**قَالَ ابْن عَبَّاسٍ: وَرِيَاشًا**»: يقال: ريشًا ورياشًا، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، ويقال: رياشًا ما يُستر به العورةُ، لباسٌ، والرياشُ ما فوق ذلك من الزينة والمال.

وقوله: (**وَقَالَ غَيْرُهُ**: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: **يَقُوْل: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ**): معناه: أنّها صلةٌ (لا) صلةٌ، العرب تسوقها من غير قصدٍ للنفيّ مثل: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]؛ يعني: ليعلم أهل الكتاب.

● **س: أَحسَنَ الله إلَيكَ: قراءة رياشًا في قراءة؟**

**قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرئَ كَذَا وَكَذَا نَعَم، لَكن الَّذي في المصحف يقرأ به ويكفي.

● **س: أحسن الله إليك: تفسير الاستدراج بأنّه يأتيه من حيث مأمنه صحيح يا شيخ؟**

**قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني على غرّةٍ يستدرجهم يأخذهم على غرّةٍ، حيث يظنّون أنّهم آمنون، نسأل الله العافية، بسبب كفرهم وضلالهم يستدرجون، نسأل الله العافية.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [**الأعراف**: ١ ـ ٣][(١)].

قد تقدم الكلام في أول «سورة البقرة» على ما يتعلَّق بالحروف وبسطه، واختلاف الناس فيه.

وقال ابن جرير: حدثنا سفيان بن وَكِيع، حدثنا أبي، عن شَرِيك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ أنا الله أفصل، وكذا قال سعيد بن جُبَير.

قوله ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: هذا كتاب أنزل إليك؛ أي: من ربك، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ قال مجاهد، وعطاء وقتادة والسُّدِّي: شَكٌّ منه.

وقيل: لا تتحرَّج به في إبلاغه والإنذار به واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل؛ ولهذا قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾؛ أي: أنزل إليك لتنذر به الكافرين، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾، ثم قال تعالى مخاطبًا للعالم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كلّ شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾؛ أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٧ ـ ٤ ـ ١٤١٥هـ.

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله، صلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، **أما بعد**: فالحروف المقطعة تقدَّم الكلام عليها كما قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]، وقد تنازع الناس في معناها، فقال قوم: إنها دلالة على أن هذا الكتاب العظيم الذي فيه الهدى والنور كله مركب من هذه الحروف التي يعرفها العرب ويتكلمون بها، فجاءت بهذا الكتاب العظيم المعجز إلى يوم القيامة، يبيِّن لهم طريق الهدى، ويحذرهم من طريق الشقاء.

وقال آخرون: إنها تشير إلى أشياء من أسماء الله، الألف تشير إلى الله، واللام إلى اللطيف، والميم إلى الملك، إلى غير ذلك. وقال آخرون: إنها لا يعرف معناها؛ بل هي من المتشابه الذي يوكل علمه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو سبحانه أعلم لِمَ أنزل هذه الحروف المقطعة: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١]، ﴿الٓر﴾ [البقرة: ١]، ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد: ١]، ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]، ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١]، إلى غير ذلك. فهي حروف أنزلها الله هكذا، وله الحكمة البالغة في ذلك، يحتمل أن ذلك لبيان أن هذا القرآن المعجز تكوَّن من هذه الحروف، ويحتمل أنها لمعاني أخرى. والأقرب أن يقال في ذلك: الله أعلم بمراده منها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنزلها وهو أعلم سبحانه بمراده منها جَلَّ وَعَلَا، وجعلها أسماءً للسور تعرف بها السور، وهو الحكيم العليم فيما يتكلم به وفيما يقضيه ويقوم به، وفي كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

القرآن الكريم أنزل تذكرة للمؤمنين ولإنذار غيرهم.

والمقصود أن هذا الكتاب العظيم الذي هو مكوَّن من هذه الحروف

فيه الهدى والنور فيه الدلالة على كل خير، وفيه الدعوة إلى كل ما فيه السعادة والنجاة، ولهذا قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ يعني: كتاب عظيم منزل من الله، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾؛ بل عليك أن تؤمن به وأن تبلغه الناس بانشراح الصدر واليقين والإيمان بأنه كلام ربك، ولهذا قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾، فهو أنزل للذكرى والإنذار والتبشير والهداية والتبصير، أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام، كما في الآية الأخرى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

فالله جعله صراطًا مستقيمًا، وجعله هداية وبشارة ونذارة لجميع الثقلين الجن والإنس، فمن تدبره وتعقله وعمل به فهو السعيد، ومن أعرض عنه فهو الهالك الشقي، وهو أعظم كتاب وأصدق كتاب، وهو خاتم الكتب المنزلة من الله ﷻ، على أشرف نبي وأفضل نبي وعلى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام. فجدير بكل مكلف ولا سيما أهل الإيمان التعقل والتدبر لهذا الكتاب العظيم والفرح به العظيم والعناية بتدبر معانيه، والعناية بالعمل بذلك، والعناية بالتبليغ والإنذار بهذا الكتاب العظيم، فهو بشير ونذير، وهو هدًى للناس، وهو شفاء لما في الصدور، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٦، ٧٧]. فالواجب اعتقاد ما بيَّنه الله من كونه منزلًا من عنده، وأنه كلامه سبحانه، والواجب العمل به قولًا وعملًا وعقيدة في جميع الأحوال، في الشدة والرخاء، في السر والعلانية، أينما كان العبد حسب الطاقة والقدرة، وفي ذلك السعادة والنجاة، وفي ذلك عظيم الأجور وجزيل الثواب لمن اتبعه واستقام عليه ودعا إليه..

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٤ ـ ٧][1].

يقول تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾؛ أي: بمخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خِزْيُ الدنيا موصولًا بذُلِّ الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

وقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾؛ أي: فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿بَيَٰتًا﴾؛ أي: ليلًا ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾ من القيلولة، وهي: الاستراحة وسط النهار. وكلا الوقتين وقت غَفْلة ولَهْو كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨]. وقال: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ ـ ٤٧].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله تحذير من الغفلة والإعراض، فيصيب من أعرض وغفل ما أصاب الأولين. وقصة قوم نوح وقصة قوم هود وقصة قوم صالح وقصة قوم لوط وقصة قوم شعيب كلها مكررة في القرآن الكريم، فيها عظة، كانوا أممًا قائمة فأنزل الله بها بأسه فهلكوا عن آخرهم؛ بسبب إعراضهم وكفرهم وتكذيبهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهكذا ما أصاب فرعون

وقومه من الهلاك في ساعة واحدة في البحر، لعتوهم وطغيانهم واستكبارهم عن الحق. فالعاقل له عبرة، وله إنارة في هذه الأشياء التي يسمعها ويقرؤها. والله عَزَّ وَجَلَّ هو أحكم الحاكمين، فإنما يأخذ من يأخذ لكفره وإعراضه وظلمه لنفسه، فليحذر كل عاقل أن يصيبه ما أصاب أولئك من أن يؤخذ على غرة وعلى غفلة بسبب إعراضه عن الحق واستكباره عن الهدى. ومن أعظم العقوبات: أن يصاب في قلبه بالقسوة والإعراض والغفلة حتى لا يقبل الحق، وحتى لا يريده ولا يطلبه، فينزل به أمر الله وهو على ذلك في إعراض وغفلة وسكرة بالشهوات والمعاصي، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤﴾، يعني: احذروا أيها الأمة! احذروا يا أمة محمد ﷺ! أن يصيبكم ما أصاب أولئك. فالعاقل يتعظ ويتذكر، فأولئك قوم كانت لهم سيادة وقوة وأخذ وعطاء وسلطان فما أغنى عنهم ذلك شيء، لما نزل بهم أمر الله صاروا كأمس الذاهب. فليحذر العاقل أن يغتر بقوة أو مال أو جاه أو سلطان أو غير ذلك مما اغتر به الأولون فيحمله ذلك على التكذيب والإنكار للحق، أو التقاعس والاستكبار عن العمل به، فيصيبه ما أصاب أولئك الهالكين الضالين.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا

ظَٰلِمِينَ﴿٥﴾﴾؛ أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا. كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٥]

وقال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله: «**ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم**»، حدثنا بذلك ابن حُمَيْد، حدثنا جرير، عن أبي سِنان، عن عبد الملك بن مَيْسَرة الزرّاد قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم**»(١). قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذاك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴿٥﴾﴾.

وقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴿٦﴾﴾ الآية، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] فالرَّبُّ تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضًا عن إبلاغ رسالاته؛ ولهذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴿٦﴾﴾ قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا.

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أبو سعيد الكِنْدي، حدثنا

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف الآية ٥..

المُحاربي، عن لَيْث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ـ قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: ـ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

الإمام يسأل عن رعيته، والرجل يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده، قال الليث: وحدثني ابن طاوس مثله، ثم قرأ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾، وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحين بدون هذه الزيادة.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا مثل قوله ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، فالأمم مسئولة هل بلَّغتها الرسل، والرسل مسئولون هل بلَّغوا، فيقول الرسل: إنهم بلَّغوا، والأمم تقول: إنها بُلِّغت، ولكن غلب عليها الشقاء والهوى. نعم، نسأل الله العافية. نعم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! الشيخ: ولهذا قال ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ٨ ـ ١١]، نسأل الله العافية.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! قوم يونس ألم يرفع عنهم العذاب بعد معاينتهم له؟

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٥٦).

**الشيخ**: هذا مستثنون، أقول: جاء النص باستثنائهم. الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن عباس: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾، يعني: أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا، من قليل وكثير، وجليل وحَقِير؛ لأنه تعالى شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يغفل عن شيء؛ بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

*

**تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ **[الأعراف: ٨، ٩]**[(١)].

يقول [تبارك وتعالى]: ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾؛ أي: للأعمال يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: لا يظلم تعالى أحدًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

---

(١) تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣].

## فصل

والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا.

قال البغوي: يروى نحو هذا عن ابن عباس(١) كما جاء في الصحيح: «من أن «البقرة» و«آل عمران» يأتيان يوم القيامة **كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**»(٢)، من ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللَّون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك وفي حديث البراء، في قصة سؤال القبر: «**فيأتي المؤمن شابٌّ حسن اللون طيّب الريح، فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**»(٣). وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق.

وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة، «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ**

---

(١) رواه البغوي معلقًا عن ابن عباس ﵄ بنحوه. معالم التنزيل (٢/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧).

**بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ؟ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»**. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه(١).

وقيل: يوزن صاحب العمل، كما في الحديث: **«إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ اقْرَءُوا:** ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥]»(٢).

وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«مِمَّ تَضْحَكُونَ»**. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»**(٣).

وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

الأدلة في هذا كلها دالة على أن هذا يقع كله، توزن الأعمال وعاملها والكتب، فليس هناك ما يمنع هذا ولا هذا ولا هذا، ولكن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلـه الا الله برقم (٣٦٣٩)، وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بنحوه، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٥٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الآيَةَ برقم (٤٧٢٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٢٠).

المعوَّل على العمل، فمن صلح عمله ثقل ميزانه، ومن فسد عمله خف ميزانه، فلهذا يقول ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. فأعمال العباد هي التي عليها المعوَّل، وهي المكتوبة، من ثقلت موازينه بالعمل الصالح فهو السعيد الناجي، ومن خفَّت موازينه بأعماله السيئة فهو الهالك، وظاهر النصوص أن جميع الأعمال توزن، المؤمن وغير المؤمن، الكفار والمؤمنون كلهم توزن أعمالهم، فالمؤمن يثقل ميزانه والكافر يخف ميزانه، وليس هناك منافاة بين النصوص.

**الأسئلة:**

**معنى قول ابن كثير: قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه:**

● **س: أحسن الله إليك! قوله: ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه؟**

○ **الجواب**: الصحيح غير القرآن، صاحبه يعني: الشخص، يأتيه في صورة شاب شاحب يقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك.

**مداخلة**: في الصحيحين؟

**الشيخ**: نعم؟ ماذا عندك من علَّق عليه؟

**الشيخ**: وعمله الصالح يأتيه في قبره، ويوضع في الميزان أيضًا، يأتيه في قبره في صورة رجل حسن المنظر، فيقول: «**من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير، يقول: أنا عملك الصالح. وعمله السيئ يأتيه في صورة رجل قبيح المنظر، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك السيئ، فيقول: فوجهك الوجه الذي يأتي بالشر**».

المقصود: أن هذا يقع وهذا يقع وهذا يقع، نسأل الله السلامة والعافية.

**● س: ما جاء أن الكافر إذا له حسنات أنهم يقروا على أعمالهم ثم يساقوا إلى النار سَوقًا؟**

○ **الجواب**: هذا ذكره الشيخ تقي الدين في الواسطية، ولكن ظاهر النصوص أن أعمالهم توزن، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ ـ ١٠٥]، دلَّ على أنها توزن أعمالهم وهم كفار. وقول الشيخ تقي الدين في الواسطية فيه نظر، قوله: وأما الكفار فلا توزن أعمالهم كما جاء في الحسنات والسيئات ولكن تجمع أعمالهم إلى آخره، ظاهر الأدلة خلاف ذلك.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! لكن إذا كان الكافر ليس له حسنات.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم؟

**مداخلة**: ليس له حسنات الكافر، فحسناته يجازى بها في الدنيا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، لكن توضع حسناته التي عملها في الدنيا من صدقات ومن صلة رحم وبر والدين.. إكرام ضيف، إلى غير ذلك، لكنها لا تنفع؛ لأنها حابطة باطلة بالشرك. نسأل الله العافية.

**الحكم على حديث البطاقة:**

**● س: أحسن الله إليك! حديث البطاقة صحيح؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا بأس به، إسناده جيد، رواه أحمد وجماعة، والترمذي وجماعة.

• **س: أحسن الله إليك! الكفار ما يتفاوت عذابهم؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

**مداخلة**: هم يتفاوتون بالعذاب؟ ما يؤيد هذا أنه توزن أعمالهم؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بلى، الكفار يتفاوت عذابهم، والمؤمنون يتفاوت نعيمهم، كلهم، نعيم المؤمنين يتفاوت وعذاب الكفار يتفاوت، ليسوا على حد سواء، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ **[الأعراف: ١٠]**(١).

يقول تعالى ممتنًّا على عبيده فيما مكَّن لهم من أنه جَعَل الأرض قرارًا، وجعل لها رواسي وأنهارًا، وجعل لهم فيها منازل وبيوتًا، وأباح منافعها، وسَخَّر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها، وجعل لهم فيها معايش؛ أي: مكاسب وأسبابًا يتَّجرون فيها، ويتسبَّبون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقد قرأ الجميع: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بلا همز، إلا عبد الرحمٰن بن هُرْمُز الأعرج فإنه همزها. والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز؛ لأن معايش جمع معيشة، من عاش يعيش عيشًا، ومعيشة أصلها «مَعْيِشَة»

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأحد ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

فاستثقلت الكسرة على الياء، فنقلت إلى العين فصارت مَعِيشة، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال، فقيل: معايش. ووزنه مفاعل؛ لأن الياء أصلية في الكلمة. بخلاف مدائن وصحائف وبصائر، جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من: مدن وصحف وأبصر، فإن الياء فيها زائدة، ولهذا تجمع على فعائل، وتهمز لذلك، والله أعلم.

*

**❏ تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١][1].

ينبِّه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، ويبيِّن لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية [الحجر: ٢٨ ـ ٣٠]، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام، بيده من طين لازب، وصوَّره بشرًا سويًّا ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لشأن الرب تعالى وجلاله، فسمعوا كلهم وأطاعوا، إلا إبليس لم يكن من الساجدين. وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير «سورة البقرة».

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير: أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام.

وقال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ قال: «خُلِقوا في أصلاب الرجال، وصُوِّروا في أرحام النساء»[١] رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ونقله ابن جرير عن بعض السلف أيضًا: أن المراد بخلقناكم ثم صوَّرناكم: الذرية.

وقال الربيع بن أنس، والسُّدي، وقتادة، والضحاك في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾؛ أي: خلقنا آدم ثم صوَّرنا الذرية.

وهذا فيه نظر؛ لأنه قال بعده: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ فدل على أن المراد بذلك آدم، وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر، كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، والمراد: آباؤهم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام، ولكن لما كان ذلك مِنَّةً على الآباء الذين هم أصلٌ صار كأنه واقع على الأبناء. وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٣] فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة، وصح هذا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس، لا معيَّنًا، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا الذي قاله المؤلف هو الحق ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف برقم (٣٢٨١)، ووافقه الذهبي ج ٤ ط دار الميمان.

يعني: آدم، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾، الله خلق آدم وصوَّره وأسجد له الملائكة، والذرية بعد ذلك، وبداية السجدة تفصيل للمقام، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] هذا آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٣] هذه ذريته، ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] جنس بني آدم. فأبوهم من طين، ثم هم سُلسِلوا من ماء مهين، من ذرية آدم وحواء ومن بعدهم كلهم من ماء مهين، وهو القادر ﷻ، وهو الحكيم العليم ﷻ. كلها آيات وكلها دلائل على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه المستحق لأن يعبد ﷻ. هذا الإنسان العاقل المتكلم له الأفكار العظيمة والنيات والعزائم الكثيرة هذا أصله طين، ثم الذرية كلها من ماء مهين، معروف يعرفه الناس كلهم، ماء مهين، هذا الماء ماء المني من الرجل والمرأة، ماء ضعيف ثم يتطور، ماء المني إلى علقة إلى مضغة، ثم يصور عظام وعروق ولحم وغير ذلك، هذه كلها آيات من آيات الله، كلها دالة على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه المستحق لأن يُعبد ﷻ، الله المستعان.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ **[الأعراف: ١٢]**(١).

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ لا هاهنا زائدة.

وقال بعضهم: زيدت لتأكيد الجحد، كقول الشاعر:

**ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ الليلي.

فأدخل «إن» وهي للنفي، على «ما» النافية؛ لتأكيد النفي، قالوا: وكذلك هاهنا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ مع تقدم قوله: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ حكاهما ابن جرير وردهما، واختار أن «منعك» تضمن معنى فعل آخر تقديره: ما أحوجك وألزمك واضطرك ألا تسجد إذ أمرتك، ونحو ذلك. وهذا القول قوي حسن، والله أعلم.

وقول إبليس لعنه الله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢] فشذ من بين الملائكة بتَرْك السجود؛ فلهذا أبلس من الرحمة؛ أي: أيس من الرحمة، فأخطأ قَبَّحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح. والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة؛ ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره في الرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة.

**مداخلة**: أي: أيس من الرحمة؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أي: أيس من الرحمة؟

**الشيخ**: أوس.

**مداخلة**: بالياء عندنا؛ أي: أيس من الرحمة؟

**الشيخ**: لا منافاة، يصلح، يعني: أيسه الله، أو أيس لعله أخبر الله عنه لا يرحم وأنه إلى النار. نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي صحيح مسلم، عن عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**» هكذا رواه مسلم(١).

وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل، عن عبد الله بن مسعود، حدثنا نُعَيم ابن حماد، حدثنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن عُرْوَة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله الملائكة من نور العرش، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِفَ لكم**». قلت لنعيم بن حماد: أين سمعت هذا من عبد الرزاق؟ قال: باليمن(٢). وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح: «**وخلقت الحور العين من الزعفران**».

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا محمد بن كثير، عن ابن شَوْذَب، عن مطر الوَرَّاق، عن الحسن في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ قال: قاس إبليس، وهو أول من قاس. إسناده صحيح.

وقال: حدثني عمرو بن مالك، حدثني يحيى بن سليم الطائفي عن هشام، عن ابن سيرين قال: أول من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. إسناد صحيح أيضًا.

*

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦).
(٢) المصدر السابق بدون هذه الزيادة.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣ ـ ١٥][1].

يقول تعالى مخاطبًا لإبليس بأمر قدري كوني: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾؛ أي: بسبب عصيانك لأمري، وخروجك عن طاعتي، فما يكون لك أن تتكبر فيها.

قال كثير من المفسرين: الضمير عائد إلى الجنة، ويحتمل أن يكون عائدًا إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى.

﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾؛ أي: الذليلين الحقيرين، معاملة له بنقيض قصده، مكافأة لمراده بضده، فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة إلى يوم الدين.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الآية واضحة في أن مراد الهبوط من الجنة، القول الثاني ليس بشيء، المقصود إخراجه من الجنة، ولهذا قال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الحجر: ٣٤]، فالله ﷻ لما تكبر هذا الخبيث وأبى السجود أمره بالخروج والهبوط من الجنة، وأبعده، ولعنه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ أجابه تعالى إلى ما سأل، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع، ولا مُعَقِّبَ لحكمه، وهو سريع الحساب.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١١ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا ابتلاء وامتحان للأمة، ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾ هذا مقدر أن يقول هذا، مقدر عليه أن يقول هذا، ومقدر أن يقال له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾، كله بقدر ومشيئة وحكمة بالغة، حتى يعلم الله من يتابع الهوى والشيطان ممن يتابع الحق والهدى، علمًا ظاهرًا، هو يعلم كل شيء، لكن اللي يعلمه علمًا ظاهرًا في الوجود، كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، حتى نعلم علمًا ظاهرًا بين الناس في الوجود، هو يعلم الشقي من السعيد قبل أن يوجد، لكن المقصود العلم الظاهري بين الناس، فابتلاهم بالشيطان والهوى وحزب الشيطان، ليظهر ظاهرًا، ويعلم علمًا ظاهرًا من يستجيب للحق، ويتابع الهدى، ويحذر الهوى والشيطان، ممن يميل إلى هواه، ويتابع شيطانه، ويعصي مولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل شيء بقدر، لكن لهذه أسباب، ولهذه أسباب.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ **[الأعراف: ١٦، ١٧]**[1].

يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ واستوثق إبليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: كما أغويتني.

قال ابن عباس: كما أضللتني. وقال غيره: كما أهلكتني لأقعدن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١١ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

لعبادك ـ الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه ـ على ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: طريق الحق وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الباء باء سببية ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ يعني: بأسباب إغوائك إياي، ما مصدرية، والباء باء سببية، ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾، فبإغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعض النحاة: الباء هاهنا قسمية، كأنه يقول: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم.

قال مجاهد: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾، يعني: الحق.

وقال محمد بن سوقة، عن عون بن عبد الله: يعني طريق مكة.

قال ابن جرير: والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك كله.

قلت: لما روى الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عَقِيل يعني الثقفي عبد الله بن عقيل، حدثنا موسى بن المسيب، أخبرني سالم بن أبي الجَعْد عن سَبْرَة بن أبي فَاكِه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلَام فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ قَالَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ. وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ**»(١). فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ**

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد برقم (٣١٣٤)، والإمام أحمد (٣/ ٤٨٣).

**مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»**(١)

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الصواب: صراطه المستقيم هو دينه، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، المقصود الدين، نعم، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾، يعني: ألزمن هذا الشيء ويكون شغلي الشاغل هو إضلالهم، وإشقاؤهم، والسعي في أسباب هلاكهم، فالموفقون يعصونه، ويخالفون أهواءهم الباطلة، ويخشون مولاهم، وهم الأقلُّون، والأكثرون يتَّبعون ذلك الشيطان، ويتبعون أهوائهم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ: ٢٠]، قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ قاله ظنًّا لما يعلمه من حال الناس؛ لأنه جرَّب آدم وجرب حواء، فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ﴾ قاله ظنًّا فوقع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ولما ذكر قصة نوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب بعد كل قصة يقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغبهم في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٨٣).

دنياهم ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أشهي لهم المعاصي.

وقال علي بن طلحة ـ في رواية ـ والعَوْفي، كلاهما عن ابن عباس: أما ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فمن قبل دنياهم، وأما ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فأمر آخرتهم، وأما ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ فمن قِبَل حسناتهم، وأما ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فمن قبل سيئاتهم.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة: أتاهم ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من أمر الدنيا فزيَّنها لهم ودعاهم إليها و﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم بَطَّاهم عنها ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها، وأمرهم بها. آتاك يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

وكذا رُوي عن إبراهيم النَّخَعي، والحكم بن عتيبة والسدي، وابن جرير إلا أنهم قالوا: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الدنيا ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآخرة.

وقال مجاهد: «من بين أيديهم وعن أيمانهم»: حيث يبصرون، «ومن خلفهم وعن شمائلهم»: حيث لا يبصرون.

واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر، فالخير يصدهم عنه، والشر يُحببه لهم.

وقال الحكم بن أبان، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ ولم يقل: من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الصواب، المقصود أنه يثبطهم عن الخير من كل الوجوه، أمام وخلف ويمين وشمال، يثبطهم عن الخير، ويدعوهم إلى الشر، من جميع الطرق، وهذا هو الواقع، هذا هو واقع الخبيث الشياطين، تزيين

الباطل من جميع الوجوه، وتثبيط عن الحق من جميع الوجوه، ولكن رحمة الله فوق ذلك، من رحمه الله ووقاه شره فهو السالم الناجي.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال: موحدين.

وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهُّم، وقد وافق في هذا الواقع، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ**﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١].

ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلُّط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده:

حدثنا نَصْر بن علي، حدثنا عمرو بن مُجَمِّع، عن يونس بن خَبَّاب، عن ابن جُبَيْر بن مُطْعِم - يعني نافع بن جبير - عن ابن عباس - وحدثنا عمر بن الخطاب - يعني السجستاني - حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أُنَيْسَةَ، عن يونس بن خباب - عن ابن جبير بن مطعم - عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**». تفرد به البزار وحسنه(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول أذا أصبح برقم (٥٠٧٤)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل اذا أصبح واذا أمسى برقم (٣٨٧١)، والإمام أحمد (٢/ ٢٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري، حدثني جُبَير بن أبي سليمان ابن جبير بن مطعم، سمعت عبد الله بن عمر يقول: لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي: «**اللَّهُمَّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استر عوراتي، وآمن رَوْعاتي، اللَّهُمَّ احفظني من بين يديّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فَوْقِي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**». قال وكيع: يعني الخسف.

ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والحاكم من حديث عبادة بن مسلم. وقال الحاكم: صحيح الإسناد(١).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يوجب الحذر، يوجب للعاقل الحذر دائمًا دائمًا، ما دام الأكثرون صدَّقوه وتابعوه، وغلب عليهم أمره، فاحذر أن تكون منهم، جاهد نفسك ليلًا ونهارًا وجميع أحوالك أن لا تقع فيما وقع فيه الأكثرون، من طاعة الشيطان في فعل المعاصي، أو ترك الواجبات، أو ترك المستحبات أيضًا؛ لأنه حريص حتى في ترك المستحبات، ما يحب أن يكثر الأجر، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المعنى: أن الشيطان يقعد لهم مقاعد عديدة للصد، أعظمها وأخطرها صدهم عن التوحيد، هذا أكبر شيء، وإيقاعهم في الشرك سواءً أكبر أو أصغر، فإن عجز ووفَّق الله العبد ودخل في التوحيد والإيمان حرص على أن يوقعه في البدعة؛ لأنه أعظم شيء بعد الشرك البدع، وإيجاد ما لم يشرعه من العبادات، فإن غلبه المؤمن وترك البدع جلس له في طريق الكبائر يزين له اتباع الهوى في الغيبة، في النميمة، في الربا، في الزنا، في العقوق.. إلى غير هذا

(١) المصدر السابق.

من الكبائر، فإن غلبه وسلم من الكبائر انتقل معه إلى الصغائر، صغائر الذنوب، ومحقرات الذنوب، المرتبة الرابعة، فإن غلبه ووقاه الله شر الذنوب انتقل معه إلى مرتبة خامسة، وهي إيقاعه في المكروهات والمشتبهات، حتى يتعبه، وحتى يثقل عليه طريق الخير، فإن وقاه الله المكروهات والمشتبهات ضعف الشيطان في ذلك، انتقل معه إلى درجة سادسة، وهو أن يثبطه عن الأفضل للمفضول، كل عمل أفضل يثبطه عنه حتى يشغله عنه بالمفضول، يشغله عن الأفضل من الأعمال بالمفضول، مثل يقول: ليش تروح تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله، صل الصلوات، وأكثر من الصلاة ما يحتاج تروح تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تروح تطلب العلم، اجتهد صل، عليك بالصلوات، اجلس في البيت، اجلس في المصلى أذكر الله، لا ما يحتاج تروح تطلب العلم، ولا تأمر بمعروف، ولا تنهى عن منكر، فيشغله بمفضول عن أفضل، وهكذا في أنواع المفضولات مع الأفضل، فإن عجز ووفق العبد حتى اشتغل بالأفضل، وقدم الأفضل على المفضول انتقل إلى المرتبة السابعة، وهو تسليط الناس عليه حتى يشغلوه، وحتى يؤذوه، وحتى يثبطوه، حتى يعوِّقوه لفعل كل ما يستطيع، مرتبة سابعة، وهو تحريك الناس للإيذاء، والصد عن الحق والتثبيط.. إلى غير هذا من أسباب التعويق، أظنه ذكر هذا في البدائع، يحتمل أنه ذكره...، المقصود أن هذه الذي ذكرها ابن القيم كلها صحيحة، كلها حق، الشيطان حريص، كل ما يضر العبد، فإن طمع بالشرك أو البدعة أو الكبيرة، وإلا رضي بالصغائر المرتبة الرابعة، فإن عجز عن الصغائر رضي بالمكروهات والمشتبهات، فإن عجز عن هذه المرتبة انتقل للسادسة إشغاله بالمفضول عن الفاضل، بالمباح عن العبادة، حتى تقل حسناته، فإن عجز عن الست اشتغل في السابعة وهي تسليط الناس عليه حتى يثبطوه، حتى يشغلوه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ **[الأعراف: ١٨]**(١).

أكد تعالى اللعنة عليه والطرد والإبعاد والنفي عن محل الملأ الأعلى بقوله: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأيضًا من فوقه تقع الصواعق، وتقع ما يقع من قطع الثلج والعقوبات الأخرى المنوعة تقع من فوقه، نسأل الله السلامة.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: أما «المذؤُوم» فهو المعيب، والذّأم غير مشدَّد: العيب. يقال: «ذأمه يذأمه ذأما فهو مذءوم». ويتركون الهمز فيقولون: «ذمْته أذيمه ذيمًا وذَامًا، والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم».

قال: «والمدحور»: المُقْصَى. وهو المبعد المطرود.

**الشيخ**: والذأم نعم بالهمزة يعني، ، بخلاف الذم، الذم المشدد غير، الذأم، والذأم بالهمزة.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ما نعرف المذءوم و«المذموم» إلا واحدًا.

وقال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ قال: مقيتًا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: صغيرًا مقيتًا. وقال

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١١ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

السدي: مقيتا مطرودًا. وقال قتادة: لعينًا مقيتًا. وقال مجاهد: منفيًّا مطرودًا. وقال الربيع بن أنس: مذؤومًا: منفيًا، والمدحور: المصغر.

وقوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ كقوله: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٣ ـ ٦٥].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة اللَّهُمَّ صلِّ، على محمد، الله المستعان، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعوذ بالله من شره، أعوذ بالله من مكائده.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ **[الأعراف: ١٩ ـ ٢١]**[(١)].

يذكر تعالى أنه أباح لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة. وقد تقدم الكلام على ذلك في «سورة البقرة»، فعند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليُسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذبًا وافتراء: ما نهاكما ربكما عن أكل الشجرة إلا لتكونا ملَكين، أي: لئلا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٨ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

تكونا ملكين، أو خالدين هاهنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما كقوله: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] أي: لئلا تكونا ملكين، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا، ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] أي: لئلا تميد بكم.

وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ بكسر اللام. وقرأه الجمهور بفتحها.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾؛ أي: حلف لهما بالله: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ فإني من قَبْلكما هاهنا، وأعلم بهذا المكان، وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين، كما قال خالد بن زهير، ابن عم أبي ذؤيب:

**وقاسَمَها بالله جَهْدًا لأنتمُ ... ألذّ من السلوى إذ ما نشورها**

أي: حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله، فقال: إني خُلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما. وكان بعض أهل العلم يقول: «من خادعنا بالله انخدعنا له».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أنه كما قال الله: زين لهما الأمر، وكذب عليهما أن هذا الأكل يسبب الخلد في الجنة، والمُلك الذي لا يبلى؛ لأن تكونا بمنزلة الملائكة، ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾، فخدعهما بهذا، وظنَّا صدقه فيما زين لهما، فلهذا وقعا فيما وقعا فيه، فأكلا من الشجرة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أباح لهما جميع ما في الجنة من أنواع النعيم، إلا هذه الشجرة ابتلاءً وامتحانًا، هو سبحانه يعلم أن هذا قد يقع، لكن المقصود البيان التحذير من أعداء الله، وكذلك التثبت من الناصحين، فقد ينصح وهو عدو، فالواجب التثبت حتى لا تقبل إلا ما ظهر صحته، وظهرت لك منفعته، من الناصحين، فكم من ناصح كذوب حسود، ولكن المؤمن

يحذر يتباعد عن أسباب الشر، ويتهم الناصح إذا لم يعلم صدقه ولم يأمنه، حتى يكون على بينة.

**الأسئلة:**

• **س: أحسن الله إليك! هل يفهم من الآية أن الملائكة أفضل من بني آدم؟.**

○ **الجواب:** قد يفهم منها هذا ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ يعني: يحصل لكم وصف الملائكة، ولكن الصحيح عند أهل السُّنَّة والجماعة: أن صالح الإنس أفضل من الملائكة؛ لأن الإنس كلفوا وامتحنوا بالشهوة، والشيطان، فصالحهم أفضل من الملائكة، واحتجوا بحديث رواه الدارمي رحمه الله في الرد على بشر المريسي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله عز وجل: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان**»، يعني: لا أجعلهما سواء؛ بل أفضل هؤلاء لما حصل لأبيهما من الخلق بيد الله؛ ولما ابتلاهما به من الشهوة والشيطان، فهما على خطر، بخلاف الملائكة؛ فإنهم أعطوا عقولًا وسلموا من أسباب الشهوة.

• **س: أحسن الله إليك! ما يروى مرفوعًا هذا من خدعنا بالله انخدعنا له؟**

○ **الجواب:** والمعنى أن المنخدع نحسب أنه صادق، ما هو معنى أنه عرفوا خداعه، لا، قد يخدع المؤمن بالله من باب النصيحة فيحسب أن الناصح صادق أو مصيب، فتقع المصيبة.

• **س: يكون الأصل في الناس إحسان الظن بهم؟**

○ **الجواب:** ولا سيما إذا كانوا من أهل الخير، ومن المعروفين بالنصح لك، ولا تتهمهما، فالأصل فيهما الخير إذا كانا معروفين بالصفات الحميدة، وإلا فالإنسان أصله الظلم والجهل، ﴿إِنَّ

ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، الأصل فيه ضد العدالة، إلا من استقام على الشريعة، وهم الأقل.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الأعراف: ٢٢، ٢٣]**(١).

قال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: كان آدم رجلًا طُوَالًا كأنه نخلة سَحُوق، كثير شعر الرأس. فلما وقع بما وقع به من الخطيئة، بَدَتْ له عورته عند ذلك، وكان لا يراها. فانطلق هاربًا في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني. فقالت: إني غير مرسلتك. فناداه ربه عز وجل: **«يا آدم، أمنّي تفر؟ قال: رب إني استحييتك»**(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا أيضًا من أخبار بني إسرائيل؛ لأن ابن عباس لم يعزوه إلى النبي ﷺ، فالحاصل أنها مبهمة لم يبينها الرب عز وجل هذه الشجرة

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٨ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة برقم (٣٠٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

مبهمة، فأكلا منها فحصل لهما ما يحصل لابن آدم في الدنيا إذا أكل الطعام.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد رواه ابن جرير، وابن مَرْدُويه من طُرُق، عن الحسن، عن أبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ، والموقوف أصحّ إسنادًا.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك، عن الحسن بن عمارة، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، السنبلة. فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما، وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ وَرقَ التين، يلزقان بعضه إلى بعض. فانطلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، موليًا في الجنة، فعلقت برأسه شجرة من الجنة، فناداه: «**يا آدم، أمنّي تفر؟ قال: رب إني استحييتك يا رب**». قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة، عما حرَّمت عليك. قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدًا يحلف بك كاذبًا. قال: وهو قوله ﷻ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كَدًّا. قال: فأهبط من الجنة، وكانا يأكلان منها رَغَدًا، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب، فعُلِّم صنعة الحديد، وأُمِر بالحرث، فحرث وزرع ثم سقى، حتى إذا بلغ حصد، ثم داسه، ثم ذَرّاه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ. وقال الثوري، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قال: ورق التين. صحيح إليه.

وقال مجاهد: جعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة كهيئة الثوب.

وقال وَهْب بن مُنَبِّه في قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ قال: كان لباس آدم وحواء نورًا على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا. فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما. رواه ابن جرير بإسناد صحيح إليه.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما نقل عن مجاهد وقال: إنه صحيح إليه يكون أخذه من بني إسرائيل؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا هو الأصل.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة قال: قال آدم: أي رب، أرأيت إن تبت واستغفرت؟ قال: إذًا أدخلك الجنة. وأما إبليس فلم يسأله التوبة، وسأله النظرة، فأعطي كل واحد منهما الذي سأله.

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا عَبَّاد بن العَوَّام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها. قال: حواء أمرَتني. قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كَرْهًا، ولا تضع إلا كَرْهًا. قال: فرنَّت عند ذلك حواء. فقيل لها: الرنة عليك وعلى ولدك.

وقال الضحاك بن مُزَاحِم في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه عَجَّلَ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥](١).

قيل: المراد بالخطاب في ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ آدم، وحواء، وإبليس، والحية. ومنهم من لم يذكر الحية، والله أعلم.

والعمدة في العداوة آدم وإبليس؛ ولهذا قال تعالى في سورة «طه» قال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ [الآية: ١٢٣] وحواء تبع لآدم. والحية ـ إن كان ذكرها صحيحًا ـ فهي تبع لإبليس.

وقد ذكر المفسِّرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها. ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم، أو دنياهم، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لكم قرار . .الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد جرى بها القلم، وأحصاها القدر، وسطرت في الكتاب الأول. وقال ابن عباس: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ القبور. وعنه: قال: «مستقر» فوق الأرض وتحتها. رواهما ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] يخبر

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٨ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

تعالى أنه يجعل الأرض دارًا لبني آدم مدة الحياة الدنيا، فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ويجازي كلا بعمله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من عدله سبحانه ورحمته جَلَّ وَعَلَا، وحكمته أن تكون هذه الأرض مستقرة ومؤقتة، فيها الأعمال الصالحة وضدها، وفيها الرسل والأنبياء، والأخيار، ثم بعد انتهاء الأمد تنتهي هذه الدار، وينتقل كل إلى داره، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [طـه: ٥٥]، ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٥]، فهي دار مؤقتة لها نهاية، وهذه النهاية يعلمها الله عَزَّ وَجَلَّ، استأثر بعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبعد حصول هذه النهاية ينقسم الناس إلى قسمين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، يقضى بينهم، ويحكم بينهم في يوم القيامة اليوم الطويل، ثم ينتهي الأمر إلى فرقتين: فرقة تكون في الجنة وهم الصلحاء والأخيار، وهم الأقلون، وفريق في النار، وهم الأكثرون، نسأل الله العافية، كلٌّ بما قدَّم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾ [فصلت: ٤٦] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* * *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝﴾ **[الأعراف: ٢٦]**(١).

يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات وهي السوآت. والرياش والريش:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٣ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

هو ما يتجمل به ظاهرًا، فالأول من الضروريات، والريش من التكملات والزيادات.

قال ابن جرير: «الرياش» في كلام العرب: الأثاث، وما ظهر من الثياب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس وحكاه البخاري عنه: الرياش: المال[(١)].

وكذا قال مجاهد، وعُرْوَة بن الزبير، والسُّدِّي والضحاك.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: «الرياش» اللباس، والعيش، والنعيم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: «الرياش»: الجمال.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أَصْبَغُ، عن أبي العلاء الشامي قال: لبس أبو أمامة ثوبًا جديدًا، فلما بلغ تَرْقُوَتَه قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: **«من استجد ثوبًا فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته: مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الثَّوْبِ الَّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ كَانَ فِي كَنَفِ اللهِ وَفِي حِفْظِ اللهِ وَفِي سَتْرِ اللهِ حَيًّا وَمَيِّتًا»**[(٢)].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

محتمل هذا، محتمل يجرحه، وزيادة لكن تشعر بأنه لم يجرحه أحد، يعني هو مجهول، لكن ما تكلم أحد فيه، هو مجهول مستور،

---

(١) البخاري كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ١٠٨ برقم (٣٥٦٠) وقال: غريب. وابن ماجه في كتاب اللباس، باب ما يقول الرجل اذا لبس ثوبًا جديدًا برقم (٣٥٥٧) والإمام أحمد (١/ ٤٤).

وهو ضعيف، على كل حال هذا السند هذا ضعيف، لكن الحديث الآخر كون الإنسان يستحب له إذا لبس الجديد أن يقول: (الحمد لله الذي كسوتني هذا من غير حول لي ولا قوة)، (اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسألك من خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له)، لعله يأتي به المؤلف.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

ورواه الترمذي، وابن ماجه، من رواية يزيد بن هارون، عن أصبغ - هو ابن زيد الجهني وقد وثقه يحيى بن مَعِين وغيره، وشيخه «أبو العلاء الشامي» لا يعرف إلا بهذا الحديث، ولكن لم يخرجه أحد، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ: هذا يؤيد.

**مداخلة:** ولم يجرحه أحد.

**الشيخ:** يؤيد أنه لم يجرحه أحد.

**مداخلة:** أحسن الله إليك!

**الشيخ:** نعم، صوابه بالحاء، يعني: لعله لم يجرحه أحد على الحاشية..

**مداخلة:** . . .

**الشيخ:** كلكم، فلعله ولم يجرحه بالجيم والحاء.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مختار بن نافع التمار، عن أبي مطر؛ أنه رأى عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أتى غلامًا حدثًا، فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ولبسه إلى ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول ولبسه: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّيَاشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي**»(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٥٧).

فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن نبي الله ﷺ؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة: «**الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي**».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال السند ضعيف؛ ولكن من نِعم الله ﷻ أن يسَّر للعباد اللباس اللي يواري سوآتهم، والريش ما يتجمل به الإنسان، أو ما يقوم به أوده من متاع الدنيا كله من نعم الله على الإنسان، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾، وفي الآية الأخرى: (رياشًا) يعني: شيء للجمال، وشيء لمواراة العورة، وهكذا الرياش الذي هو متاع الدنيا من أواني، ومن مساكن، ومن مراكب، ومن فرش، كلها من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فالواجب على المكلف أن يشكر الله على نعمه، وأن يعرف قدر هذه النعم، وأن يستعين بها على طاعة مولاه ﷻ، هكذا المؤمن، لا يعتبرها أمورًا عادية، لا، يتأمل، يحمد ربه ويشكر الله على كل شيء، فالله ﷻ يقول: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، ويقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، والشكر يكون باللسان، ويكون بالعمل، بالمحبة، والخوف، والرجاء، ويكون بالكلام الطيب، بالحمد والثناء، ويكون بالعمل الصالح، بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، والمسابقة إلى الخيرات، هكذا يكون الشكر، ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]. ولكن لباس التقوى أعظم، من أعطاه الله لباس التقوى هذا هو اللباس العظيم، من رزق الاستقامة على دين الله هذا هو اللباس، أما لباس الدنيا يعطاه الكافر والمسلم، والطيب والخبيث، قد يكون حظ الكافر من ذلك في الغالب أكثر، متاع الدنيا، متاع العاجلة، ولكن المهم هو اللباس الآخر، اللباس المعنوي، لباس التقوى، لباس الهدى، هذا هو اللباس الذي به السعادة والنجاة لمن مات عليه.

مداخلة: أحسن الله إليك! في قضية اللباس يشمل الثوب أو الفنائل والسراويل والشماغ؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:**

كل شيء، كل ما يلبسه الإنسان، يلبس السراويل والأُزُر، والقُمُص والأردية، والعمامة والغترة، وكل شيء مما يلبسه الإنسان، والعباءة. الله أكبر.

وعلى كل حال الحديث ضعيف، لكن الإنسان يحمد الله على كل النعم، والحديث الآخر الذي تقدم هو أصح من هذه الأحاديث الأخرى، (كان إذا لبس الجديد قال: اللَّهُمَّ لك الحمد أنت كسوتني، أسألك من خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له)، كأنه ناسي المؤلف لما ذكره هنا.

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قرأ بعضهم: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، بالنصب. وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ خبره.

واختلف المفسرون في معناه، فقال عكرمة: يقال: هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة. رواه ابن أبي حاتم.

وقال زيد بن علي، والسُّدِّي، وقتادة، وابن جُريْج: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الإيمان.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح.

وقال زياد بن عمرو، عن ابن عباس: هو السَّمت الحسن في الوجه.

وعن عُرْوَة بن الزبير: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ خشية الله.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يتقي الله، فيواري عورته، فذاك لباس التقوى.

وكل هذه متقاربة، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن سليمان بن أرقم، عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه، على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قُوهي محلول الزرّ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب، وينهى عن اللعب بالحمام. ثم قال: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«والذي نفس محمد بيده، ما عمل أحد قط سرًّا إلا ألبسه الله رداء علانية، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر»**. ثم تلا هذه الآية: «ورياشًا» ولم يقرأ: وريشًا ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال: «السمت الحسن».

هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف. وقد روى الأئمة: الشافعي، وأحمد، والبخاري في كتاب «الأدب» من طرق صحيحة، عن الحسن البصري؛ قال شهدت عثمان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام، يوم الجمعة على المنبر[(١)]. وأما المرفوع منه فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهدًا من وجه آخر، حيث قال: حدثنا[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٤٣).

(٢) محمود بن محمد المروزي، حدثنا حامد بن آدم المروزي، حدثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عبيد الله العرزمي، عن سلمة بن كهيل، عن جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أسرَّ عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»].
المعجم الكبير (٢/ ١٧١) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٥): «فيه حامد بن آدم وهو كذاب» والعرزمي تركه الأئمة. =

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحديث ضعيف، سليمان بن أرقم ضعيف عند أهل العلم، وقتل الكلاب الرسول ﷺ أمر بقتلها ثم نهى عن ذلك، قال: «**لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ**»، ونهى عن قتلها، فقال: «**لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا وَلَكِنِ اقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيم**»(١)، وأمر بقتل الكلب العقور، أما غيره لا يقتل، وهذا مما يدل على ضعف الحديث وأنه غير صحيح، وأن سليمان هذا ابن أرقم قد وهم؛ لأنه لا يمكن عثمان أن يأمر بقتل الكلاب، وقد نهى النبي ﷺ عن قتلها.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦](٢).

هذه الآية الكريمة مما يتعلق باللباس، اللباس يجوز من سائر أنواع الألبسة من القطن، والشعر، والصوف، والوبر، والنبات، ومن سائر أنواع ما يتخذ من اللباس، ما عدا الحرير في حق الرجل، أما المرأة

---

= تنبيه: في جميع النسخ لم يذكر هذا الحديث الذي سُقته ها هنا، وموضعه بياض عدة أسطر، وقد تعرفت على أن هذا الحديث هو مقصود الحافظ ابن كثير، أني رأيته ساق أثر عثمان السابق ثم ساق بعده هذا الحديث بإسناد الطبراني، كما سيأتي في سورة الفتح آية: ٢٩، فرأيت إثباته في الحاشية. قاله صاحب الفضيلة الاستاذ الدكتور حكمت بن بشر ياسين في تحقيقه لتفسير الحافظ ابن كثير جزاه الله خيرًا.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره برقم (٢٨٤٥)، والترمذي في كتاب الصيد، باب ما جاء في قتل الكلاب برقم (١٤٨٦)، والإمام أحمد (٤/ ٨٥ و٥/ ٥٤ و٥٦).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (ج٣/ ١٢١).

يجوز اللبس لها حتى الحرير؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٦] السوءات؛ يعني: العورات، ﴿وَرِيشٗاۖ﴾؛ يعني: اللباس يكون ريشًا وجمالًا ريشًا ورياشًا؛ يعني: جمالًا، الله خلق أنواع الألبسة وجعل فيها الشيء الذي يستر العورة وليس فيه جمال، والشيء الذي يستر العورة ويكون معها جمال، الله أباح هذا وهذا، الملابس الجميلة والملابس الغير الجميلة التي تستر العورة، في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»(١).

والله يقول سبحانه: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] فالملابس الجميلة مطلوبة ومشروعة، وهي مختلفة متنوعة، فإذا لبس ما يسَّر الله له من دون تكبر، ولا إسبال، ولا اكتساب محرم، فذلك مباح له سواء كان أحمر، أو أسود، أو أخضر، أو أبيض، أو غير ذلك؛ لكن حديث سمرة وأبي هريرة يدلان على أن الأفضل هو البياض، والبياض هو الأفضل في لبس المؤمن وكفن الموتى هذا هو الأفضل، وإن لبس غير ذلك من الأسود والأخضر فلا بأس، قد ثبت عن الرسول ﷺ أنه لبس أنواعًا: لبس الأسود، ولبس الأخضر، ولبس الأحمر، عليه الصلاة والسلام، فالأمر في هذا واسع والحمد لله؛ إلا الحرير فإنه ممنوع في حق الرجال.

كذلك حديث البراء مثلما تقدم، رأى النبي ﷺ في حلةٍ حمراء ما رأيت شيئًا قط أحسن منه عليه الصلاة والسلام، قد لبس حُلة حمراء، ولبس عند قدومه مكة عام الفتح عمامة سوداء، وطاف في بعض الأطوفة ببرد أخضر، عليه الصلاة والسلام، كل هذا يدل على أنه ﷺ أجاز للأمة هذه الأنواع، والقرآن أطلق ذلك قال: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

٢٦] ولم يفسر بشيء لا أحمر ولا غيره كله جائز، بعضه لستر السوءة وبعضه للتجمل، كما يشرع في الأعياد والجُمَع وغير ذلك؛ لكن الذي يواري العورة لا بد أن يكون ساترًا صفيقًا يستر العورة.

**الأسئلة:**

• **س: قتل الكلب الأسود البهيم في كل وقت؟**

○ **الجواب:** ظاهر الحديث العموم؛ لأنه يخيف الناس ويزعجهم، نعم، وفي بعض الروايات الأخرى: أنه شيطان.

• **س: النهي عن اللعب بالحمام للتحريم؟**

○ **الجواب:** الحديث هذا ضعيف، اللعب بالحمام إذا كان ما يضر الناس ما يضر شيء، إذا كان ما يضر أحدًا، مثل كونه يتسابق هو وإياه في إرساله من محل إلى محل، ليعرف هل يدله أو ما يدله، أشياء ما تضر أحد، أما إذا كان اللعب بالحمام يضر يعني، مناقرة بين الحمام لا يجوز، أو يضر الجيران لا يجوز.

**مداخلة:** في الحديث الآخر سلمك الله: (شيطان يتبع شيطانة)؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

هذا إذا كان يضر، إن صح يحمل على أنه كان يعمل عمل يضر.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! إذا كان لجيرانه شيء من؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

لأن الحمام والدجاج كلها من المباحات، مما أباح الله للعباد اقتناها، نعم.

**مداخلة:** ما قال بعض الإخوة: موضوع؟

**مداخلة:** ما قيل فيه: إنه موضوع؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ: ما هو؟

• **س: حديث (شيطان يتبع شيطانة)؟**

○ **الجواب:** ما أدري، ما أذكر حاله.

**حكم المسابقة بين الحمام:**

● **س: سباق الحمام**

○ **الجواب**: ما نعلم فيه شيء، إذا كان ما يضر أحد سباق الحمام ما فيه شيء.

● **س: وجعل الجعل عليها؟**

○ **الجواب**: إذا كان لا يضر أحد، الجعل ما يجوز، (لا سبق إلا بنصل أو خف أو حافر) بس. الجعل في سباق الحمام أو غيره أو الكلاب أو غيرها ما يجوز.

**كيفية التعامل مع الجار الذي عنده طيور تؤذي جيرانه:**

● **س: أحسن الله إليك! إذا كان لجيرانه حمام وتؤذيه توسخ داره، ونصح صاحب الدار ولم يقبل، هل يضع لها سمًّا يقتل هذه؟**

○ **الجواب**: والله محل نظر، أقول: محل نظر، لو سلك مسلكًا آخر يعني: يتصل بجيرانه ويتعاونوا في نصيحته حتى لا يعود، أو من طريق الهيئة، أو المحكمة يكون شيء أثبت في الأمر؛ لأن هذا أسلم، قد يدعي عليه أنه قتلها بغير حق، وقد تكون وحشة وشحناء بينهما، لكن إذا كان بطريقة شرعية، إما يتعاون مع الجيران عليه حتى لعل الله يهديه إلى الأحسن، أو من طريق الهيئة حتى يعني يوجهوه إلى الخير، أو إذا كان ولا بد المحكمة، أو الإمارة.

**معنى شيطان في حديث: (الكلب الأسود شيطان):**

● **س: أحسن الله إليك! معنى شيطان، شيطان الجن وإلا شيطان الكلاب؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

مداخلة: الكلب الأسود شيطان، معنى شيطان؟

○ **الجواب**: شيطان من جنسه، يعني: شيطان جماعته شيطان الكلاب، شيطان في الجنس متمردهم وخبيثهم، مثلما قال في الصلاة:

**«يقطع صلاة المرء المرأة والحمار والكلب الأسود، قيل: يا رسول الله! ما بال الأسود من الأحمر؟ قال: لأنه شيطان»**، رواه مسلم في الصحيح.

**مداخلة:** قتل الكلاب.

**الشيخ:** شف أحد الإخوان... يجمع من هو الذي يلتزم؟ أحد يجمع لنا ما ورد في الحمام، اللعب بالحمام وشيطان يتبع شيطانة. من منكم يلتزم؟.

**مداخلة:** في كتاب.

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** أقول: في كتاب على الحمام...

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** في كتاب خاص مطبوع عن الحمام.

**الشيخ:** عندك؟

**مداخلة:** نعم.

**الشيخ:** تحضره إن شاء الله غدًا الليلة الآتية.

**مداخلة:** إن شاء الله.

**الشيخ:** ليلة الاثنين، جزاك الله خير.

● **س: النهي رعاك الله! عن قتل الكلاب حتى المتعدية المؤذية؟**

○ **الجواب:** لا المؤذي يدخل في العقور، أقول: المؤذي مثل العقور يقتل.

● **س: إذا توسيخ ونجاسة للناس به؟**

○ **الجواب:** النبي ﷺ قال: **«يقتل العقور»**، هذا الذي أمر به النبي ﷺ، **«خمس من الدواب كلهن من الفواسق، ذكر منها: الكلب العقور، وذكر منها: الكلب الأسود»**، والذي يأكل الغنم وإلا يأكل الدجاج وإلا يؤذيهم هذا... إلا بالقتل يقتل مثل غيره، إذا كان الكلب يؤذيهم في غنمهم وإلا في دجاجهم وإلا في حمامهم وإلا بالأوساخ نهوه

ولم ينته، يجيء المحل ويوسخه، الظاهر أنه من باب دفع الأذى لا بأس، نعم.

**حكم قتل القطط السوداء:**

• **س: أحسن الله إليك! والقطة السوداء تقتل؟**

○ **الجواب**: لا ما ورد فيها شيء، السوداء لا، القط لا، لا يقتل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم، إلا إذا آذى.

• **س: أحسن الله إليك! مربِّي الحمام يعتبر من الغافلين عن ذكر الله؟**

○ **الجواب**: لا ما فيه حرج، إذا ما أذى به أحد ولا صده عن ذكر الله ما فيه شيء، مثل مربِّي الدجاج.

**حكم اتخاذ كلب الصيد أسود:**

• **س: أحسن الله إليك، إذا كان الكلب الأسود كلب صيد؟**

○ **الجواب**: ولو كلب صيد نعم، لا يحط كلب الصيد أسود، يربي كلب غير الأسود للصيد.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧][(١)].

يقول تعالى محذرًا بني آدم من إبليس وقبيله، ومبينًا لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام، في سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٣ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

النعيم، إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، اللَّهُمَّ صلِّ على محمد.

**الأسئلة:**

**تشبُّه الجن بالإنس:**

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! هل الجن يتشبهون بالإنس؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** الجن هل لهم القدرة أن يتشكلوا بالإنس؟

○ **الجواب:** فيما يظهر أن الله ﷻ قد يمكنهم من ذلك يبرزون في صورة إنس، كما تبرز الملائكة في صورة الإنس.

**رؤية الإنس الجن في الآخرة:**

**مداخلة:** أحسن الله إليك! رؤية الجن؟

**الشيخ:** نعم؟

● **س: هل الجن عدم رؤيتهم في الدنيا والآخرة وإلا في الدنيا فقط؟ عدم رؤية الجن هذه خاص بالدنيا أو..؟**

○ **الجواب:** في الدنيا نعم، وفي الجنة لا مانع، وفي النار لا مانع، وقال بعض العلماء: أنهم في الآخرة يراهم الإنس ولا يرون الإنس لكن ليس عليه دليل، يذكر هذا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ولكن ليس عليه دليل، الظاهر أن في الجنة يرى الجميع؛ لأنها دار النعيم، دار الحبرة والسرور، في الجنة يترأى الجميع، كما في النار يترأى الجميع، نسأل الله العافية.

**رؤية الإنس للجن في الدنيا:**

● **س: أحسن الله إليك! وعدم الرؤية للرؤيا التي خلقهم الله عليها أم قد يرونهم بصور الأشباح؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** يعني: عدم رؤية الجن هل يمتنع أنه يراه في صورته التي خلقها الله عليهم، بعض الناس يقول: رأيت جني؟

○ **الجواب:** قد يرى، كيف؟ ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، قوله: (من حيث لا ترونهم) يعني هذا هو الغالب، ولكن قد يرى الجني، وقد يتشكل يرى ويبدو، مثل ما يذكر أن الشيطان تشكل في صورة الشيخ النجدي، وجاء ندوة قريش، وحرضهم على قتل النبي عليه الصلاة والسلام، ومثل ما في قصة بدر حين جاءهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك يشجعهم على القتال، ثم نكس تركهم وقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، يتشكل، والناس كثيرًا ما يرون أشخاص يزعمون أنهم جن في صورة الإنس.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **[الأعراف: ٢٨ ـ ٣٠]**(١).

قال مجاهد: كان المشركون يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف

(١) تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٤ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

كما ولدتنا أمهاتنا. فتضع المرأة على فرجها النسعة، أو الشيء وتقول:

**اليوم يبدُو بعضُه أو كلّه وما بَدا منه فلا أحلّهُ**

فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ الآية.

قلت: كانت العرب ما عدا قريشًا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، وكانت قريش وهم الحُمْس يطوفون في ثيابهم، ومن أعاره أحمسي ثوبًا طاف فيه، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد، فمن لم يجد ثوبًا جديدًا ولا أعاره أحمسي ثوبًا، طاف عريانًا. وربما كانت امرأة فتطوف عريانة، فتجعل على فرجها شيئًا يستره بعض الشيء وتقول:

**اليوم يبدُو بعضُه أو كلّه وما بَدا منه فلا أحلّهُ**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله من خرافاتهم، هذا من خرافات أهل الشرك، ومن لَعِيب الشيطان بعقولهم، حتى صارت حالتهم إلى هذه، ولهذا أمر النبي ﷺ في حجة تسع أن ينادى في الناس: (ألا يطوف بالبيت عريان، وألا يحج بعد العام مشرك، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)، فمن سخافاتهم وضلالاتهم أن يطوفوا عراةً بالبيت، ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها، فيعصونه عند بيته العظيم بالعري، فيتنزهون من ثوب عصوا الله فيه، للوقوع في معصية صريحة، إلا أن يعيره أحمسي ثوبًا، أو يجد ثوبًا جديدًا، ولا شك أن هذا من تلاعب الشيطان، الإنسان إذا تأمل هذا كيف يصير هذا! كيف يصير هذا من عاقل! لولا لعيب الشيطان بعقولهم، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأكثر ما كان النساء يطفن عراةً بالليل، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه

من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمن ادعى ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾؛ أي: هذا الذي تصنعونه فاحشةٌ منكرة، والله لا يأمر بمثل ذلك، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وشِركهم بالله، وتعلقهم بالأصنام والأشجار والأحجار أقبح وأعظم من طوافهم عراة، وحجتهم ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وهذه الحجة الداحضة الخبيثة اللي يحتج بها كل مجرم تقدير الآباء والأسلاف، والواجب الرجوع إلى ما جاءت به الرسل، وعدم الرجوع إلى تقليد الآباء والأسلاف، أمرهم الله أن يعبدوه بما أمر، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، هكذا يجب على العقلاء أن يرجعوا إلى الأساس المتين، والأصل العظيم، وهو ما جاء عن الله وعن رسله، لا إلى أسلاف جهال، وآباء جهال، ثم هذا التقليد الأعمى أوقعهم في أعظم الذنوب وأقبحها الشرك، وفي عصيان الرسل، ومحاربتهم، وقتالهم، فهذا شؤم تقليد الأعمى، باتباع الآباء والأسلاف في الباطل.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً

قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿قُلْ﴾؛ أي: قل يا محمد لمن ادعى ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾؛ أي: هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة، والله لا يأمر بمثل ذلك ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته.

وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ﴾؛ أي: بالعدل والاستقامة، ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾؛ أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى وما جاءوا به عنه من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، وأن يكون خالصًا من الشرك.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو العمل الصالح، العمل الصالح هو اللي يجمع أمرين: إخلاصه لله، وموافقته للشريعة. فإن كان فيه شرك فهو باطل لعدم الإخلاص، وإن كان غير موافق للشريعة فهو بدعة باطلة، «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، فقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [يونس: ٩]، يعني: آمنوا بالله ورسله، وعملوا بشرع الله، وأخلصوا له العمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ اختلف في معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يحييكم بعد موتكم.

وقال الحسن البصري: كما بدأكم في الدنيا، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء.

وقال قتادة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ قال: بدأ فخلقهم ولم يكونوا شيئًا، ثم ذهبوا، ثم يعيدهم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولًا كذلك يعيدكم آخرًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بدأهم من الطين، بدأ أباهم من الطين آدم، ثم رجعوا إلى الطين، ثم نبتهم منه ويبدأهم منه، ويخرجون من قبورهم وقد تم خلقهم بدءًا جديدًا، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فالذي بدأهم هو الذي أعادهم، وإن قالوا كالحالين، والإعادة أسهل من البدء، فإذا فعل البدء فهو على الإعادة أقدر، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، كلها هين عليه كلها، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير، وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلًا**» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وهذا الحديث مُخَرَّجٌ في الصحيحين، من حديث شعبة، وفي حديث البخاري أيضًا من حديث الثوري به[١].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: =

وقال وقَاء بن إياس أبو يزيد، عن مجاهد: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ قال: يبعث المسلم مسلمًا، والكافر كافرًا.

وقال أبو العالية: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ رُدُّوا إلى علمه فيهم.

وقال سعيد بن جبير: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ كما كتب عليكم تكونون ـ وفي رواية: كما كنتم تكونون عليه تكونون.

وقال محمد بن كعب القُرَظِي في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل السعادة، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه. ومن ابتُدئ خلقه على السعادة، صار إلى ما ابتدئ خلقه عليه، إن عمل بأعمال أهل الشقاء، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء، ثم صاروا إلى ما ابتدئوا عليه.

وقال السُّدِّي: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾، يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ كما خلقناكم، فريق مهتدون وفريق ضُلَّال، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ قال: إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأهم مؤمنًا وكافرًا.

---

= ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ برقم (٣٣٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٦٠).

قلت: ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: **«فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع ـ أو: ذراع ـ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع ـ أو: ذراع ـ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة»**.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية عامة كما بدأهم من جهة الخلق، وكما بدأهم من جهة الشقاوة والسعادة، ولكنها في الخلق أظهر، كما بدأهم في الخلق حفاةً عراةً غرلًا يعيدهم كذلك، والأعمال لها حالة أخرى، يبعث العبد على ما مات عليه من خير وشر، لكن الآية أظهر في الخلقة، ولهذا قال: **«حفاةً عراةً غرلًا»**، كما بدأهم حفاة: ما عليهم نعال، عراة: ما عليهم ملابس، خرجوا من بطون أمهاتهم عراة، غرلًا: غير مختونين، القلفة التي على الذكر وهكذا المرأة، هكذا يوم القيامة كلهم هكذا عراة حفاة غرلًا، على رءوس الأشهاد، حتى يكسوهم الله ﷻ بعد ذلك، وأول ما يكسى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، كما في الحديث الصحيح. أما كونهم يبعثون على أعمالهم هذا أمر معلوم من أدلة أخرى، أن العبد يبعث على ما مات عليه، إن مات سعيدًا بُعث سعيدًا، وإن مات شقيًّا بُعث شقيًّا.

**الأسئلة:**

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الأصل في الإنسان الكفر أو الإسلام؟**

○ **الجواب**: الأصل فيه الكفر والجهل والظلم، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، إلا من هداه الله.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو القاسم البغوي المراد بحديث: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة**»

• **س: لكن عفا الله! حديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».**

○ **الجواب**: ما ينسخ الآخر، الأصل فيه أنه يخرج على الفطرة، يخرجه أبواه وجلساؤه وأصحابه، هو يولد على الفطرة لكن الغالب عليه هو خروجه عن الفطرة إلى الظلم والجهل والكفر..

**مداخلة**: لكن الخروج عفا الله عنك! عن طريق والديه «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ**».

الشيخ: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**».

**مداخلة**: يكون هذا خلاف الأصل؟

الشيخ: محتمل هذا محتمل، ظاهر الحديث: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»، يعني على الإسلام «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**»، ثم يعتريه الجهل والظلم، ولكن مقتضى ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، هذه الصفات الغالبة عليه على الأكثر، ولهذا يطلب فيه العدالة إذا شهد، يطلب أن يزكى حتى يعرف أنه سلم من الظلم والجهل، لا بد من زكاته في الشهادة، بالعدالة، والثقة، قد يقال: أن الأصل فيه من جهة ذاته أنه يولد على الفطرة، ولكن الأصل فيه من جهة مجتمعه فما يغلب عليه هو طابع الظلم والجهل واتباع الأكثرين، نسأل الله العافية.

تقييد رواية: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» برواية: (فيما يبدو للناس)

• **س: يا شيخ أحسن الله إليك! حديث: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» على إطلاقها أو خاص فيما يبدو للناس؟**

○ **الجواب**: في رواية أخرى: «**فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ**»؛ لأنه قد كتب شقيًّا أو سعيدًا.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو القاسم البَغَوي: حدثنا علي بن الجَعْد، حدثنا أبو غَسَّان، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**»[(١)]. هذا قطعة من حديث رواه البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مُطَرَّف المدني، في قصة «قُزْمان» يوم أحد.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تُبْعَثُ كل نَفْسٍ على ما كانت عليه**».

وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه، عن الأعمش، به. ولفظه: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[(٢)].

قلت: ولا بد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية، وبين قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠] وما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها برقم (٦٤٩٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه. . . .برقم (١١٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٨).

**يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»**[١]. وفي صحيح مسلم، عن عِياض بن حمَار قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ، مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» الحديث[٢].

ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر، في ثاني الحال، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده، والعلم بأنه لا إلٰه غيره، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق، وجعله في غرائزهم وفطرهم، ومع هذا قدَّر أن منهم شقيًّا ومنهم سعيدًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. وفي الحديث: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[٣].

وقدر الله نافذ في بريته، فإنه هو ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] و﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. وفي الصَّحيحين: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار برقم (٢٨٦٥).

(٣) سبق تخريجه (٧/ ١٧٠).

وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآيَةَ [الليل: ٥، ٦][(١)].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ثم علّل ذلك فقال: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

**مداخلة:** المراد بقول ابن كثير: (في ثاني الحال).

**مداخلة:** شيخ سلّمك الله! ما المقصود بقول المؤلف: [في ثاني الحال]؟

**الشيخ:** وجه الجمع على قوله: أنهم ولدوا على الفطرة لكن لهم إذا سبوا صاروا في ثاني الحال إلى غير ذلك مما سبق من علم الله، من شقاوة وسعادة، وهذا يقين، يولدوا على الفطرة، ثم كل يسير إلى ما قدر له، إن قدر عليه في كفر وضلال، أو هدى وإيمان، هذا أمر معلوم، قد يكون بأسباب الآباء والأمهات، وقد يكون بأسباب أخرى.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادًا منه لربه فيها؛ لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد، وفريق الهدى، فرق. وقد فرَّق الله تعالى بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية الكريمة.

**سنيَّة الاكتحال:**

**مداخلة:** أحسن الله إليك!

**الشيخ:** نعم.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ برقم (٤٩٤٧)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي برقم (٢٦٤٧).

• **س: هل يؤخذ سنيَّة الاكتحال من هذا الحديث؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: سنية الاكتحال؟

○ **الجواب**: نعم، جاء في أحاديث غير هذا (كان يكتحل ﷺ)، أقول: كان يكتحل عليه الصلاة والسلام.

• **س: قراءة بعض القراء على الجماعة بأكثر من قراءة ـ من القراءات الواردة ـ؟**

**الشيخ**: القرآن يعني؟

**مداخلة**: أي: نعم.

○ **الجواب**: تركها أولى، لا يشوش، أقول: تركها أولى، إلا إذا كان من باب التعليم الطلبة، من باب التعليم، يعلمهم بعض العبارات لا بأس، وأما على الجماعة ما لها محل.

**مداخلة**: ما يقول سلمك الله: بأنها ثبتت سمعية القراءة بالتواتر سلمك الله؟!

**الشيخ**: كونه يقرأ بها في المصحف ولا يشوش على الناس.

• **س: شيخ المبالغة في إكرام الضيف في بعض المآكل والمشارب..؟ والمشارب، ولكن بالحفاظ على النعمة، وتوزيعها للمستحقين المتبقية تكون من باب الإسراف؟**

○ **الجواب**: الأقرب في هذا التوسط، وإذا فضل شيء يوزع بين الفقراء، ولّا يأكلون هم ما يبقى، يأكلونه في وقت آخر أهله، ما يبقى. . . . يخشى إذا أنفق شيء زائد ما له لزوم، يخشى، قد يضر الضيف أيضًا، ينبغي أن يكون وسطًا حسب العرف من دون تكلف.

**مداخلة**: إضرار الضيف من أي باب يكون؟

**الشيخ**: من أكل من هذا نوع، ومن هذا نوع، ومن هذا نوع، فيضر نفسه. . الأفضل توسط المسلم في كل أحواله.

● **س: أقول: شراء الملابس الغالية؟ مع أن في شيء أدوم منها وقد يكون أرخص؟**

○ **الجواب**: الأقرب والله أعلم هو الوسط في كل شيء، هذا هو الأحوط والأولى.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ **[الأعراف: ٣١]**[(١)].

هذه الآية الكريمة ردٌّ على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عُراة، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة، عن سلمة بن كُهَيْل، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء: الرجال بالنهار، والنساء بالليل. وكانت المرأة تقول:

**اليومَ يبدُو بعضُه أو كُلّه ... وما بَدَا مِنْه فلا أحِلّهُ**

فقال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[(٢)].

وقال العَوْفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة ـ والزينة: اللباس، وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جَيِّد البزِّ والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد.

وكذا قال مجاهد، وعطاء، وإبراهيم النَّخعي، وسعيد بن جُبَيْر،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب يوم الأحد ١٠ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ برقم (٣٠٢٨).

وقتادة، والسُّدِّي، والضحاك، ومالك عن الزهري، وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها: أنها أنزلت في طوائف المشركين بالبيت عراة.

وقد روى الحافظ بن مَرْدُويه، من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا؛ أنها أنزلت في الصلاة في النعال. ولكن في صحته نظر، والله أعلم.

ولهذه الآية، وما ورد في معناها من السُّنَّة، يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض، كما قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ**»(١). هذا حديث جيد الإسناد، رجاله على شرط مسلم. ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من حديث عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وللإمام أحمد أيضًا، وأهل السنن بإسناد جيد، عن سَمُرَة بن جُنْدَب قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**»(٢).

وروى الطبراني بسند صحيح، عن قتادة، عن محمد بن سيرين: أن تميمًا الداري اشترى رداءً بألف، فكان يصلي فيه.

وقوله تعالى: ﴿مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الكحل برقم (٣٨٧٨)، والترمذي في كتاب الجنائز، باب ما يستحب من الأكفان برقم (٩٩٤)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب أي الكفن خير برقم (١٨٩٦)، والإمام أحمد (١/ ٢٤٧ و٣٦٣).

(٢) المصدر السابق.

﴿٣١﴾ الآية. قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾. وقال البخاري: قال ابن عباس: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرَف ومَخِيلة.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثَوْر، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: أحل الله الأكل والشرب، ما لم يكن سرَفًا أو مَخِيلة. إسناده صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا هَمّام، عن قتادة، عن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ[1]، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده، ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا سليمان بن سليم الكِناني، حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدام بن معد يكرب الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[2]. ورواه النسائي والترمذي، من طرق، عن يحيى بن جابر، به. وقال الترمذي: حسن، وفي نسخة: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب اللباس، ساقه بعد الحديث رقم (٥٧٨٢)، ووصله الحافظ بن حجر. انظر: تغليق التعليق (٥/ ٥٤) وصحح إسناده.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع برقم (٣٣٤٩).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا سُوَيْد بن عبد العزيز، حدثنا بَقِيَّة، عن يوسف ابن أبي كثير، عن نوح بن ذَكْوان، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من السَّرف أن تأكل كل ما اشتهيت**».

ورواه الدارقطني في الأفراد، وقال: هذا حديث غريب تفرد به بقية.

وقال السُّدِّي: كان الذين يطوفون بالبيت عراة، يحرِّمون عليهم الودَكَ ما أقاموا في الموسم؛ فقال الله تعالى لهم: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ يقول: لا تسرفوا في التحريم.

وقال مجاهد: أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ يقول: ولا تأكلوا حرامًا، ذلك الإسراف.

وقال عطاء الخراساني، عن ابن عباس قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ في الطعام والشراب.

وقال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ يقول الله: إن الله تعالى لا يحب المتعدِّين حَدَّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل أو حَرّم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل، ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا بهذا السند ضعيف، سويد ضعيف، وبقية إذا عنعن لا يحتج به، وظاهر القرآن والسُّنَّة ما يسمى سرف الذي يأكل ما اشتهى إذا لم يكن محرمًا.

**مداخلة**: بقية يا شيخ؟

**الشيخ**: بقية إذا عنعن ليس بجيد، أما إذا صرَّح بالسماع لا بأس به.

**مداخلة**: هل يدلس تدليس التسوية؟

**الشيخ**: ما أذكر هذا، هذاك موسى ابن جريج، أما هو ما أذكره، الذي فيه موسى ابن جريج

**الأسئلة**:

معنى حديث: «**إن من الإسراف أن تأكل مما اشتهيت**»:

● **س: أحسن الله إليك! يكون معنى الحديث يعني ليس صحيحًا «إن من الإسراف أن تأكل مما اشتهيت»؟**

○ **الجواب**: يعني ليس بظاهر «إن من الإسراف يأكل ما اشتهى»، لو صح هو على ما اشتهى من حلال وحرام، نعم، لكن من حيث الإجمال كلام النبي ﷺ يعتني بجوامع الكلم التي تجمع الخير وتدفع الشر، وأما ما يشتهيه الإنسان إذا أكل مما اشتهى ما أباح الله لا ما عليه.

● **س: ويروى عن عمر أحسن الله إليك! أنه كان لا يأكل مما يشتهي؟**

○ **الجواب**: ما أدري، نعم، المقصود أنه ينبغي للمؤمن أن يتحرَّى القصد وعدم الإسراف، كل واشرب والبس وتصدق بغير إسراف ولا مخيلة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، كون الإنسان يأكل ويشرب ويسرف بتعاطي أطعمة لا حاجة لها؛ بل تطرح في القمامة أو في غيرها والناس في حاجة إليها، والمصلحة تقتضي حفظها، المقصود أنه يتعاطى الشيء الذي ينفعه، ويدع الشيء الذي يضره، ويدع الشيء الذي يكون إضاعةً للمال، أما لو كان يزيد الطعام، لكن الزائد ما يضيع يعطيه للفقراء والمساكين ما يسمَّى إسراف..

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١][(١)].

على ظاهرها، السُّنَّة أن يأخذ المؤمن زينته إذا ذهب للصلاة؛ ملابسه الحسنة الجميلة، واحتج بها العلماء أيضًا على وجوب ستر العورة، ولكن الآية فوق ذلك، يدل على أنه يشرع له مع ستر العورة أخذ الزينة، وأن تكون عليه الملابس الحسنة الجميلة عند قيامه بين يدي الله سبحانه وتعالى.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢][(٢)].

يقول تعالى ردًّا على من حَرَّم شيئًا من المآكل أو المشارب، والملابس، من تلقاء نفسه، من غير شرع من الله: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم: ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ الآية؛ أي: هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شركهم فيها الكفار حسًّا في الدنيا، فهي لهم خاصة يوم القيامة، لا يَشْرَكهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرّمة على الكافرين.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٧٦).
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٧ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أبو حُصَين محمد بن الحسين القاضي، حدثنا يحيى الحِمَّاني، حدثنا يعقوب القُمِّي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة، يصفِّرون ويُصفِّقون. فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ فأمروا بالثياب.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل ما تقدم، كانوا يطوفون عراة يزعمون من العبادة، ومن التقشف ألا يطوفوا في ثياب عصوا الله فيها، يعني غير قريش، فإذا لم يجدوا ثوبًا جديدًا، ولا عارتهم قريش ثياب، طافوا عراة كما تقدم، فبعث النبي ﷺ في السَّنة التاسعة من ينبه الناس، (وألا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج بعد العام مشرك)، وهذا مما يبين أن الشيطان قد يزين للكفار تعبُّدات باطلة، ما أنزل الله بها سلطان يعذبون بها أنفسهم، ومثل هذا العمل كونهم يطوفون عراة يتعبدون بذلك، والمرأة تقول إذا لم تجد شيئًا تجعل على فرجها شيء يسير، اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله. المقصود أن هذا كله من خرافاتهم الضالة، وتعبداتهم الباطلة.

❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **[الأعراف: ٣٣]**(١).

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شَقِيقٍ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، فَلِذَلِكَ حَرَّمَ**

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٧ - ٦ - ١٤١٥هـ.

**الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»**[١]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث سليمان بن مهْران الأعمش، عن شقيق عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود وتقدم الكلام في سورة الأنعام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وقوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قال السُّدِّي: أما الإثم فالمعصية، والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق.

وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه.

وحاصل ما فُسّر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي هو التعدي إلى الناس، فحرم الله هذا وهذا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وظاهر السياق أن الإثم فوق جنس الفواحش، وهو كبائر الذنوب، المعاصي العظيمة المتعلقة به، كالزنا، وشرب الخمر، وأشباه ذلك، والبغي الظلم، ظلم الناس، والفواحش عموم المعاصي مطلقًا، الفاحشة، كل عقل سليم، وقلب سليم يستنكرها، ولهذا ترقى من الصغائر إلى الكبائر إلى الظلم إلى الشرك، إلى القول يعني بغير علم.

**مداخلة**: عفا الله عنك يا شيخ، الصفير والتصفيق محرم مطلقًا حتى في مداعبة طفل صغير؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العمل من عمل الجاهلية عند البيت المكاء والتصدية، التصفيق من أعمال الجاهلية، الصفير والتصفيق، فنهى الله عن ذلك، لكن إذا دعت

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ برقم (٤٦٣٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (٢٧٦٠).

الحاجة إلى غير الطواف مثل تصفيق النساء للتنبيه إذا سها الإمام، مثل تصفيق الإنسان الذي ما يستطيع الكلام، ولا تنفع الإشارة لردعه في الحاجة إلى ذلك، هذا غير داخل فيه، هم يتعبدون بالمكاء والتصدية، يتعبدون بالصفير والتصفيق، فنهى الله عن ذلك عباده المؤمنين.

**مداخلة**: مداعبة الطفل يا شيخ جائز مثلًا بالتصفيق؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمرها سهل يعني مثل الطفل وأشباهه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: تجعلوا له شريكًا في عبادته، وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدًا ونحو ذلك، مما لا علم لكم به كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٣٠، ٣١].

* *

## ❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣][(١)].

حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبد الله؟ قال: نعم ورفعه، قال: «**لا أحد أغير من الله، فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه المدحة من الله، فلذلك مدح نفسه**»[(٢)].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب =

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الرّواية الأخرى: «**ولا أحدَ أحبُّ إِلَيهِ العذرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِك بَعَثَ المُبَشِّرين والمُنْذِرينَ**»[١].

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ **[الأعراف: ٣٤ ـ ٣٦]**[٢].

يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي: قرن وجيل ﴿أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: ميقاتهم المقدر لهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ عن ذلك ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ثم أنذر تعالى بني آدم بأنه سيبعث إليهم رسلًا يقصون عليهم آياته، وبشر وحذر فقال: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: ترك المحرمات وفعل الطاعات ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: كذبت بها قلوبهم، واستكبروا عن العمل بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: ماكثون فيها مكثًا مخلدًا.

---

= قول ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ برقم (٤٦٣٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٦٠).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ولا شخص أغير من الله برقم (٧٤١٦).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٤ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه التحذير والإنذار لهذه الأمة أن يصيبها ما أصاب من قبلها، كل أمة لها أجل، فإذا جاء أجلها المقدر لها قضي عليها، كما جرى لأمة نوح، وأمة هود، وأمة صالح، وأمة شعيب، وأمة لوط وغيرهم من الأمم التي أهلكت بذنوبها وكفرها، ثم يقول ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ إما إن يأتي ما صلة، ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ من اتقى غضب الله، واتقى عقابه بطاعته، والاستقامة على دينه، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾، وهذا من فضله وإحسانه أن من اتقاه، وأصلح في العمل، وراقبه ﷻ؛ فإن الله ﷻ يوفيه أجوره كاملة، ولا خوف عليه ولا حزن؛ بل هو في نعيم وخير، ولا يحزن على ما مضى، ولا يخاف من المستقبل؛ بل له الأمن الكامل، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ٣٦﴾، يعني: بقلوبهم وألسنتهم، لا بالقلوب وحدها بل بالقلوب والألسنة؛ لأن القلوب ما يعلمها إلا الله، ولكن الألسنة تعبر عما في القلوب وتبين، فمن كذب بالحق واستكبر عن اتباعه نادم هالك، وهو الذي يخلد في النار لكفره وضلاله، واستكباره عن الحق، كما جرى لغالب الأمم، استكبروا عن طاعة الرسل، وقتلوا، أو كذبوا ولم يقتلوا، فالله ﷻ أعد لهم عذابه وبئس المصير، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. فالمعنى: يا أمة محمد! احذروا أن يصيبكم ما أصاب من قبلكم، واحذروا أن تفعلوا فعل من قبلكم من التكذيب، والاستكبار عن الحق، فتهلكوا كمن هلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٧][1].

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله، أو كذب بآيات الله المنزلة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اختلف المفسرون في معناه، فقال العَوْفي عن ابن عباس: ينالهم ما كتب عليهم، وكتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس يقول: نصيبهم من الأعمال، من عَمِل خيرًا جُزِي به، وقال مجاهد: ما وعدوا فيه من خير وشر.

وكذا قال قتادة، والضحاك، وغير واحد. واختاره ابن جرير.

وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: عمله ورزقه وعمره.

وكذا قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم. وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ويصير المعنى في هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٤ ـ ٦ ـ ١٤١٥هـ.

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٣، ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية: يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقَبْض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه. قالوا: ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾؛ أي: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم، ولا خيرهم. ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: أقروا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أظهر في المعنى، أن من كذب بآيات الله، وافترى على الله الكذب يناله ما كتب الله له في هذه الدار، ثم يوفى جزاءه بعد ذلك في الآخرة، له ما كتب الله له في الدنيا من رزق، وأجل، وأيام معدودات، ثم ينتهي إلى ما قدر له من الجزاء الموجع المهلك، بسبب تكذيبه وظلمه، وقد يملى ويمهل كثيرًا كما قال ﷻ: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فقد يكذب ويظلم ويملي له، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإملاء الله لمن أملي له من الظلمة والكفرة، فهو سبحانه أعلم وأحكم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، متين، كل يرجع إلى ما كتب له وقدِّر له، فمن قدِّر له

الإملاء والإمهال أُمهِل، ومن سبق بالإملاء له تعجيل العقوبة عجلت له العقوبة، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ الآية، يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت، وقبض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه...

**الشيخ**: ادعوهم..

**الملقي**: [ادعوهم ليخلصونكم].

**الشيخ**: باللام ليخل..؟.

**مداخلة**: ليخلصونكم.

**الشيخ**: عندكم نون؟.

**مداخلة**: ما في لام.

**مداخلة**: يخلصوكم.

**الشيخ**: نعم، مما.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخلصوكم مما أنتم فيه، قالوا: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾؛ أي: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم، ولا خيرهم. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: أقروا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ۝٣٧﴾. ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ﴾ [الأعراف: ٣٨].

**الشيخ**: بركة، لا حول ولا قوة، نسأل الله العافية.

* * *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عما يقوله لهؤلاء المشركين به، المفترين عليه المكذبين بآياته: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾؛ أي: من أشكالكم وعلى صفاتكم، ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾؛ أي: من الأمم السالفة الكافرة، ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله: ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ ويحتمل أن يكون ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾؛ أي: مع أمم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ كما قال الخليل عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه نسأل الله العافية عاقبة المتابعة في الباطل، والسير على مناهج الكافرين، هكذا يجمعهم الله يوم القيامة في نار جهنم، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾؛ لأنهم تتابعوا على الضلالة في الدنيا، وسلك بعضهم مسلك الآخرين في إيذاء الرسل، وتكذيب الرسل، وعدم الانقياد لما جاء به الشرع على أيدي الرسل، فلهذا يقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾، كلما دخلت أمة إلى النار يعني لعنت أختها، يسب بعضهم بعضًا، كل واحدة تقول

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٥هـ.

لمن قبلها يعني: ما علمتينا، ولا أنذرتينا، وريتينا، فعلت بنا، فعلنا هذا بأسبابكم.. وهكذا، يسب بعضهم بعضًا، ففي هذا التحذير من التقليد الأعمى، وأن الواجب على المكلف أن يجتهد في طلبه الحق، وأن يلتزم بالحق، وأن لا يغتر بالناس؛ بل ينظر في الحق ويأخذ به، وإن خالفه الأكثرون، الحق أحق بالاتباع، فعلى المكلف أن يطلب الحق، وأن يتمسك بالحق، وإن خالفه أهله وأهل بلده، أو الناس كلهم، فالحق هو أحق بالاتباع، ولهذا يقول ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١]، يعني: ما كان له عليهم إلا دعوتكم فاستجبتم، السلطان اللي له عليهم أنه دعاهم واستجابوا. فالواجب على العاقل أن لا يستجيب للناعقين الداعين للباطل؛ بل يكون عنده مناعة، وعنده قوة، فإن رأى الحق قبله وإلا تركه، وهو مخلوق ليعبد ربه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فينظر ما هو عبادته الله وطاعته لله، فينقاد له، وما هو معصية لله فيحذره، ويقف عند الحدود التي حدها الله له؛ لأنه عبد مأمور، فيأتي المأمور، ويجتنب المحظور، ولا يكون كالبهيمة ينقاد مع كل أحد، ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾. المقلدة تقول لمن قبلها: أنها ضلتها، تطلب من ربها أن يزيدها عذابًا؛ لأنها أضلتها، ودعتها إلى الباطل، فهكذا المقلد يلعن المقلد في الباطل، ويسبه، ويطلب من الله أن يزيده عذابًا، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا

تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾؛ أي: اجتمعوا فيها كلهم، ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾؛ أي: أخراهم دخولًا ـ وهم الأتباع ـ لأولاهم ـ وهم المتبوعون ـ لأنهم أشد جرمًا من أتباعهم، فدخلوا قبلهم، فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة؛ لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل، فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: أضعف عليهم العقوبة، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وقوله: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: قد فعلنا ذلك وجازينا كلًّا بحسبه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾؛ أي: قال المتبوعون للأتباع: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ قال السدي: فقد ضللتم كما ضللنا.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وهذا الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ

ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا حول ولا قوة إلا بالله، نعم، الله المستعان، وفي هذا المعنى يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمرو بن ميمون لما قال له: [تأمر بالجماعة، وتقول: صل وحدك فأنت الجماعة، قال: يا عمرو بن ميمون! الجماعة من وافق الحق وإن كنت وحدك]. فالجماعة هم من وافق الحق وإن كنت وحدك، فلو كان الإنسان في قبيلة أو في قرية أو في أي مكان خالفه جماعته، ولم يطيعوه في الحق، ولزم الحق هو، صار هو الجماعة.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١][1].

قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: المراد: لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء.

قاله مجاهد، وسعيد بن جبير. ورواه العَوْفي وعلي بن أبي طلحة،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٥هـ.

عن ابن عباس. وكذا رواه الثوري، عن ليْث، عن عطاء، عن ابن عباس.

وقيل: المراد: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء.

رواه الضحاك، عن ابن عباس. وقاله السُّدِّي وغير واحد.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

كله حق، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ﴾ لا لأعمالهم، ولا لأرواحهم، كفار أرواحهم ترد إلى الأرض، ولا تصعد إلى السماء، وأعمالهم باطلة لا ترفع إليهم، كلها باطلة، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ﴾، لا لأعمالهم، ولا لأرواحهم، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويؤيده ما قال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن المِنْهَال ـ هو ابن عمرو ـ عن زاذان، عن البراء؛ أن رسول الله ﷺ ذكر قَبْض روح الفاجر، وأنه يُصْعَد بها إلى السماء، قال: «**فيصعدون بها، فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُدْعَى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون بابها له فلا يفتح له**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الآية.

هكذا رواه، وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، من طرق، عن المنهال بن عمرو، به وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال:

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن مِنْهَال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولَمَّا يُلْحَد. فجلس

رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ**».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

والحنوط يعني الطيب، الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

**ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ـ قَالَ ـ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ ـ يَعْنِي بِهَا ـ عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ـ قَالَ ـ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ.**

فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة». «فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مَدّ بصره».

قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسُرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربِّ أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

قال: «وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مَدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط الله وغضب». قال: «فَتُفَرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجّين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحًا». ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

«فتعاد روحه في جسده. ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من

**ربك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار. فيأتيه من حَرّها وسمومها، ويُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك؛ هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة»**(١)

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

قف على هذا. والمقصود من هذا التحذير من الإصرار على مخالفة أمر الله، ومتابعة الكفرة الضالين، والحث على الاستقامة على دين الله، والتوبة إلى الله من سيئ الأعمال، والإعداد لهذا اليوم العظيم، هو يوم لا بد منه، فإما الجنة وإما النار، وإما أن تنزع هذه الروح بيد الملك، (فيقال لها: اخرجي يا أيها الروح الطيبة في الجسد الطيب)، وإما أن يقال للأخرى: أيها الروح الخبيثة، المؤمن يعد العدة لهذا اليوم العظيم، وهذه الرائحة لا يشمها أهل الدنيا، ولكن تشمها الملائكة، ويطلع عليها الملائكة من بين السماء والأرض، وإن كان من حول الميت لا يجدون تلك، ولكنها أمر معلوم، يشمه ويجده أولئك الملائكة الذين وكلوا بهذا الأمر، ويمر عليهم بهذه الأرواح، فأرواحهم إن كانوا من أهل جهنم لا تفتح لهم أبواب السماء، وهكذا أعمالهم، وأما السعداء فأرواحهم تفتح لها أبواب السماء، وأعمالهم كذلك، والقبر إما روضة من رياض الجنة إن كان مؤمنًا يفتح له باب إلى الجنة، ويأتيه من ريحها

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر برقم (٤٧٥٣)، والإمام أحمد (٤/ ٢٨٧) والحاكم وابن حبان وصحَّحوه...

وطيبها، ويرى مقعده من الجنة، فهو في نعيم، وإن كان بالضد فتح له باب إلى النار، نسأل الله العافية، فهذه التي ذكرها النبي ﷺ مواعظ وذكرى، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**الأسئلة:**

**معنى قول المؤمن: (ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي...)**

● **س: أحسن الله إليك! قوله: (ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)، إذا أقيمت الساعة فماذا يستفيد من ذلك؟**

○ **الجواب**: محتمل الظاهر أحدهما يعني أهله وماله في الجنة، وما أعطاه الله من المال والأهل، يحتمل أنه من دهشته، كأنه يظن أنه يرجع إلى الدنيا، وأهله في الدنيا، وماله في الدنيا، مما يحصل له من النعيم والسرور، فيذهل عن كونه في برزخ يرجع فيه إلى الجنة، يحتمل هذا وهذا؛ لأن الأمر عظيم، بعدما يرى النعيم، ويرى من البشارة العظيمة، والأقرب والله أعلم المراد بأهله وماله في الجنة، نعم؛ لأن المؤمن موعود بالجنة إذا ثبَّته الله فمصيره إلى الجنة.

● **س: الوعظ عند القبور أحسن الله إليك؟**

○ **الجواب**: هذه من أدلته.

**مداخلة**: الجواز أحسن الله إليك؟

**الشيخ**: نعم، مشروع؛ لأن الناس عند القبور ألين قلوبًا، يذكرون الآخرة، نعم.

● **س: معنى قوله: (ويكفن من أكفان الجنة...)؟**

○ **الجواب**: يعني من ملابسها وثيابها، الله أكبر.

• **س: الحكم على حديث البراء الطويل في روح المؤمن وروح الكافر عند الموت إسناده صحيح؟**

○ **الجواب**: لا بأس به جيد، نعم، إسناده فيه ثقات، ما عدا الأعمش عنعن، لكن ذكر المؤلف ما سبق أنه جاء من طرق كثيرة عن المنهال، من غير طريق الأعمش أيضًا.

• **س: الحكم على حديث: (القبر أول روضة من رياض الجنة) صحته؟**

○ **الجواب**: هذا المعنى، مأخوذ من هذا الحديث وأشباهه.

**مداخلة**: صحيح يعني؟

**الشيخ**: معناه صحيح: إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، نسأل الله العافية.

• **س: عفا الله عنك! العبد العاصي يلتحق بأي الروضتين؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: العبد العاصي؟

○ **الجواب**: لشائبة على خطر، قد ينجو ويعفو الله عنه، وقد يعذب، لكن ليس كالكافر، وليس كالمؤمن السليم، بينهما، في حديث ابن عباس في الصحيحين: (أن الذي مات وهو يتعاطى النميمة يعذب في قبره)، نسأل الله العافية.

**مداخلة**: ما يمر به في حالة خروج الروح يلحق بالعبد المؤمن؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو لشائبة هو يلحق بالمؤمنين، ولكن قد يصيبه بعض العذاب، نعم؛ ولهذا قال ﷻ في سورة فاطر: ألحقاه بالمصطفين، قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] هذا العاصي، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] هذا البر، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ

بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] هذا المقرَّب، ما يلحق الظالم نفسه والعاصي بالمصطفين بأهل الإيمان، لكن في غالب الآيات يذكر الله طائفتين: المؤمنة والكافرة، والعاصي يسكت عنه، نعم، لكنه ملحق بالمؤمنين في النجاة، وإن جرى عليه محن في مغبة القبر وفي البرزخ، لكنه مع الناجين، ولو في العاقبة.

• **س: يقول: (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا).. كيف هذا يا شيخ؟**

○ **الجواب**: مثل المؤمن يعني إذا حضره أجله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في ترك ذكر العاصي وماله من عذاب أو نعيم.

والله أعلم الحكمة في إغفال العاصي في غالب النصوص، الحكمة في ذلك والله أعلم الترغيب والترهيب، حتى لا ييأس، ولا يأمن، يكون على خطر، يحذر أن يكون مع القسم الثاني، فإذا تأمل الآيات والأحاديث التي فيها ذكر المؤمنين، وما وعدهم الله من الخير العظيم، وهو يشرف على نفسه خاف ألا يكون معهم، وإذا سمع عذاب الكافرين خاف أن يصيبه ما أصابهم، فيكون بين الخوف والرجاء حتى يرجع ويتوب ويندم ليلحق بالمؤمنين.

• **س: مستقر أرواح المؤمنين والكافرين؟**

○ **الجواب**: الجنة، مستقر أرواح المؤمنين الجنة، أرواحهم تسرح في الجنة.

**مداخلة**: والكافرين مستقرها؟

○ **الجواب**: مستقرها النار، نسأل الله العافية، لكن ذكر ﷻ في أرواح الكفار من آل فرعون قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، كان لهم في

البرزخ عذاب غير الأشد، يعرضون عليها، ثم يوم القيامة يقاسون أشد العذاب، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أحمد أيضًا: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن يونس بن خَبَّاب، عن المِنْهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة، فذكر نحوه.

وفيه: «**حتى إذا خرج روحه صلَّى عليه كل ملَك من السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله، عَزَّ وَجَلَّ، أن يعرج بروحه من قبلهم**».

وفي آخره: «**ثم يقيَّض له أعمى أصم أبكم، في يده مَرْزَبَّة لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا، ثم يعيده الله عَزَّ وَجَلَّ، كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين**». قال البراء: «ثم يفتح له باب من النار، ويمهد له فرش من النار»

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه وابن جرير ـ واللفظ له ـ من حديث محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يَسَار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حَمِيدة، وأبشري برَوْح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فيقولون ذلك حتى يُعْرج بها إلى السماء، فيُستفتح لها، فيقولون: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري برَوْح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى ينتهى به إلى السماء التي فيها الله، عَزَّ وَجَلَّ. وإذا كان الرجل السَّوْء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في**

**الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغَسّاق، وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقولون: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء، فترسل بين السماء والأرض، فتصير إلى القبر»**

وقد قال ابن جُرَيج في قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قال: لا تفتح لأعمالهم، ولا لأرواحهم. وهذا فيه جمع بين القولين، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ هكذا قرأه الجمهور، وفسَّروه بأنه البعير. قال ابن مسعود: هو الجمل ابن الناقة. وفي رواية: زوج الناقة. وقال الحسن البصري: حتى يدخل البعير في خُرْق الإبرة. وكذا قال أبو العالية، والضحاك. وكذا روى علي بن أبي طلحة، والعَوْفي عن ابن عباس. وقال مجاهد، وعكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: (حتى يلج الجُمَّل في سم الخياط) بضم الجيم، وتشديد الميم، يعني: الحبل الغليظ في خرم الإبرة.

وهذا اختيار سعيد بن جبير. وفي رواية أنه قرأ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجُمَلُ﴾، يعني: قُلُوس السفن، وهي الحبال الغلاظ.

وقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قال محمد بن كعب القُرَظِي: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ قال: الفرش، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قال: اللُّحُف.

وكذا قال الضحاك بن مُزاحِم، والسُّدِّي، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠][1].

على ظاهرها، من كذَّب بآيات الله، واستكبر عن اتباع الحق هكذا شأنه لا ترفع روحه إلى السماء، بل تُرد إلى الأرض، وإلى جسده حتى يُمتحن ويُختبر ويُعاقب في قبره، ثم تنقل إلى النار، نسأل الله العافية، كما قال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وهكذا غيرهم، من استكبر عن الحق ولم يتبع الهدى لا تفتح له أبواب السماء، ولا ترفع روحه إلى السماء ولا إلى الله ﷻ، بل تُرد إلى جسدها الخبيث وتعاقب في قبرها مع عقوبة النار يوم القيامة، نسأل الله العافية. وكذلك لا يدخل الجنة أبدًا.

ولهذا بيَّن سبحانه أن لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ومعلوم أن الجمل لا يلج في سم الخياط، سم الخياط؛ يعني: خرق الإبرة، والمقصود أن هذا مستحيلًا أن يدخل الجنة، كما أن دخول الجمل في سم الخياط مستحيل، فهكذا دخولهم الجنة؛ لكفرهم وضلالهم، مستحيل دخولهم الجنة، بل هم إلى النار أبد الآباد، نسأل الله العافية.

* *

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٧٦).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ **[الأعراف: ٤٢، ٤٣]**(١).

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله، واستكبروا عنها.

وينبِّه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: من حسد وبغضاء، كما جاء في الصحيح للبخاري، من حديث قتادة، عن أبي المتوكِّل الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»**(٢).

وقال السُّدِّي في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأحد ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظالم برقم (٢٤٤٠).

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية: إن أهل الجنة إذا سبقوا إلى الجنة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل، فهو «الشراب الطهور»، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم «نضرة النعيم» فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدًا.

وقد روى أبو إسحاق، عن عاصم، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحوًا من ذلك كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقال قتادة: قال علي، رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ رواه ابن جرير.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عيينة، عن إسرائيل قال: سمعت الحسن يقول: قال علي: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

وروى النسائي وابن مَرْدُويه ـ واللفظ له ـ من حديث أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني، فيكون له شكرًا. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون له حسرة»**. ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة، وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: **«واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة»**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنِي الله برحمة منه وفضل»**.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ **[الأعراف: ٤٤، ٤٥]**[١].

يخبر تعالى بما يخاطب أهل الجنة أهل النار إذا استقروا في منازلهم، وذلك على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾. «أن» هاهنا مفسِّرة للقول المحذوف، و«قد» للتحقيق؛ أي: قالوا لهم: ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ كما أخبر تعالى في سورة «الصافات» عن الذي كان له قرين من الكفار: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآيات: ٥٥ ـ ٥٩]؛ أي: ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا، ويقرِّعه بما صار إليه من العذاب والنكال، تقرِّعهم الملائكة يقولون لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦]. وكذلك قرَّع رسولُ الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر، فنادى: «**يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة** ـ وسمَّى رءوسهم ـ: **هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا**». وقال عمر: يا رسول الله، تخاطب قومًا قد جيفوا؟ فقال: «**مَا أَنتُمْ بِأَسمَع منهُمْ، وَلَكنْ لَا يُجِيبُون**»[٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأحد ٣٠ ـ ٧ ـ ١٤١٥هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل برقم =

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مما جاء في سماع الموتى، والأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، إلا ما جاء به النص، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ولكن جاءت نصوص تدل على أنهم قد يسمعون شيئًا، كما في حديث الجنازة إذا ولى عنها الناس، قال النبي ﷺ: «**إنه ليسمع قرع نعالهم**»، حين ترد إليه روحه فيسأل عن ربه ودينه ونبيِّه. وفي هذا قصة أهل القليب، أهل قليب بدر لما وقف عليهم النبي ﷺ وقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا. فقال له عمر: يا رسول الله! كيف تكلم قومًا قد جيفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، فالله أسمعهم كلامه تقريعًا لهم وتوبيخًا لهم وزيادة في العذاب والنكال.. نسأل الله العافية

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: أعلم معلم ونادى مُناد: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: مستقرة عليهم.

ثم وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: يصدُّون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، حتى لا يتبعها أحد. ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون؛ أي: جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به. فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حسابًا عليه، ولا عقابًا، فهم شر الناس أعمالًا وأقوالًا.

*

= (٣٩٧٦)، ومسلم في كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه برقم (٢٨٧٣).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧](١).

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، نَبَّه أن بين الجنة والنار حجابًا، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، ثم روي بإسناده عن السدي أنه قال في قوله [تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ وهو «السور»، وهو «الأعراف».

وقال مجاهد: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب.

قال ابن جرير: والأعراف جمع «عُرْف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى «عُرفًا»، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه.

وحدثنا سفيان بن وَكِيع، حدثنا ابن عيينة، عن عُبَيد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: الأعراف هو الشيء المشرف.

وقال الثوري، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: الأعراف: سور كعُرْف الديك.

وفي رواية عن ابن عباس: الأعراف، تل بين الجنة والنار، حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار. وفي رواية عنه: هو سور بين الجنة والنار. وكذلك قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير.

وقال السدي: إنما سمي «الأعراف» أعرافًا؛ لأن أصحابه يعرفون الناس.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأحد ٣٠ ـ ٧ ـ ١٤١٥هـ.

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نصَّ عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله. وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه: حدثنا عبد الله بن إسماعيل، حدثنا عبيد بن الحسين، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا شيخ لنا يقال له: أبو عباد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: «**أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون**».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر، عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام، عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «**إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم، فقتلوا في سبيل الله**».

وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو مَعْشَر، حدثنا يحيى بن شِبْل، عن يحيى بن عبد الرحمٰن المزني عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن «أصحاب الأعراف» فقال: «**هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم النار قتلهم في سبيل الله**».

هكذا رواه ابن مَرْدُوَيه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق، عن أبي معشر به. وكذلك رواه ابنُ ماجه مرفوعًا، من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري ﵄، والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصاراها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا حصين، عن الشعبي، عن حذيفة؛ أنه سئل عن أصحاب الأعراف، قال: فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة،

وخلَّفت بهم حسناتهم عن النار. قال: فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم.

وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال: قال الشعبي: أرسل إليّ عبد الحميد بن عبد الرحمٰن ـ وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذَكْوان مولى قريش ـ وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرًا ليس كما ذكرا، فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة، فقالا: هات. فقلت: إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة.

**مداخلة:** هل يدخل الأفراط من أبناء المشركين والكفرة في أصحاب الأعراف؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا لا، الأفراط تبع أهليهم في الجنة، تبع المؤمنين، وأفراط المشركين الصحيح فيهم أنهم أيضًا من أهل الجنة؛ لأنهم لا ذنب لهم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فبينا هم كذلك، اطلع عليهم ربك فقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم.

وقال عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جبير، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار. ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فتعوذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات، فإنهم يعطون نورًا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نورًا، وكل أمة نورًا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة. فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]. وأما أصحاب الأعراف، فإن النور كان في أيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فكان الطمع دخولًا. قال: وقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة. ثم يقول: هلك من غلبت واحدته أعشاره. رواه ابن جرير.

**الأسئلة:**

**الصحيح في معنى الأعراف:**

- **س: الصحيح في أهل الأعراف؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأقرب مثلما قالوا، قوم استوت، هذه كلمة أهل العلم تلاقت على هذا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

**مداخلة:** ومن قال الذين قتلوا.

**الشيخ:** لا، هذا غريب. استوت حسناتهم وسيئاتهم، لم يرجح ميزان الحسنات ولا السيئات ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

**أصحاب الأعراف من جميع الأمم:**

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

● س: **أصحاب الأعراف من كل الأمم وإلا أم؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أصحاب الأعراف هل هم من كل الأمم؟

○ **الجواب**: ظاهره العموم. نعم. من كل الأمم.

● س: **لكن هنا سؤال قد يورد: كيف يكون بين أهل الجنة والنار حجاب وسور والجنة في أعلى عليين فوق السماوات السبع في غاية الارتفاع، والنار في أسفل سافلين في غاية السفول؟ كيف يكون هذا الحجاب؟ النار أسفل في غاية النزول والسفول، والجنة في غاية الارتفاع تحت العرش، سقفها عرش الرحمٰن.**

○ **الجواب** والله أعلم: أن هذا السور على الجهة التي توازن النار، يعني: سور على النار في الجهة التي إذا هبط منها صار إلى النار، ويرونهم ويشاهدونهم، مثلما في قصة الذي اطلع فرأى صاحبه في النار، يشاهدونهم وهم في أعلى شيء، الجنة في أعلى شيء وهم يشاهدون أهل النار ويعرفون حالهم. فهناك سور يعرفون به أن هذا السور بينهم وبين أهل النار، من جاوزه سقط فيها، من جاوز هذا السور سقط فيها وإن كانت بعيدة مثلما قال النبي ﷺ: «**إن قعر جهنم لسبعون خريفًا، والله لتُملأن**»، فهي في غاية من البعد والسفول ومع ذلك يطلع عليها أهل الجنة من فوق، مع نزولها وبُعدها يطَّلعون عليها، وإلا فليست مجاورة لها، غير مجاورة، هي أسفل والجنة أعلى، ولكن أهل الجنة يطَّلعون، من مكان لهم يطلعون فيه، وهذا السور في مكان الاطلاع. نسأل الله العافية.

مكان النار:

**مداخلة**: في الأرض يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم؟

- **س: أقول: النار في الأرض؟**

○ **الجواب**: نعم، النار في الأرض، في أسفل الأرض، تكون الأرض كلها نار. وهذه البحار كلها تسجر نار. نسأل الله العافية.

**الشيخ**: متصلة بأسفل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما يقال: إن هذا إذا أزلفت الجنة يوم القيامة والنار جيء بها أيضًا.

**الشيخ**: تبرز يراها الناس في المحشر، والجنة تزلف يراها الناس، لزيادة نعيم أهل الجنة وتبشيرهم، وزيادة عذاب أهل النار، لكنها مثلما قال ﷺ: «**سقفها عرش الرحمٰن، الجنة سقفها عرش الرحمٰن في أعلى شيء**».

**مداخلة**: يعني الله يرعاك! ما تكون السور هذا يكون على شكل السقف، مثلما قال: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩]، ما يكون سور يرى بين أهل.....

**الشيخ**: السور الحاجز بين الشيئين، الحاجز الذي منه يرون أهل الجنة، يرونهم أسفل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! يعني كانت في جهة.

**الشيخ**: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] في وسط الجحيم.

**مداخلة**: كانوا في جهة أحسن الله إليك! يكون هذا.

**الشيخ**: كأنه في جهة من الجنة.

**مداخلة:** في جهة ويكون فاصل بينه وبين النار وفاصل بين الجنة.

**مداخلة:** في الوسط يعني.

**الشيخ:** هو فاصل بينهم من سقط منه سقط في النار. نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أيضًا: حدثني ابن وَكِيع وابن حميد قالا: حدثنا جرير، عن منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس قال: «الأعراف»: السور الذي بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان، حتى إذا بدأ الله أن يعافيهم، انْطُلِق بهم إلى نهر يقال له: «الحياة»، حافتاه قصب الذهب، مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك، فأُلقوا فيه حتى تصلح ألوانهم، وتبدو في نحورهم بيضاء يعرفون بها، حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمٰن تبارك وتعالى فقال: تمنوا ما شئتم فيتمنون، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفًا. فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة.

وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن يحيى بن المغيرة، عن جرير، به. وقد رواه سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن عبد الله بن الحارث، من قوله وهذا أصح، والله أعلم. وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد.

وقال سُنَيْد بن داود: حدثني جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعَة، عن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال: هم آخر من يُفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ ربُّ العالمين من فصله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من

النار، ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم. وهذا مرسل حسن.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «الوليد بن موسى»، عن منبِّه بن عثمان عن عُرْوَة بن رُوَيْم، عن الحسن، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ؛ أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب، فسألناه عن ثوابهم فقال: «على الأعراف، وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ. فسألناه: وما الأعراف؟ فقال: «حائط الجنة تجري فيها الأنهار، وتنبت فيه الأشجار والثمار».

رواه البيهقي، عن ابن بشران، عن علي بن محمد المصري، عن يوسف بن يزيد، عن الوليد بن موسى، به.

وقال سفيان الثوري، عن خُصَيف، عن مجاهد قال: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء.

**مداخلة:** ما يحتمل أن يكون في سقط؟

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** نضيف بعد وقيل أولاد الزنا: وقيل: هم مؤمني الجن.

**الشيخ:** لا بد فيه سقط، أقول: لا بد فيه سقط.

**مداخلة:** وقيل: هم مؤمني الجن. محتمل.

**الشيخ:** أقول: لا بد فيه سقط، بعد قوله: وقيل، ما هم أولاد الزنا.

**مداخلة:** وقيل: أولاد الزنا، وقيل: هم مؤمني الجن.

**الشيخ:** محتمل؛ لأن السند الأخير ما يطابق.

**الشيخ:** ضع عليه إشارة.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن سليمان التيمي، عن أبي مِجْلز في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ قال: هم رجال من الملائكة، يعرفون أهل الجنة وأهل النار، قال: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ في النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قال: فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق بن حميد أحد التابعين، وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق: وقول الجمهور مقدم على قوله، بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه. وكذا قول مجاهد: إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضًا. والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأقرب مثلما تقدم أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، أوقفوا ثم أذن لهم في دخول الجنة، أوقفوا على الأعراف بين الجنة والنار ثم أذن لهم في دخول الجنة.

مداخلة: أحسن الله إليك! حديث الحافظ ابن عساكر إسناده صحيح؟

الشيخ: هذا يحتاج نظر، أقول: يحتاج تأمل.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولًا منها: أنهم شهدوا أنهم صلحاء تفرعوا من فرع الآخرة، دخلوا يطلعون على أخبار الناس. وقيل: هم أنبياء. وقيل: ملائكة.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه. وكذا روى الضحاك، عنه.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس أنزلهم الله بتلك المنزلة، ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين. وهم في ذلك يحيُّون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها، وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله.

وكذا قال مجاهد، والضحاك، والسدي، والحسن، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم. وقال مَعْمَر، عن الحسن: إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم، إلا لكرامة يريدها بهم.

وقال قتادة: قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع.

وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وقال السُّدِّي: وإذا مروا بهم ـ يعني بأصحاب الأعراف ـ بزمرة يُذهب بها إلى النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وقال عكرمة: تحدد وجوههم في النار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ فرأوا وجوههم مسودة، وأعينهم مزرقة، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨، ٤٩](١).

يقول الله تعالى مخبرًا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماهم: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾؛ أي: كثرتكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله؛ بل صرتم إلى ما صرتم فيه من العذاب والنكال. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني: أصحاب الأعراف ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد، حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الآية، قال: فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا - يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار - قال الله [تعالى] لأهل التكبر والأموال: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقال حذيفة: إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار، فجُعلوا على الأعراف، يعرفون الناس بسيماهم، فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم فقالوا: يا آدم، أنت أبونا،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٧ - ٨ - ١٤١٥هـ.

فاشفع لنا عند ربك. فقال: هل تعلمون أن أحدًا خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسبقت رحمته إليه غضبَه، وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون: لا. قال فيقول: ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا ابني إبراهيم. فيأتون إبراهيم ﷺ فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم، فيقول: هل تعلمون من أحد اتخذه الله خليلًا؟ هل تعلمون أن أحدًا أحرقه قومه بالنار في الله غيري؟ فيقولون: لا. فيقول: ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم. ولكن ائتوا ابني موسى. فيأتون موسى عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا عند ربك فيقول: هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليمًا وقربه نجيًّا غيري؟ فيقولون: لا فيقول: ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا عيسى. فيأتونه، عليه السلام، فيقولون له: اشفع لنا عند ربك. فيقول: هل تعلمون أحدًا خلقه الله من غير أب غيري؟ فيقولون: لا. فيقول: هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري؟ قال: فيقولون: لا. فيقول: أنا حجيج نفسي. ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم. ولكن ائتوا محمدًا ﷺ فيأتونني فأضرب بيدي على صدري، ثم أقول: أنا لها. ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش، فآتي ربي ﷻ، فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط، ثم أسجد فيقال لي: «**يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ**». فأرفع رأسي، فأقول: «**ربي أمتي**». فيقول: «**هم لك. فلا يبقى نبي مرسل، ولا مَلَك مقرَّب، إلا غبطني بذلك المقام، وهو المقام المحمود. فآتي بهم الجنة، فأستفتح فيفتح لي ولهم، فيذهب بهم إلى نهر يقال له: نهر الحيوان، حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك، وحصباؤه الياقوت. فيغتسلون منه، فتعود إليهم ألوان أهل الجنة، وريح [أهل الجنة] فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية، ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها، يقال لهم: مساكين أهل الجنة**».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة. . أمر الأعراف غريب جدًّا واختلاف الناس فيه .الله أكبر. سبحان الله! ما أعظم شأنه.

**مداخلة:** . . . . . الأثر عن حذيفة.

**الشيخ:** عبرة. أقول: هذا الأثر الطويل عن حذيفة فقط؟ موقوف على حذيفة الأثر هذا.

**الشيخ:** الله المستعان.

**الشيخ:** نعم. أحاديث الشفاعة معروفة.

**مداخلة:** لكن ذكر قوله: تعلمون أحدًا اتخذه الله خليلًا وكلَّمه الله تكليمًا يعني النبي ﷺ؟

**الشيخ:** محمد ﷺ كلَّمه الله تكليمًا واتخذه خليلًا كما كلم موسى واتخذ إبراهيم خليلًا.

**مداخلة:** أحسن الله عملك! يقول: فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة.

**الشيخ:** في نظر أقول: المعروف أن الشفاعة قبل، العباد يذهبون إلى آدم إلى آخره. وسند حذيفة هذا، سنده.

**مداخلة:** ما له إسناد.

**الشيخ:** ما له سند؟

**مداخلة:** قال حذيفة.

**الشيخ:** نعم. فيه غرابة من هذه الحيثية، المحفوظ في أحاديث الشفاعة أنه يشفع فيهم عند شدة الكرب قبل أن يقضى بينهم، ثم بعد شفاعته يقضى بينهم، ثم يشفع أخرى لأهل الجنة حتى يدخلوها. هذا المعروف في الأحاديث الصحيحة المتواترة.

**مداخلة:** لكن رواية حذيفة ما كأنها جاءت خاصة بالأعراف يعني مرة مكررة. ساقه في رجال يقال: لهم الأعراف.

الشيخ: ماذا قال؟

وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار، فجُعلوا على الأعراف، يعرفون الناس بسيماهم، فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كأنه خاص بهم، خاص بالأعراف، الأثر كأنه خاص بالأعراف. على كل حال غريب، ولا له سند.. المعروف أن أهل الموقف جميعًا عندما يشتد بهم الأمر وتعظم الكربة يذهب المؤمنون إلى آدم فيقولون له ما يقولون، ثم آدم يحيلهم إلى نوح إلى آخره. هذا هو المعروف في الأحاديث المتواترة أن الشفاعة حين شدة الكرب قبل أن يقضى بين الناس، وأن المؤمنين يتقدمون إلى آدم.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ **[الأعراف: ٥٠، ٥١]**(١).

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم، وأنهم لا يجابون إلى ذلك.

قال السُّدِّي: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأحد ١٤ ـ ٨ ـ ١٤١٥هـ.

﴿ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: الطعام. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: يستطعمونهم ويستسقونهم.

وقال الثوري، عن عثمان الثقفي، عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول: قد احترقت، أفض عليَّ من الماء. فيقال لهم: أجيبوهم. فيقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾. وروي من وجه آخر عن سعيد، عن ابن عباس، مثله [سواء] وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾، يعني: طعام الجنة وشرابها.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا لمزيد التوبيخ والتقريع لما سلف من أعمالهم الخبيثة، لأنهم فرطوا في الدنيا وضيعوا، قد أمروا وجاءت الرسل ونزلت الكتب تأمرهم وتنهاهم، تأمرهم بعبادة الله وتزجرهم عن عبادة الطاغوت فلم يستجيبوا، فلما جاء يوم القيامة وصار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار نادى أصحاب الجنة أصحاب النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ﴾، أهل الجنة وجدوا النعيم، وأهل النار وجدوا الجحيم نسأل الله. ثم نادى أصحاب النار أصحاب الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، يعني: اسعفونا. فيجيبهم أهل الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١﴾، يعني: ولما كانوا بآياتنا يجحدون، فلكفرهم وجحدهم الحق صاروا إلى النار.

فالواجب على العاقل أن ينتبه في هذه الدار دار العمل قبل أن يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، يا أسفا على ما فرطت في جنب الله! هذا يوم العمل، هذه دار العمل، دار الاستقامة، دار المحاسبة، دار

المجاهدة، أما الآخرة فهي دار الجزاء، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. فالله ﷻ تقدم إلى الناس بالرسل والكتب وأقام الحجج وقطع المعاذير. فالواجب على أهل المكلف أن ينتبه وأن لا تغره الحياة الدنيا بزخرفها وشهواتها، وأن لا يتبع هواه، وأن لا يغره دعاة الباطل ودعاة النار، بل يستعمل عقله، ولينظر: لماذا خُلق؟ لماذا أُمِر؟ هل هو مخلوق سدى؟ كلا، يقول سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؟ هذا استفهام إنكار، ليس الأمر كذلك. ويقول أيضًا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]؟ يعني: كلا، لم تخلقوا عبثًا ولا سدى، خُلِقتم لأمر عظيم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، خُلقوا ليعبدوا الله، ليطيعوا الله وينقادوا لشرعه. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، يعني: الأمر واضح، أمر تقريع وتوبيخ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] تقريع، ليس بإذن ولكنه تقريع وتوبيخ لهم ووعيد لهم، ولهذا قال ﷻ بعده: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، يعني: فلن تفوتوا الله، اعملوا، أنتم مخلوقون لطاعة الله، والحق قد بان لكم وقد بين لكم، فمن شاء فليؤمن وله الجنة، ومن شاء فليكفر وله النار، له الوعيد، له العذاب الأليم. هو وعيد وتقريع وتوبيخ. وهكذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]، يعني: يميلون عن الحق. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]؟ هل يستويان؟ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]؟ ثم يقول متوعدًا لهم: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، يعني: فلن تفوتوا الله، بل سوف تعرضون عليه ويجازيكم

بأعمالكم. فليحذر العاقل أن يغتر بهذه المهلة، بهذه الدار، أو بمن ضل من الناس، لا، لينظر من اهتدى، لينظر بماذا أمر، ما هو المصير، ليعد العدة لعله ينجو، ولا يغتر بالأكثر، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وربك يقول لك ويعلمك أن تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فأنت اسأل ربك صادقًا أن يهديك صراطه المستقيم، وهو دينه الذي بعث به رسله، إذا هديت له صرت إلى دار الكرامة، دار النعيم التي وعد الله بها أهل الصراط المستقيم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، أخبرنا موسى بن المغيرة، حدثنا أبو موسى الصفَّار في دار عمرو بن مسلم قال: سألت ابن عباس ـ أو: سئل ـ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ»، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾[1].

وقال أيضًا: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال: لما مرض أبو طالب قالوا له: لو أرسلتَ إلى ابن أخيك هذا، فيرسل إليك بعنقود من الجنة لعله أن يشفيك به. فجاءه الرسول وأبو بكر عند النبي ﷺ، فقال أبو بكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾.

مداخلة: بالنسبة للميت هل أفضل الصدقة تسبيل الماء لقصة سعد بن معاذ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء برقم (٣٦٨٤)، والنسائي في كتاب الوصايا، باب ذكر الاختلاف على سفيان برفم (٣٦٦٥).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. الأقرب والله أعلم أنه ينظر ما هو أشد حاجة، فإذا كان الناس في حاجة إلى الماء سَبَّل الماء، وإذا كان الناس في حاجة إلى غيره من الطعام واللباس سَبَّل ما يحتاجونه، ينظر حاجة الفقراء، إذا احتاجوا الماء أسعفهم بالماء، وإذا احتاجوا للطعام أسعفهم بالطعام، فالحاجات تختلف، تسبيل الماء فيه خير عظيم، وهكذا تسبيل الأشياء الأخرى كالنخيل والأراضي لتوزع أجرتها بين الناس ويشترى بها حاجات للفقراء..

**الحكم على حديث: (أفضل الصدقة الماء) صحيح هذا؟**

**الشيخ:** يحتاج نظر في سنده.

**الشيخ:** وهذا مرسل، أبي صالح تابعي. مرسل.

**مداخلة:** في الحاشية عندنا على الأثر السابق.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** الذي عند أبي حاتم.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** هذا فيه تحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

**الشيخ:** نعم، ماذا قال.

**مداخلة:** هذا حديث ضعيف ؛ فإن موسى بن المغيرة وهو الزقاق أو الدقاق وشيخه أبا موسى الصفار مجهولان. هكذا قال الذهبي في الميزان في ترجمة كل واحد منهما، وذكر هذا الحديث في ترجمة موسى بن المغيرة.

**الشيخ:** نعم، بين. وبهذا يكون ضعيف عن ابن عباس ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا من اتخاذهم الدين لهوًا

ولعبًا، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للدار الآخرة.

قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾؛ أي: نعاملهم معاملة من نَسيهم؛ لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه، كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة، كما قال: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

يعني: تركتها وضيعتها، فلهذا ضيع وترك، وهو سبحانه لا ينسى شيء، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤]، لكن معناه: أنه تركهم في ضلالهم وعماهم وعذابهم. نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال العَوْفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ قال: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: نتركهم، كما تركوا لقاء يومهم هذا. وقال مجاهد: نتركهم في النار. وقال السُّدِّي: نتركهم من الرحمة، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «**ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذَرْك ترأس وتَرْبَع؟ فيقول: بلى. فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله: فاليوم أنساك كما نسيتني**»[١].

* *

(١) سبق تخريجه في (١/ ٤٣٧).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٢، ٥٣][1].

يقول تعالى مخبرًا عن إعذاره إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول، وأنه كتاب مفصَّل مبين، كما قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الآية [هود: ١].

وقوله: ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على علم منا بما فصَّلناه به، كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]

قال ابن جرير: وهذه الآية مردودة على قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ الآية.

وهذا الذي قاله فيه نظر، فإنه قد طال الفصل، ولا دليل على ذلك، وإنما لما أخبر عما صاروا إليه من الخسار في الدار الآخرة، ذكر أنه قد أزاح عللهم في الدار الدنيا، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ ولهذا قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾؛ أي: ما وُعِدَ من العذاب والنكال والجنة والنار. قاله مجاهد وغير واحد.

وقال مالك: ثوابه. وقال الربيع: لا يزال يجيء تأويله أمر، حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٤ ـ ٨ ـ ١٤١٥هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن التأويل يطلق على أمور، يطلق على تفسير الشيء، مثل قول ابن جرير: قوله في تأويل قوله، يعني: تفسير قوله تعالى. وقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» (يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ)(١)، يعني: يعمل به ويفسِّره. ويطلق التأويل على صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنًى آخر لدليل دل على ذلك، ويطلق التأويل على العاقبة والنهاية، ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، يعني: هذه نهايتها وهذه عاقبة الرؤيا، تأويلها: منتهاها. ومنه هذه الآية الكريمة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، يعني: عاقبته ومنتهاه وما يدل عليه وينتهي إليه، وتأويله الجنة والنار، تأويل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ونهايته: الجنة للمؤمنين والنار للكافرين.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾؛ أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس - ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: تركوا العمل به، وتناسوه في الدار الدنيا: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾؛ أي: في خلاصنا مما نحن فيه، ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدار الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨] كما قال هاهنا: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾؛ أي: قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيه، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾؛ أي:

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود برقم (٨١٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا ينصرونهم، ولا يشفعون لهم ولا ينقذونهم مما هم فيه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦][(١)].

فيقول الله ﷻ في كتابه العظيم معرِّفًا لعباده وموضحًا لهم ﷻ صفاته العظيمة يقول ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

يبيِّن ﷻ أنه ربُّ الجميع وأنه خالق العباد وخالق السماوات، وخالق الأرض، وخالق الشمس والقمر، كلها خلقه ﷻ فوجب على المكلفين أن يعظموه وأن ينقادوا لأمره، وأن يحذروا ما نهاهم عنه ﷻ، فهو ربهم وخالقهم فله الخلق والأمر ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: إلٰهكم ومعبودكم سبحانه هو الله ﷻ، فهو ربهم الخالق لهم، الرازق لهم، وهو ربهم المستحق أن يعبدوه، وأن يعظموه، وينقادوا لأوامره،

---

(١) حديث المساء، (ص٩٤) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

وينتهوا عن نواهيه، ويصفوه بما هو أهله من كونه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له ولا شبيه له ولا كفء له ولا ند له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﷻ، فله الكمال المطلق من كل الوجوه، له الكمال في قدرته العظيمة، وعلمه الواسع، وله الكمال في حكمته ورحمته، وله الكمال في جميع صفاته، وله الكمال في علوه فوق جميع خلقه ﷻ، فله العلو المطلق علو الذات علو القدر والشرف، وعلو القهر والسلطان ﷻ، فهو رب الجميع وخالق الجميع وهو العالي فوق جميع خلقه.

ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استوى علا وارتفع، والاستواء هو العلو والارتفاع على الوجه اللائق به ﷻ فهو فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات وأعلى المخلوقات، والله فوق العرش ﷻ قد استوى عليه استواء يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته ﷻ، وليس في حاجة إلى العرش ولا غيره بل هو غني بذاته عن كل ما سواه، والعرش وما دونه كله مفتقر إليه كلها مفتقرة إليه ﷻ، وهو الممسك لها والمقيم لها ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الروم ٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]؛ يعني: ما أمسكه أحد من بعده ﷻ فهو الذي أمسك السماوات وهو الذي أقامها وهو الذي أقام العرش وهو الذي أقام الأرض، فكلها قامت بعلمه ﷻ.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يغشى الليل النهار والنهار الليل وكل منهما يطلب الآخر حثيثًا كل ما ذهب هذا أتى هذا صباحًا ومساءً حتى ينتهي هذا العالم وحتى يقضى على هذه الدنيا.

ثم قال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾؛ يعني: هو خلق الشمس وخلق النجوم: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ﴾ مذلّلات بأمره ﷻ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فله الخلق في جميع المخلوقات وله الأمر هو المتصرف في عباده كيف يشاء ﷻ، فالقول قوله والأمر أمره والخلق خلقه ﷻ.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ وأولياؤه ورسله وعباده الصالحون هم المباركون جعلهم الله مباركين ﷻ ونفع بهم العباد، رب العالمين رب المخلوقات كلها خالقها وموجدها ورازقها ومصرف الأشياء كيف يشاء ﷻ.

ثم قال ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾؛ يعني: اسألوه من فضله واعبدوه بطاعة أوامره وترك نواهيه ﷻ فإنَّ الدعاء يطلق على السؤال، وعلى العبادة، فهو الذي يُدعى ويُسأل، وهو الذي يُرجى ويخاف، وهو الذي يُطاع أمره وينتهى عن نهيه ﷻ.

ثم الواجب أن يكون ذلك عن تضرع وعن طمع فيما عنده وعن حذر مما عنده ﷻ، فالعبد يرجو ويخافه ويتضرع إليه في جميع العبادات؛ من صلاة، وصوم، وحج، وجهاد، وصدقة، وغير ذلك، وكل ما أسرَّ العبد العبادة التي يُريد بها وجهه من التنفلات التي يُريد بها وجهه ﷻ، كان ذلك أعظم أجرًا، ولهذا قال: {خفية} فإذا دعاه خفية وعبده خفية بالنوافل التي شرعها لعباده كان هذا أكمل في الإخلاص، ولهذا شرع الله الصلاة في البيت صلاة النوافل، قال عليه الصلاة والسلام: **«أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»**(١)؛ لأنها أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، أما الفرائض ففي المساجد، وهكذا الصلاة التي شرع الله لها الجماعة كالتراويح وصلاة الاستسقاء، فإن هذه تفعل في المساجد في الجماعات كما تفعل صلاة العيد وصلاة الجمعة؛ لأن هذه صلاة عظيمة عامة شرع الله لها الجماعة، أما النوافل الخاصة

---

(١) متفق عليه، من حديث زيد بن ثابت ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب صلاة الليل برقم (٧٣١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم (٧٨١).

فالأفضل في البيت لأنها أبعد عن الرياء وأقرب إلى كمال الإخلاص.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الاعتداء في العبادة تارة يكون بالرياء فيها، وتارة يكون بالابتداع وعدم كونها مشروعة، وتارة بالزيادة فيها، وتارة بالنقص فيها؛ فالواجب على المؤمن أن يعبد الله كما شرع لا يزيد ولا ينقص لا يعتدي بل يعبد الله بما شرع بدون زيادة ولا نقصان ومن غير إحداث ولا بدعة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ الإفساد في الأرض بعد الإصلاح؛ يعني: بالمعاصي والمخالفات والبدع، والله أصلحها ببعث الأنبياء وإقامة الشرع فيها هذا صلاحها، أما المعاصي والشرك فهو فسادها أعوذ بالله، فصلاح الأرض وصلاح أهلها بطاعة الله ورسوله وتوحيد الله والإخلاص له، أما فساد الأرض وفساد أهلها بالشرك والمعاصي والمخالفات، هذا هو فساد الأرض.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ يعني: ادعوا الله واعبدوه خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه ﷻ، هكذا المؤمن يعبد ربه طامعًا في ثوابه خائفًا من عقابه ﷻ.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ومن أحسن في عمله فهو أقرب الناس إلى الرحمة، ومن أساء في عمله أبعد عن الرحمة، والإحسان في العمل أن يؤدى كما شرعه الله لا زيادة، هذا هو الإحسان في العمل أن يؤديه خالصًا كاملًا مشتملًا على الضراعة إلى الله والخوف منه والطمع في ثوابه ومحبته إخلاصًا له ﷻ، فكلما كان العمل أكمل في الإخلاص والمتابعة والحب في الله والطمع في ثوابه والحذر من عقابه كان ذلك أقرب إلى قبوله وإلى مضاعفة ثوابه؛ لأن صاحبه يكون من المحسنين والله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

رزقنا الله وإياكم التوفيق والهداية وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وصلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤][(١)].

يخبر تعالى بأنه خلق هذا العالم: سماواته وأرضه، وما بين ذلك في ستة أيام، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن، والستة الأيام هي: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة. وفيه اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عليه السلام. واختلفوا في هذه الأيام: هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان؟ أو كل يوم كألف سنة، كما نصَّ على ذلك مجاهد، والإمام أحمد بن حنبل، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس؟ فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق؛ لأنه اليوم السابع، ومنه سمي السبت، وهو القطع.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا حجاج، حدثنا ابن جُرَيْج، أخبرني إسماعيل بن أُمَيَّة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع ـ مولى أم سلمة ـ عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خَلَقَ الله عز وجل التربَة يَوْمَ السَّبْتِ، وخَلَقَ فيها الجِبَالَ يَوْمَ الأحَد، وخَلَقَ الشَجَرَ يَوْمَ الاثنَينِ، وَخَلَقَ المكروهَ يَوْمَ الثلاثاء، وخَلَقَ النُّورَ يوم الأربعاء، وبَثَّ فيها الدَّوابَ يوم الخَميس، وخَلَقَ آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق، وفي آخر ساعةٍ مِن سَاعَاتِ الجُمعة فيما بين العَصْر إلى الليلِ**».

فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه، عن حجاج ـ وهو ابن محمد الأعور ـ عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال في ستة أيام؛ ولهذا تكلم البخاري

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة، عن كعب الأحبار، ليس مرفوعًا، والله أعلم(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ بل الأمر كما قال الأئمة ـ منهم نُعَيْم بن حماد

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٥)، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤١٣/١) معلقًا، ووصله مسلم في كتاب الجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام برقم (٢٧٨٩). وقال سماحة شيخنا في سؤال طرح على سماحته من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر الباز مستشار سماحته قائلًا هل في الصحيحين أحاديث غير صحيحة نرجو إفادتنا بذلك أثابكم الله.

فأجاب سماحته رحمه الله ليس في الصحيحين أحاديث غير صحيحة؛ بل كل ما فيهما صحيح قد تلقته الأمة بالقبول، وبيَّنوا أن ما فيهما صحيح مسلم مقبول، وقد يسمى بعضه حسنًا؛ لكن في الجملة صحيح، أحاديث الصحيحين مقبولة وصحيحة متلقاة بالقبول عند أهل العلم، وهناك حديث واحد توقف بعض أهل العلم في قبوله في صحيح مسلم وقع في وهم، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله خلق التربة يوم السبت وعدد مخلوقاته إلى أن قال وخلق آدم يوم الجمعة، فجعل الخلق في سبعة أيام، قال البخاري وجماعة إنه وهم وإنه من كلام كعب الأحبار وهِمَ في بعض الرواة فرفعه إلى أبي هريرة إلى النبي ﷺ، وإنما هو وهم، وهذا هو الصواب، قول البخاري في هذه الرواية هو الصواب إنه وهم، هذا الحديث في مسلم وهم من جهة الرفع؛ لأن الله سبحانه وتعالى، أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، هذا المتن الذي رواه من رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه وهم، وإنما هو عن التابعي الذي روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار.

الخزاعي شيخ البخاري ـ: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر». وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى.

وقوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾؛ أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا؛ أي: سريعًا لا يتأخر عنه؛ بل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠]، فقوله: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: لا يفوته بوقت يتأخر عنه؛ بل هو في أثره لا واسطة بينهما؛ ولهذا قال: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ ـ منهم من نصب، ومنهم من رفع، وكلاهما قريب المعنى؛ أي: الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته؛ ولهذا قال منبِّهًا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: له الملك والتصرف، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا هشام أبو عبد الرحمٰن، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد، حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري، عن عبد العزيز الشامي، عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح، وحمد نفسه، فقد كفر وحبط عمله. ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئًا، فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه**»؛ لقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ وفي الدعاء المأثور، عن أبي الدرداء ـ وروي مرفوعًا ـ: «**اللَّهُمَّ لك الملك كله، ولك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر**

**كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله»**(١).

* *

**□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]**(٢).

أرشد سبحانه وتعالى عباده إلى دعائه، الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قيل معناه: تذلُّلًا واستكانة، وخُفْيَة كما قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وفي الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»**(٣) الحديث.

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال: السر.

وقال ابن جرير: ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللًا واستكانة لطاعته. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاة.

وقال عبد الله بن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إنْ كانَ الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر به الناس. وإن كان

---

(١) سبق تخريجه (١/١٠٨).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ١٨ - ١٠ - ١٤١٥هـ.

(٣) سبق تخريجه في (٢/٥٣٨).

الرجل لقد فقُه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزُّوَّر وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبدًا. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا رَضِي فعله فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: ٣].

وقال ابن جُرَيْج: يكره رفع الصوت والنداء والصياحُ في الدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة، ثم روي عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ في الدعاء ولا في غيره.

وقال أبو مِجْلِز: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ لا يسأل منازل الأنبياء.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا عبد الرحمٰن بن مَهْدِي، حدثنا شعبة، عن زياد ابن مِخْراق، سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد؛ أن سعدًا سمع ابنًا له يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ، إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحوًا من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها. فقال: لقد سألت الله خيرًا كثيرًا، وتعوَّذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء**». وقرأ هذه الآية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ وإن بحسبك أن تقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**»(١). ورواه أبو داود، من حديث شعبة، عن زياد بن مخراق، عن أبي نَعَامة، عن ابن لسعد، عن سعد، فذكره(٢)، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء برقم (٣٨٤٦)، والإمام أحمد (١/ ١٧٢، ١٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨٠).

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفَّان، حدثنا حَمَّاد بن سلمة، أخبرنا الجريري، عن أبي نَعَامة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللَّهُمَّ، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني، سل الله الجنة، وعُذْ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ والطَّهُورِ»**[١].

وهكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان به. وأخرجه أبو داود، عن موسى ابن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نَعَامة واسمه: قيس ابن عباية الحنفي البصري وهو إسناد حسن لا بأس به[٢]. والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

مراد عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسعد بن أبي وقاص، مرادهم أنه ينبغي للمؤمن في الدعاء عدم التكلف، ولكن يدعو بما يهمه من غير تكلف، فيسأل الله الجنة ويعوذ به من النار، يسأل الله الرزق الحلال، الزوجة الصالحة، الذرية الطيبة، من غير حاجة إلى أن يقول: القصر الفلاني أو القصر الفلاني والمحل الفلاني. هذا اجتهاد من عبد الله ومن سعد بن أبي وقاص كما تقدم؛ لأنه متى دخل الجنة فله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، لهم فيها كل نعيم، فلهذا نصح عبد الله ابنه بعدم التكلف في هذا. وأما ما ورد في الأحاديث الكثيرة من تنويع الدعاء فهذا يدل على أنه لا بأس بتنويع

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب الإسراف في الوضوء برقم (٩٦)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء برقم (٣٨٦٤).

الدعاء، يسأل الله الجنة، يسأل الله رضاه والجنة، يسأل الله العفو، يسأل الله المغفرة، يسأل الله النجاة من النار، يسأل الله صلاح القلوب، صلاح العمل، كل هذه وسائل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك يا شيخ! حديث: «**يسأل أحدكم كل شيء حتى شسع النعل**» **هذا.....**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا عام، لكن هذا ما ينافي عدم التكلف.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح!

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: وما أضر الإفساد بعد الإصلاح، يعني: ضرره عظيم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد. فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه، فقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ أي: خوفًا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعًا فيما عنده من جزيل الثواب.

ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾؛ أي: إن رحمته مُرْصَدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره، كما قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وقال: ﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: «قريبة»؛ لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله، فلهذا قال: قريب من المحسنين.

وقال مطر الوراق: تَنَجَّزوا موعود الله بطاعته، فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين، رواه ابن أبي حاتم.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ **[الأعراف: ٥٧، ٥٨]**(١).

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض، وأنه المتصرف الحاكم المدبِّر المسخِّر، وأرشد إلى دعائه؛ لأنه على ما يشاء قادر ـ نبه تعالى على أنه الرزّاق، وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾؛ أي: ناشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر، ومنهم من قرأ ﴿بُشْرًا﴾ كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأحد ١٨ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: بين يدي المطر، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾؛ أي: حملت الرياح سحابًا ثقالًا؛ أي: من كثرة ما فيها من الماء، تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رَحِمَهُ اللَّهُ:

**وأسلمتُ وجْهِي لمنْ أسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْمل عَذْبا زُلالا**
**وأسلَمْتُ وَجْهي لمن أسلَمَتْ له الأرض تحملُ صَخرًا ثقالا**

مداخلة: أقول: قول المؤلف لأنه على ما يشاء قادر.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا حرج في ذلك، مثل ما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] في سورة الشورى. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ لا يمنع قدرته الكاملة، ولهذا في غالب النصوص: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] هذا أكمل. وإذا قال: إنه على ما يشاء قادر، أو إنه على جمع الناس قادر لا بأس؛ لأن ما دام كل ما شاء هو قادر عليه ما بقي شيء.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: إلى أرض ميتة، مجدبة لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]؛ ولهذا قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رَمِيمًا يوم القيامة، ينزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ماء من

السماء، فتمطر الأرض أربعين يومًا، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض. وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلًا للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

وقوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعًا حسنًا، كما قال: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قال مجاهد وغيره: كالسباخ ونحوها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا حماد بن أسامة عن بُرَيد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**[2]. رواه مسلم والنسائي من طرق، عن أبي أسامة حماد بن أسامة، به[3].

---

(١) **الشيخ**: هذا هو بريد بن عبد الله بن أبي بردة هو حفيد أبي بردة تارة يقول عن أبي بردة وتارة يقول عن جده حماد بن أسامة

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٦٩٧).

(٣) المصدر السابق.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: مع البخاري وقد تقدم وهو من أحاديث الصحيحين. وهو حديث عظيم، يدل على فضل العلم والتعليم، وأن الأمة ثلاثة أقسام: قسم علموا وتفقهوا وعملوا ونقلوا العلم، وقسم نقلوا العلم، حفظوه ونقلوه وصار فقههم فيه أقل، وقسم ثالث لم ينقلوا ولم يتفقهوا ولم يعملوا، كالقيعان التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً. هذا مثل عظيم لما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدى. «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**»، وهذه صفات العلماء العاملين الفقهاء في دين الله، المتبصِّرين. (وكانت منها أجادب أمسكت الماء) يعني: أراضي مطمئنة منخفضة، (أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا) وهم الحفَّاظ، حفَّاظ الحديث، أئمة الحديث، أئمة النقل. (وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً) مما يدل على أنه يمشي. (ولا تنبت كلأً) فذلك مثل أكثر الخلق.

**والحاصل من هذا**: أن هذه الأمثلة الذي ضربها الله للوعظ والتذكير والتنبيه، وأن على المكلفين العناية بأسباب السعادة وأسباب الرحمة وأسباب التوفيق، فرحمة الله قريبة من المحسنين، وفضله قريب من المتقين، فليتعرض لرحمة الله وإحسانه بالأسباب الطيبة، ولا يتساهل ولا يعرض ولا يغفل، فرحمة الله واسعة وجوده عظيم، ولكن لذلك أسباب، فليحرص على الأسباب من تقوى الله وطاعته، والإحسان إلى عباده، وضراعته إليه، وطلبه العون والغوث والمغفرة والرحمة.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٢][١].

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة، وما يتعلق بذلك وما يتصل به، وفرغ منه، شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، الأول فالأولَ، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام، وهو: نوح بن لامك بن متوشلح بن خَنُوخ ـ وهو إدريس النبي عليه السلام ـ فيما، يزعمون، وهو أول من خط بالقلم ـ ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام.

هكذا نسبه محمد بن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب، قال محمد بن إسحاق: ولم يلق نبي من قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل.

وقال يزيد الرقاشي: إنما سمّي نوحًا لكثرة ما ناح على نفسه.

وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليه السلام، عشرة قرون، كلهم على الإسلام[٢]، قاله عبد الله ابن عباس.

قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢٥ ـ ١ ـ ١٤١٥هـ.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في قصص الأنبياء (١/ ٦٠)، ونسبه للبخاري في صحيحه، وأخرجه ابن حبان بسند صحيح عن أبي أمامة مرفوعًا بنحوه الإحسان (١٤/ ٩٦ح ٦١٩٠)، وصححه محققه، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (برقم ٧٥٤٥)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة. المجع (٨/ ٢١٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٦٢). انظر: تفسير الحافظ ابن كثير للدكتور حكمت بشير (بتصرف يسير).

عبدت الأصنام، أن قومًا صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجدَ وصوَّروا صور أولئك فيها، ليتذكروا حالهم وعبادتهم، فيتشبهوا بهم. فلما طال الزمان، جعلوا تلك الصور أجسادًا على تلك الصور. فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسمَّوها بأسماء أولئك الصالحين «ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا». فلما تفاقم الأمر بعث الله ﷻ ـ وله الحمد والمنة ـ رسوله نوحًا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الصور جاء في حديث ابن عباس أنهم صوَّروهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم من دون الله. ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا طال الأمد عُبدت من دون الله، وصارت أوثانًا وآلهة لهم يعبدونها من دون الله، فلما وقع هذا الشرك الوخيم بعث الله نوحًا عليه الصلاة والسلام إليهم. ونوح أول رسول أرسله الله إلى الأرض بعد آدم، وأما زعم من زعم أن نوح إنه إدريس وأنه جد نوح الثاني فهو محل نظر، والظاهر والله أعلم أن إدريس بعد ذلك، إدريس بعد هذا في بني إسرائيل، فليس بين نوح وبين آدم نبي. وهذا يبين خطر البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها، وأنه الوسيلة القريبة إلى الشرك بالله ﷻ، كما فعل قوم نوح، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذِّر ما صنعوا**»، وقال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون**»، وقال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**». فالواجب الحذر مما فعله قوم نوح من التصوير والبناء على القبور واتخاذ المساجد عليها وسائر ما يتعلق بالقبور فيها، لأنه وسيلة الشرك، ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ**

وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[(١)].

**الأسئلة:**

● **س: أحسن الله إليك! شيث ما جاء أنه نبي؟**

**الشيخ: نعم؟**

○ **الجواب**: ما ثبت فيه شيء، إنما هو آدم فقط ثم نوح نبوة آدم عليه السلام يعتبر نبيًا رسولًا أم نبي فقط؟

○ **الجواب**: ظاهر الأدلة الشرعية أنه نبي ورسول، لكن قبل وقوع الشرك، ولهذا دعا ذريته وعلمهم وأرشدهم، فهو نبي فيهم ورسول إليهم، علَّمهم وأرشدهم وصاروا على دينه عشرة قرون حتى وقع الشرك في قوم نوح فبعث إليهم نوح، فهو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾؛ أي: من عذاب يوم القيامة إنْ لقيتم الله وأنتم مشركون به ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾؛ أي: في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا. وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] إلى غير ذلك من الآيات.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي برقم (٣٠٢٩).

أي: ما أنا ضال، ولكن أنا رسول من رب كل شيء ومليكه، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾. وهذا شأن الرسول، أن يكون بليغًا فصيحًا ناصحًا بالله، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات، كما جاء في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعًا: «**أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكتُها[1] عليهم ويقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[2].

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٣، ٦٤][3].

يقول تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾؛ أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس يعجَب أن يوحي الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفًا وإحسانًا إليكم، لإنذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) قال سماحته رحمه الله: الظاهر ينكتها عليهم يعني هكذا ويردها، هكذا يرفعها إلى السماء ثم يردها إليهم.
**مداخلة:** لكن ما ورد أو ينكتها أيضًا.
**الشيخ:** ما أتذكر تراجع روايات مسلم وغيره.

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الحج، باب صفة حج النبي ﷺ (١٢١٨).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس يعجب وإلا ليس بعجب؟

**مداخلة**: يعجب.

**الشيخ**: بالياء؟

**مداخلة**: إي نعم.

**مداخلة**: عندنا: بالباء، ليس بعجب.

**الشيخ**: محتمل.. نسخة: بعجب يعني: ليس محل إنكار واستنكار، عجب إنكار، بل هو مما يسر كل مؤمن ومما تقتضيه الحكمة الإلهية والرحمة أن يرسل الرسل وينزل الكتب، حتى تقوم الحجة وتنقطع المعذرة، فليس محل إنكار، بل محل استحسان ومحل إقرار ومحل اعتراف بأنه رحمة من الله وإحسان منه إلى عباده.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فتمادوا على تكذيبه ومخالفته، وما آمن معه منهم إلا قليل، كما نص عليه في موضع آخر، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وهي السفينة، كما قال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كما قال: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: عن الحق، لا يبصرونه ولا يهتدون له.

فبيَّن تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه، وأنجى رسوله والمؤمنين، وأهلك أعداءهم من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة، أن العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم، كما أهلك قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالغرق ونجى نوحا وأصحابه المؤمنين.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ما عذب الله قوم نوح عليه السلام إلا والأرض ملأى بهم، وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز.

وقال ابن وَهْب: بلغني عن ابن عباس: أنه نجا مع نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلًا أحدهم «جُرْهم»، وكان لسانه عربيًّا.

رواهن ابن أبي حاتم. وقد روي هذا الأثر الأخير من وجه آخر متصلًا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه أخبار الماضين تروى هكذا ولا يعلم الحقيقة إلا الله جل وعلا، أما عددهم فلا يعلمهم إلا الله، لأن هذا لا يعلم إلا بنص، لكن الله جل وعلا بيَّن أنهم قليل، ﴿وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، والأغلب والأكثرون كلهم كفروا بالله وكذبوا نبيه والعياذ بالله، فحقت عليهم اللعنة والعقوبة بالغرق. نسأل الله العافية. وهكذا سنة الله في عباده، إذا استكبروا عن الحق وتمادوا في الباطل عجَّل لهم العقوبة. نسأل الله العافية. وقد يملي ولا يغفل سبحانه وتعالى..

**مداخلة:** أقول: لم يطبق الأرض إلا قوم نوح أليس كذلك؟

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** السياق الذي عند الشيخ عمر: ما عذب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى منهم، أليس أصح؟

**الشيخ:** لا، ظاهره من بيان أن الله جل وعلا ما عذب قومًا إلا والأرض مملوءة منهم، يعني: قد انتشروا.

**مداخلة:** إذا وقع.....

**الشيخ:** هذا عن ابن عباس؟

مداخلة: وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما عذب الله قومًا.

الشيخ: قومًا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: إلا.

مداخلة: إلا والأرض ملأى منهم.

الشيخ: هذا.

مداخلة: وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز.

الشيخ: هذا أقربها، ولو جعل نسخة ما في بأس، نسخة: قوم نوح. نسخة لا بأس، محتمل.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ **[الأعراف: ٦٥ - ٦٩]**[(١)].

يقول تعالى: وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحًا، كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا.

قال محمد بن إسحاق: هم من ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأحد ٢ - ١١ - ١٤١٥هـ.

قلت: وهؤلاء هم عاد الأولى، الذين ذكرهم الله [تعالى] وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العَمَد في البر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨] وذلك لشدة بأسهم وقوتهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل.

قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبًا أحمر تخالطه مَدَرَة حمراء ذا أَرَاكٍ وسدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. والله إنك لتنعته نعتَ رجل قد رآه. قال: لا ولكني قد حدِّثتُ عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبرُ هود عليه السلام.

رواه ابن جرير وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن، وأن هودًا عليه السلام، دفن هناك، وقد كان من قومه نسبًا؛ لأن الرسل [صلوات الله عليهم] إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم، ولكن كان قومه كما شُدّد خلقهم شُدِّد على قلوبهم، وكانوا من أشد الأمم تكذيبًا للحق؛ ولهذا دعاهم هود عليه السلام، إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعته وتقواه.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ ـ والملأ هم: الجمهور والسادة والقادة منهم ـ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝﴾؛ أي: في ضلالة حيث دعوتنا إلى ترك عبادة الأصنام، والإقبال إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما تعجَّب الملأ من قريش من الدعوة

إلى إلـه واحـد ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾؛ أي: ليست كما تزعمون؛ بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء، فهو رب كل شيء ومليكه ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾، وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغة والنصح والأمانة.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ﴾؛ أي: لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولًا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه؛ بل احمدوا الله على ذاكم، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾؛ أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم من ذرية نوح، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته، لما خالفوه وكذبوه، ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾؛ أي: زاد طولكم على الناس بسطة؛ أي: جعلكم أطول من أبناء جنسكم، كما قال تعالى: في قصة طالوت: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نعمه ومننه عليكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥﴾ [وآلاء جمع ألى، وقيل: إلى].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأصل في هذا أن عاد وغيرهم أشربت قلوبهم الكفر والضلال واتخاذ الأنداد، فلهذا استكبروا عن اتباع الحق واستغربوه وأنكروه، كما أنكرت قريش ذلك، تشابهت قلوبهم، ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فلهذا أنكرت عليهم الرسل ودعتهم إلى الحق، وبلَّغتهم رسالة الله، وكانت عاد من أخبث الأمم وأشدها تكذيبًا، وقد أعطاهم الله قوة في الأبدان، فلهذا قالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت: ١٥]؟ وغرتهم قوتهم، بيَّنت لهم الرسل أن الواجب عليهم اتباع الحق وأن ينصروا الحق والدخول في دين الله، وأنه دين الله الذي به

السعادة وبه النجاة، ولكن القوم لا يعقلون؛ لما أراد الله لهم من الشقاوة والعقاب العاجل. نسأل الله العافية.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: ٧٠ ـ ٧٢][1].

يقول تعالى مخبرًا عن تمرُّدهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود ﷺ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ كما قال الكفار من قريش: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره: أنهم كانوا يعبدون أصنامًا، فصنم يقال له: صُدَاء، وآخر يقال له: صمُود، وآخر يقال له: الهباء، ولهذا قال هود ﷺ: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾؛ أي: قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس وغضب، قيل: هو مقلوب من رجز. وعن ابن عباس: معناه السخَط والغضب.

﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾؛ أي: أتحاجوني في

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٢ ـ ١١ ـ ١٤١٥هـ. ومغرب الأحد ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٥هـ.

هذه الأصنام التي سمَّيتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلًا؛ ولهذا قال: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾.

وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه؛ ولهذا عقَّب بقوله: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾.

وقد ذكر الله، سبحانه، صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨]، لما تمرَّدوا وعتوا أهلكهم الله بريح عاتية، فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أمّ رأسه فتثلغُ رأسه حتى تُبينه من بين جثته؛ ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾.

وقال محمد بن إسحاق: كانوا يسكنون باليمن من عُمَان وحضرموت، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها، بفضل قوتهم التي آتاهم الله، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، فبعث الله إليهم هودًا عليه السلام، وهو من أوسطهم نسبًا، وأفضلهم موضعًا، فأمرهم أن يوحِّدوا الله ولا يجعلوا معه إلٰهًا غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس، فأبوا عليه وكذبوه، وقالوا: من أشد منا قوة؟ واتبعه منهم ناس، وهم يسير مكتتمون بإيمانهم، فلما عتت عاد على الله وكذبوا نبيه، وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا، وبنوا بكل ريع آية عبثًا بغير نفع، كلَّمهم هود فقال: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٨ ـ ١٣١]، ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا

نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾؛ أي: بجنون ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٣ ـ ٥٦].

قال محمد بن إسحاق: فلما أبوا إلا الكفر به، أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين، فيما يزعمون، حتى جَهدهم ذلك، قال: وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان، فطلبوا من الله الفرج فيه، إنما يطلبونه بحُرْمة ومكان بيته، وكان معروفًا عند المِلَل وبه العماليق مقيمون، وهم من سلالة عمليق بن لاوَذ بن سام بن نوح، وكان سيدهم إذ ذاك رجلًا يقال له: «معاوية بن بكر»، وكانت له أم من قوم عاد، واسمها كلهدة ابنة الخيبري، قال: فبعثت عاد وفدًا قريبًا من سبعين رجلًا إلى الحرم، ليستسقوا لهم عند الحرم، فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه، فأقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان ـ قينتان لمعاوية ـ وكانوا قد وصلوا إليه في شهر، فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه، واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف، عمل شعرًا يعرِّض لهم بالانصراف، وأمر القينتين أن تغنياهم به، فقال:

**ألا يا قيل ويحك قم فَهَيْنم ... لعلّ الله يُصْبحُنَا غَمَاما**
**فَيَسْقي أرضَ عادٍ إنّ عادًا ... قَد امْسَوا لا يُبِينُونَ الكَلاما**
**من العطش الشديد فليس نَرجُو ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغُلاما**
**وَقْد كانَت نساؤهُم بخيرٍ ... فقد أمست نِسَاؤهم عَيَامى**
**وإنّ الوحشَ تأتيهمْ جِهارا ... ولا تَخْشَى لعاديَ سِهَاما**
**وأنتم هاهُنَا فيما اشتَهَيْتُمْ ... نهارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التماما**
**فقُبّحَ وَفْدكم من وَفْدِ قَوْمٍ ... ولا لُقُّوا التحيَّةَ والسَّلاما**

قال: فعند ذلك تنبَّه القوم لما جاءوا له، فنهضوا إلى الحرم،

ودعوا لقومهم فدعا داعيهم، وهو: «قيل بن عنز» فأنشأ الله سحابات ثلاثًا: بيضاء، وسوداء، وحمراء، ثم ناداه مناد من السماء: «اختر لنفسك ـ أو: ـ لقومك من هذا السحاب»، فقال: «اخترت هذه السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماء» فناداه مناد: اخترت رَمادا رِمْدَدًا، لا تبقي من عاد أحدًا، لا والدًا تترك ولا ولدًا، إلا جعلته هَمدا، إلا بني اللّوذيّة المهندا قال: وبنو اللوذية: بطن من عاد مقيمون بمكة، فلم يصبهم ما أصاب قومهم ـ قال: وهم من بقي من أنسالهم وذراريهم عاد الآخرة ـ قال: وساق الله السحابة السوداء، فيما يذكرون، التي اختارها «قيل بن عنز» بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد يقال له: «المغيث»، فلما رأوها استبشروا، وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]؛ أي: تهلك كل شيء مَرّت به، فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح، فيما يذكرون، امرأة من عاد يقال لها: مَهْدد، فلما تبينت ما فيها صاحت، ثم صُعِقت. فلما أفاقت قالوا: ما رأيت يا مَهْدد؟ قالت ريحًا فيها شُهُب النار، أمامها رجال يقودونها. فسخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، كما قال الله. و«الحسوم»: الدائمة ـ فلم تدع من عاد أحدًا إلا هلك واعتزل هُود عليه السلام، فيما ذكر لي، ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود، وتلْتذ الأنفس، وإنها لتمر على عاد بالطعن ما بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة.

وذكر تمام القصة بطولها، وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]

وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

قف على هذا، نسأل الله العافية.

**الأسئلة:**

• **س: الحكم على أثر علي رضي الله عنه في تعيين قبر هود عليه السلام حفظك الله! في تعيين قبر هود في اليمن صحيح؟**

○ **الجواب**: هذا من أخبار بني إسرائيل، أقول: من أخبار بني إسرائيل، ما يعتمد عليه؛ لأنه نقله من بني إسرائيل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: بعض الإخوة أرسل ورقة يقول: يوجد في منطقة حضرموت الآن منطقة يقال لها قبر هود، ولها زيارة سنوية تُشد لها الرحال.

**الشيخ**: ما عليها دليل. هذا من الباطل، الواجب على دولة اليمن إزالة هذا، نسأل الله العافية.

• **س: صحة القول بتعيين قبر هود عليه السلام؟**

○ **الجواب**: ما يعرف قبر نبي إلا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، **جميع الأنبياء ما تعرف قبورهم إلا إبراهيم في الخليل من غير أن يعرف عينه، في مقبرة الخليل من غير أن يعرف عينه فقط. نعم. والبقية لا تعرف قبورهم، لا هود ولا صالح ولا غيرهم.**

**مداخلة**: أحسن الله إليك! التكرار من شؤون الشرك وعبادة الأوثان. . . . .

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أسباب ذلك؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

ابتلاء وامتحان، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ابتلاهم الله بهذا؛ حتى يتبين الصادق من الكاذب، ويعرف الناجي من المتبع للهوى .الله المستعان. ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

**الأسئلة**:

**الحكم على أثر علي رضي الله عنه في تعيين قبر هود عليه السلام في اليمن صحيح؟**

○ **الجواب**: هذا من أخبار بني إسرائيل، أقول: من أخبار بني إسرائيل، ما يعتمد عليه، لأنه نقله من بني إسرائيل.

**مداخلة**: بعض الإخوة أرسل ورقة يقول: يوجد في منطقة حضرموت الآن منطقة يقال لها قبر هود، ولها زيارة سنوية تشد لها الرحال.

**الشيخ**: ما عليها دليل. هذا من الباطل، الواجب على دولة اليمن إزالة هذا، نسأل الله العافية.

● **س**: **وقبر هود عليه السلام؟**

○ **الجواب**: ما يعرف قبر نبي إلا قبر نبينا محمد ﷺ، جميع الأنبياء ما تعرف قبورهم إلا إبراهيم في الخليل من غير أن يعرف عينه، في مقبرة الخليل من غير أن يعرف عينه فقط. والبقية لا تعرف قبورهم، لا هود ولا صالح ولا غيرهم.

**مداخلة**: مكان قبر موسى وهارون عليهما السلام.

**الشيخ**: نعم؟

• **س: موسى عليه السلام أليس في الصحيحين أخبر النبي ﷺ؟**

○ **الجواب**: موسى وهارون في التيه، لكن ما يعرف، ما تعرف قبورهم، التيه واسع.

أحسن الله إليك! التكرار من شئون الشرك وعبادة الأوثان. . . . . أسباب ذلك.

**الشيخ**: ابتلاء وامتحان، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ابتلاهم الله بهذا وهذا؛ حتى يتبين الصادق من الكاذب، ويعرف النجاة من المتبع للهوى. الله المستعان. ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]. .

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي، حدثنا عاصم بن أبي النَّجُود، عن أبي وائل، عن الحارث البكري قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة، فهل أنت مبلغي إليه؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وإذا بلال متقلد بسيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس؟ فقالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا. قال: فجلست، فدخل منزله ـ أو قال: رحله فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت فسلمت، قال: هل بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت لنا الدّبَرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن

أحملها إليك، وها هي بالباب. فأذن لها، فدخلت، فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا، فاجعل الدهناء. فحميت العجوز واستوفزت، فقالت: يا رسول الله، فإلى أين يضطر مُضطَرُك؟ قال: قلت: إن مثلي مثل ما قال الأول: «معْزَى حَمَلت حتفها»، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا، أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد! قال: هيه، وما وافد عاد؟ ـ وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه ـ قلت: إن عادًا قُحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له: «قيل»، فمر بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان، يقال لهما: «الجرادتان»، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مَهْرة، فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه. اللَّهُمَّ اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سُودُ، فنودي: منها «اختر». فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: «خذها رمادًا رِمْدِدًا، لا تبقي من عاد أحدًا». قال: فما بلغني أنه بُعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا، حتى، هلكوا ـ قال أبو وائل: وصدق ـ قال: وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: «لا تكن كوافد عاد»[(١)].

هكذا رواه الإمام أحمد في المسند، ورواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن زيد بن الحباب، به نحوه: ورواه النسائي من حديث سلام بن أبي المنذر. عن عاصم وهو ابن بَهْدَلة ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضًا، عن أبي وائل، عن الحارث بن حسان البكري، به. ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيْب عن زيد بن حُبَاب، به. ووقع عنده: «عن الحارث بن يزيد البكري» فذكره، ورواه أيضًا عن أبي كريب، عن أبي بكر بن عياش، عن

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الذاريات برقم (٣٢٧٣)، والإمام أحمد (٣/ ٤٨٢).

عاصم، عن الحارث بن يزيد البكري، فذكره ولم أرَ في النسخة «أبا وائل»، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وهذه عقوبات، نسأل الله العافية. هذه العقوبات، الكفر بالله والتعدِّي لحدوده والاستكبار عن اتباع رسله، استسقوا فجاءهم العذاب، لما رأوه قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]. هذه العقوبات العاجلة، وعقوبات الآخرة وراء ذلك. نسأل الله العافية.

**الأسئلة:**

**الراجح في خبر عاد الأولى والثانية:**

● س: **يعني: تحتمل أن تكون من أخبار بني إسرائيل؟**

○ **الجواب**: لا، هم أشكل عليهم قوله: ﴿عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]، قالوا: يدل على أنه هناك عادًا ثانية، أما ظاهر القرآن أنها عاد واحدة. نعم، هم الذين أهلكوا بالريح وهم أصحاب العارض، هذا الظاهر، هم أصحاب العارض، وهم الذين أهلكوا بالريح.

**حكم الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه:**

● س: **أحسن الله إليكم! قوله: أعوذ بالله وبرسوله؟**

○ **الجواب**: هذا يستعان بالمخلوق في ما يقدر عليه، يعني: لا تخيبني، أقول: لا تخيبني يعني، كون الإنسان يستعين بالشخص في ما يقدر عليه، الحي الحاضر. نعم. الحي الحاضر لا بأس، تقول: أعوذ بك من شر غلمانك، من شر جماعتك حتى يمنعهم منك.

**المقصود بقوله تعالى: (عادًا الأولى):**

● س: **أحسن الله إليك! من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] ماذا يفهم من قوله: ﴿الْأُولَىٰ﴾؟**

○ **الجواب**: لعله يعني: قديمة، هذا المراد قد يحتمل أن المراد أنه الأولى يعني: القديمة التي مضى عليها شأن طويل، فإنها بعد نوح وقيل ثمود وقبل لوط وقبل شعيب، وقبل بني إسرائيل، يعني: قديمة، تقال: الأول، يعني: القديم، ليس بلازم أن يكون بعده ثاني، يعني: القديم السابق.

**مداخلة**: لكن ما يظهر من توحد العقوبة أنه لا يوجد إلا قوم؟

**الشيخ**: هذا الظاهر، الظاهر أنه عاد واحدة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٣ ـ ٧٨][(١)].

قال علماء التفسير والنسب: ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٥هـ.

نوح، وهو أخو جَديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طَسْم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

هذه يقال لها الأمم البائدة، أقوام الرس وثمود وجديس أمم بادت، قضي عليها. الله أكبر. نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا صَخْر بن جُوَيرية، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك، نزل بهم الحِجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا منها القدور. فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجينَ الإبلَ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا وقال: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ**»(١).

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا عفان، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٧٢).

**وأصل هذا الحديث مُخَرَّج في الصَّحيحين من غير وجه**[١].

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا المسعودي، عن إسماعيل بن أوسط، عن محمد بن أبي كَبْشَة الأنماري، عن أبيه قال: لما كان في غزوة تبوك، تسارع الناس إلى أهل الحجر، يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنادى في الناس: «**الصلاة جامعة**». قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول: «**ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم**». فناداه رجل منهم: نعجبُ منهم يا رسول الله. قال: «**أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وبما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسَدِّدوا، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئًا، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا**». لم يخرجه أحد من أصحاب السنن، وأبو كبشة اسمه: عمر بن سعد، ويقال: عامر بن سعد، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه عقوبات، نسأل الله العافية. هذه العقوبات، الكفر بالله والتعدي لحدوده والاستكبار عن اتباع رسله، استسقوا فجاءهم العذاب، لما رأوه قالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]. هذه العقوبات العاجلة، وعقوبات الآخرة وراء ذلك. نسأل الله العافية.

---

(١) ولفظهما: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم**». أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب برقم (٤٣٣)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين برقم (٢٩٨٠).

**الراجح في خبر عاد الأولى والثانية.**

• **س: يعني: تحتمل أن تكون من أخبار بني إسرائيل كونها عادين؟**

○ **الجواب**: لا، هم أشكل عليهم قوله: ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]، قالوا: يدل على أنه هناك عادًا ثانية، أما ظاهر القرآن أنها عاد واحدة، هم الذين أهلكوا بالريح وهم أصحاب العارض، هذا الظاهر.

**حكم الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه.**

• **س: أحسن الله إليكم! قوله: أعوذ بالله وبرسوله؟**

○ **الجواب**: هذا يستعان بالمخلوق في ما يقدر عليه، يعني: لا تخيبني، يعني، كون الإنسان يستعين بالشخص في ما يقدر عليه، الحي الحاضر. بأس، تقول: أعوذ بك من شر غلمانك، من شر جماعتك حتى يمنعهم منك.

**الأسئلة:**

• **س: أحسن الله إليك! سائل يسأل: هل يجوز لمن نوى الحج متمتعًا وهو غير قادر على الهدي أن يصوم قبل أن يدخل في النسك؟ وهل يجوز له أن يصوم أيام التشريق؟**

○ **الجواب**: ليس له أن يصوم قبل دخول النسك، يصوم بعد ذلك، إذا دخل في النسك وقد أحرم بالعمرة جاز له أن يصوم الثلاثة الأيام. وقال بعضهم: بعد التحلل منها. المقصود وجد السبب الأول وهو الإحرام، والوجوب بعد الانتهاء من الحج، بعد إحرامه بالحج يلزمه.

**مداخلة**: وإذا انتهى من العمرة؟

**الشيخ**: صام بين الحج والعمرة لا بأس.

**مداخلة**: بين الحج والعمرة.

**الشيخ**: لا بأس، يصوم الثلاثة الأيام والسبعة بعد العيد.

**مداخلة**: وأيام التشريق أحسن الله إليك؟

**الشيخ**: يصومها. نعم. لقول عائشة وابن عمر ﵄: (لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي).

• **س: يقول أحسن الله إليك أيضًا: رجل يريد أن يعتمر عن زوجته لكونها غير موجودة في البلاد، ولأنه غير قادر على إحضارها للعمرة لحالته المادية، فهل يجوز له ذلك؟**

**الشيخ**: لا، لا، إذا استطاعت تعتمر، ما يحج عن غير الحي إلا إذا كان عاجزًا، لكبر سنه أو مرض لا يرجى برؤه، أما الحج عن الميت لا بأس، أما الحي لا، إلا بشرط أن يكون عاجزًا لكبر أو مرض لا يرجى برؤه.

• **س: أحسن الله إليك! الحديث الأخير حديث أبي الزبير عن جابر الذي قال الحافظ: على شرط مسلم سنده يكون صحيح؟**

○ **الجواب**: لا بأس به، هو على شرط مسلم، لكن فيه عنعنة أبي الزبير.

**مداخلة**: فيكون ضعيفًا في هذا؟

**الشيخ**: قد يضعف في هذا؛ لأنه في مسلم محتمل، يتحمل رواية مسلم ﵀، اختار، لخص أحاديث واختار منها ما رآه متصلًا، أما هنا محتمل. وقصة ثمود الحمد لله، أقول: في القرآن ما يكفي ويشفي.

● **س: أحسن الله إليك! ذهاب بعض الناس إلى مدائن صالح للزيارة والعبر، هل ينكر عليهم؟**

○ **الجواب**: مثلما قال ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين**»، الإنسان يبكي، يدخل باكيًا وإلا لا يمر. الله المستعان.

● **س: المدلس إذا كان ثقة ما يقال الأصل السَّماع سلامته يا شيخ؟!**

○ **الجواب**: قد يقال الأصل السماع حتى يوجد ما يدل على التدليس بوجود أدلة أخرى، قد يقال هذا ما هو ببعيد، عملُ الأئمة يقتضي هذا، روايتهم عن المدلسين يقتضي أن الأصل سماعهم حتى يوجد ما يدل على أنهم دلسوا. .

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا مَعْمَر، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «**لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح فكانت ـ يعني الناقة ـ ترد من هذا الفَجّ، وتَصْدُر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا، فعقروها، فأخذتهم صيحة، أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم، إلا رجلًا واحدًا كان في حرم الله**». فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «**أبو رِغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**» وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة، وهو على شرط مسلم.

فقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾؛ أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ جميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾؛ أي: قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به. وكانوا هم الذين سألوا صالحًا أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صمَّاء عَيّنوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحِجْر، يقال لها: الكَاتبة، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عُشَراء تَمْخَضُ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طُلْبتهم ليؤمنن به وليتبعنَّه؟ فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح عليه السلام، إلى صلاته ودعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جَوْفاء وَبْرَاء يتحرك جنينها بين جنبيها، كما سألوا، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو: «جُندَع بن عمرو» ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدَّهم «ذُؤاب بن عمرو بن لبيد» «والحباب» صاحب أوثانهم، ورباب بن صمعر بن جلهس، وكان لـ«جندع بن عمرو» ابن عم يقال له: «شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس»، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها، فأراد أن يسلم أيضًا فنهاه أولئك الرهط، فأطاعهم، فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود، يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل رحمه الله:

وكانت عُصْبةٌ من آل عَمْرو ... إلى دين النبيّ دَعَوا شِهَابا
عَزيزَ ثَمُودَ كُلَّهمُ جميعًا ... فَهَمّ بأن يُجِيبَ فلو أجابا
لأصبحَ صالحٌ فينا عَزيزًا ... وما عَدَلوا بصاحبهم ذُؤابا
ولكنّ الغُوَاة من آل حُجْرٍ ... تَوَلَّوْا بعد رُشْدهم ذئابا

فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة، تشرب

ماء بئرها يومًا، وتدعه لهم يومًا، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فَجّ وتصدر من غيره ليسعها؛ لأنها كانت تتضلَّع عن الماء، وكانت ـ على ما ذكر ـ خَلْقًا هائلًا ومنظرًا رائعًا، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها. فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام، عزموا على قتلها، ليستأثروا بالماء كل يوم، فيقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها. قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم، أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن، وعلى الصبيان أيضًا.

قلت: وهذا هو الظاهر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ فأسند ذلك على مجموع القبيلة، فدل على رضا جميعهم بذلك، والله أعلم.

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله، وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة: أن امرأة منهم يقال لها: «عنيزة ابنة غنم بن مِجْلِز» وتكنى أم غَنَمْ كانت عجوزًا كافرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل، وكان زوجها ذُؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخرى يقال لها: «صدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا» ذات حسب ومال وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود، ففارقته، فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة، فدعت «صدوف» رجلًا يقال له: «الحباب» وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة، فأبى عليها. فدعت ابن عم لها يقال له: «مصدع بن مهرج بن المحيا»، فأجابها إلى ذلك ـ ودعت «عنيزة بنت غنم» قدار بن سالف بن

جُنْدَع وكان رجلًا أحمر أزرق قصيرًا، يزعمون أنه كان ولد زَنية، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه، وهو سالف، وإنما هو من رجل يقال له: «صهياد» ولكن ولد على فراش «سالف»، وقالت له: أعطيك أي بناتي شئتَ على أن تعقر الناقة! فعند ذلك، انطلق «قدار بن سالف» «ومصدع بن مهرج»، فاستفزا غُواة من ثمود، فاتبعهما سبعة نفر، فصاروا تسعة رهط، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] وكانوا رؤساء في قومهم، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها، فطاوعتهم على ذلك، فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها «قدار» في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها «مصدع» في أصل أخرى، فمرت على «مصدع» فرماها بسهم، فانتظم به عضَلَة ساقها وخرجت «أم غَنَم عنيزة»، وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهًا، فسفرت عن وجهها لقدار وذمّرته فشدّ على الناقة بالسيف، فكسفَ عرقوبها، فخرت ساقطة إلى الأرض، ورغت رَغاة واحدة تحذر سَقْبَها، ثم طعن في لَبَّتها فنحرها، وانطلق سَقْبَها - وهو فصيلها - حتى أتى جبلًا منيعًا، فصعد أعلى صخرة فيه ورغا - فروى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عمن سمع الحسن البصري أنه قال: يا رب أين أمي؟ ويقال: إنه رغا ثلاث مرات. وإنه دخل في صخرة فغاب فيها، ويقال: بل اتبعوه فعقروه مع أمه، فالله أعلم.

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة؛ بلغ الخبر صالحًا عليه السلام، فجاءهم وهم مجتمعون، فلما رأى الناقة بكى وقال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح عليه السلام وقالوا: إن كان صادقًا عَجَّلناه قبلنا، وإن كان كاذبًا ألحقناه بناقته! ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا

لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الآية [النمل: ٤٩ ـ ٥٢].

فلما عزموا على ذلك، وتواطؤوا عليه، وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله صالح، أرسل الله ﷻ، وله العزة ولرسوله، عليهم حجارة فرضَختهم سلفًا وتعجيلًا قبل قومهم، وأصبح ثمود يوم الخميس، وهو اليوم الأول من أيام النَّظرة، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح ﵇، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل، وهو يوم الجمعة، ووجوههم محمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت، ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحَنَّطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، عياذًا بالله من ذلك، لا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب؟ وقد أشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء ورَجْفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، لا ذكر ولا أنثى ـ قالوا: إلا جارية كانت مقعدة ـ واسمها «كلبة ابنة السّلْق»، ويقال لها: «الزريقة» ـ وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح ﵇، فلما رأت ما رأت من العذاب، أُطلِقَت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حيًّا من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها، ثم استسقتهم من الماء، فلما شربت، ماتت.

قال علماء التفسير: ولم يبق من ذرية ثمود أحد، سوى صالح ﵇، ومن اتبعه ﵃، إلا أن رجلًا يقال له: «أبو رِغال»، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيمًا في الحرم، فلم يصبه شيء، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحلّ، جاءه حجر من السماء فقتله.

وقد تقدم في أول القصة حديث «جابر بن عبد الله» في ذلك، وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد ثقيف» الذين كانوا يسكنون الطائف.

قال عبد الرزاق: قال مَعْمَر: أخبرني إسماعيل بن أمية؛ أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال: «**أتدرون من هذا؟**» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا قبر أبي رغال، رجل من ثمود، كان في حرم الله، فمنعه حرمُ الله عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه، فدفن هاهنا، ودفن معه غصن من ذهب، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم، فبحثوا عنه، فاستخرجوا الغصن**».

وقال عبد الرزاق: قال معمر: قال الزهري: أبو رغال: أبو ثقيف.

هذا مرسل من هذا الوجه، وقد روي متصلًا من وجه آخر، كما قال محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن بُجَير بن أبي بجير قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، حين خرجنا معه إلى الطائف، فمررنا بقبر فقال: «**هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم فدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان، فدفن فيه. وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن**». وهكذا رواه أبو داود، عن يحيى بن معين، عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن ابن إسحاق، به[١].

قال شيخنا أبو الحجاج المزي: وهو حديث حسن عزيز.

قلت: تفرد بوصله «بُجَيْر بن أبي بجير» هذا، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث. قال يحيى ابن معين: ولم أسمع أحدًا روى عنه غير إسماعيل بن أمية.

قلت: وعلى هذا، فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو، مما أخذه من الزاملتين.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة، باب نبش القبور العادية برقم (٣٠٨٨).

قال شيخنا أبو الحجاج، بعد أن عرضت عليه ذلك: وهذا محتمل، والله أعلم.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ **[الأعراف: ٧٩]**(١).

هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه، وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العَمى ـ قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعًا وتوبيخًا وهم يسمعون ذلك، كما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر، أقام هناك ثلاثًا، ثم أمر براحلته فشُدّت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القليب، قليب بدر، فجعل يقول: «**يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا**». فقال له عمر: يا رسول الله، ما تُكَلّم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون**»(٢).

وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم: «**بئس عشيرة النبي كنتم لنبيِّكم، كذبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم**».

وهكذا صالح عليه السلام، قال لقومه: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾، أي: فلم تنتفعوا بذلك؛ لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحًا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٢٩ ـ ٤ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) سبق تخريجه (ص٩٦).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، **أما بعد**: فالحمد لله على تيسير العودة إلى مجالس العلم، نسأل الله للجميع العون والتوفيق، وصلاح النية والعمل. الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثهم الله هداةً، ودعاةً للحق، وصبرًا على إبلاغه، من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام، فالواجب على المكلفين أن يُعنوا بما جاءت به الرسل، وأن يبادروا بالتصديق، قبل أن تحل بهم العقوبات العاجلة قبل الآجلة، وقد قصَّ الله علينا نبأهم وأخبارهم لنتعظ ونتذكر، فنوح بلغ ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهو يبلِّغ الناس، فلم يستجب له إلا القليل، فأهلكهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤ ١٥]، ألف سنة إلا خمسين عامًا، قد استكبروا وعتوا، ومن شدة كفرهم وعنادهم يستغشون ثيابهم حتى لا يسمعوا، ويدخلون أصابعهم في آذانهم، غاية في العناد، والتكبر والإعراض، وهكذا قوم هود، وقوم صالح أبلغهم هود وصالح، وأبدأ وأعاد كل منهما، فلم يستجب أولئك، ما استجاب إلا القليل، فأهلك الله عادًا بالريح العقيم، وقوم صالح بالصَّيحة والرجفة، فقال لهم عند ذلك: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾، هذه حالهم، وهكذا قوم لوط بلغوا وأنذروا فلم يستجيبوا، ولم يؤمن به إلا القليل، فدمَّرهم الله، وخسف بهم مدائنهم، وأتبعهم بالحجارة من السِّجيل. فالواجب على أمة محمد ﷺ أن يكونوا خيرًا من أولئك، قد قصَّ الله عليهم قصص، وأنذرهم، فالواجب عليهم أن يتعظوا، وأن يأخذوا بالعبرة، ولما وقع ما وقع يوم بدر من نصر الله لأوليائه، وهزيمته لأعدائه، ونصر الله نبيه ﷺ على أولئك، كانوا قريبًا من ألف، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، فنصر الله المسلمين عليهم

نصرًا عزيزًا، وقتل منهم المسلمون سبعين، وأسروا سبعين، وولوا البقية مدبرين، ولما انتهت الحرب أمر النبي ﷺ بالقتلى أن يقذفوا في قليب من قلبان بدر: أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، و. . . ابن الحجاج، وأمية بن خلف، وابن عدي بن أمية، وجماعة، فلما أراد الانصراف من بدر مر عليهم وهو على راحلته، ووقف على القليب عليه الصلاة والسلام، فقال: «**يا أهل قليب! يا أبا جهل بن هشام! ويا عتبة بن ربيعة! ويا..**» يسميهم بأسمائهم، (هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا)، من النصر والتأييد، وإهلاك العدو، فقال له عمر: ما تكلم من قوم قد جيفوا؟ فقال ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبون**»، أسمعهم الله، وكانت عائشة تتأول هذا وتقول: أنه قال: (ما أنتم بأعلم)، والثابت أنه قال: (ما أنتم بأسمع)، رد الله عليهم أسماعهم، وهذا مستثنًى من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، الآيتان مستثنًى منهما هذا الخبر، أن الله أسمعهم تقريعًا لهم وتوبيخًا، وهكذا ما جاء في الحديث الصحيح في انصراف المشيِّعين للجنازة، قال: (قال: إنهم يسمعون قرع نعالهم)، أيضًا مستثنى، الأصل أنهم لا يسمعون، ولكن ما جاءت به النصوص يكون مستثنى، وقد يملي الله للظالمين، فتكون العقوبة أشد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإملاء الله للكفرة من النصارى، واليهود، والشيوعيين وغيرهم، قد يملي الله لهم، لو عاجلهم بالعقوبة ما بقي أحد، لو عاجل كل مجرم بالعقوبة ما بقي أحد، أو دخل الناس كلهم في دين الله أفواجًا، قد مضت حكمته، وقدره السابق بأن الناس فيهم الكافر والمسلم، فيهم المستحق للثواب والعقاب، قد مضت سنَّته وقدره على أن أكثرهم لا يؤمنون، فلهذا أملى لهم كثيرًا، وأخذ لبعضهم العقوبة

العاجلة؛ ليتعظ من يتعظ، ويقبل النصيحة والذكرى من يقبل، وليحل عقابه بمن أبى واستكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلكت أمته، كان يذهب فيقيم في الحرم، حرم مكة، فالله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا زَمْعَة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما مر رسول الله ﷺ بوادي عُسْفان حين حَجّ قال: «**يا أبا بكر، أيّ وادي هذا؟**» قال: هذا وادي عُسْفَان. قال: «**لقد مر به هود وصالح** عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، **على بَكَرات حُمْر خُطُمها الليف، أُزُرُهم العبَاء، وأرديتهم النّمار، يلبون يحجون البيت العتيق**»(١). هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يخرجه أحد منهم.

• **س: الحكم على زمعة بن صالح.**

**الشيخ**: زمعة بن صالح هذا ضعيف.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١](٢).

يقول تعالى: ﴿وَ﴾ قَدْ أَرْسَلْنَا ﴿لُوطًا﴾ أو تقديره: ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ولوط هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وكان قد آمن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأحد ٢٩ - ٤ - ١٤١٦هـ.

مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله تعالى إلى أهل «سَدُوم» وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل «سَدُوم» عليهم لعائن الله.

قال عمرو بن دينار: قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ قال: ما نزا ذَكَر على ذَكَر، حتى كان قوم لوط.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: هم أول من فعل هذه الجريمة، فعليهم مثل آثام من تبعهم في هذا، نسأل الله العافية، هم أول من بدأ إتيان الذكور، ولهذا قال: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨]، فصار من بعدهم يتأسى بهم في ذلك في هذه الجريمة النكرى، التي لعن الله فاعلها، في الحديث يقول ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**»(١)، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية؛ ولهذا عاقبهم الله بعقوبة غير عقوبة الماضين، عقوبة الخسف، خسف الله بهم مدائنهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطرهم بحجارة من سِجِّيل لكفرهم، ولواطهم، وإتيانهم المنكرات الأخرى من قطع الطريق وغيره، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، باني جامع دمشق: لولا أن الله عَزَّ وَجَلَّ، قصَّ علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣١٧) إسناده جيد رجاله رجال الصحيح، قاله الشيخ شعيب الأرنؤوط.

ولهذا قال لهم لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]، فأرشدهم إلى نسائهم، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن، ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]؛ أي: لقد علمت أنه لا أَرَبَ لنا في النساء، ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.

وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنى بعضهن ببعض أيضًا.

**الشيخ**: نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ **[الأعراف: ٨٢]**(١).

أي: ما أجابوا لوطًا إلا أن هَمُّوا بإخراجه ونفيه ومن معه [من المؤمنين] من بين أظهرهم، فأخرجه الله تعالى سالمًا، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مُهانين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ قال قتادة، عابوهم بغير عيب.

وقال مجاهد: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من أدبار الرجال وأدبار النساء. ورُوي مثله عن ابن عباس أيضًا.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٢٩ ـ ٤ ـ ١٤١٦هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

صدقوا وهم كَذَبة، يتطهرون لا شك أنها خباثة، إتيان الرجال أو إتيان النساء من أدبارهن كلها خبث، فلوط والمؤمنون يتطهرون من ذلك، وهذه منقبة عابوهم بها، نسأل الله السلامة.

مداخلة: . تسمية هذه الفاحشة باللواط ما هي بمحظور؟

الشيخ: نعم؟

● **س: تسمية هذه الفاحشة باللواط ما هي محظور أنها تنسب إلى النبي لوط، هل يجوز أن يقال: في الفاحشة ذلك لواط؟**

○ **الجواب**: ما في شيء، نسبة إلى قوم لوط، ما هو إليه هو، إلى قوم لوط نعم، وإذا نسبت إليه اللوطية هذا هو نسبة لأنه أنذرهم، نسبوا إليه؛ لأنه أنذرهم وامتنعوا، فعاقبهم الله.

مداخلة: ما ورد في بعض الآثار في التسمية اللوطية؟

الشيخ: ما أتذكر شيء.

مداخلة: اللوطية الصغرى؟

الشيخ: ما أتذكر، لكن في الحديث الصحيح: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**»، هم قومه، لكنهم عاندوا وكفروا.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٣، ٨٤][1].

يقول تعالى: فأنجينا لوطًا وأهله، ولم يؤمن به أحد منهم سوى

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ مغرب الأحد ٢٩ ـ ٤ ـ ١٤١٦هـ.

أهل بيته فقط، كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذريات: ٣٥، ٣٦] إلا امرأته فإنها لم تؤمن به؛ بل كانت على دين قومها، تمالئهم عليه وتُعْلمهم بمن يَقْدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم؛ ولهذا لما أمر لوط عليه السلام، أن يُسْري بأهله أُمِر ألا يُعلم امرأته ولا يخرجها من البلد. ومنهم من يقول: بل اتبعتهم، فلما جاء العذابُ التفتت هي فأصابها ما أصابهم. والأظهر أنها لم تخرج من البلد، ولا أعلمها لوط؛ بل بقيت معهم؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي: الباقين. ومنهم من فسر ذلك ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ من الهالكين، وهو تفسير باللازم.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ مفسَّر بقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود ٨٢، ٨٣]، ولهذا قال: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: انظر - يا محمد - كيف كان عاقبة من تجهرم على معاصي الله وكذّب رسله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله: نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله، إلى أن اللائط يلقى من شاهق، ويُتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يُرجم سواء كان مُحصَنًا أو غير محصن. وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله، والحجة ما رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من حديث الدراوردي، عن عمرو بن أبي عَمْرو عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط برقم (٤٤٦٢)، والترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي برقم =

وقال آخرون: هو كالزاني، فإن كان محصنًا رجم، وإن لم يكن محصنًا جلد مائة جلدة. وهو القول الآخر للشافعي.

• **س: الراجح في حد اللواط.**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب: أنهم يقتلون، الصواب الذي عليه المحققون أنهم يقتلون مطلقًا، سواء كانوا محصنين أو غير محصنين، اللائط يقتل، حده القتل مطلقًا، وهو الذي أجمع عليه أصحاب النبي ﷺ وفعلوه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما إتيان النساء في الأدبار، فهو اللوطية الصغرى، وهو حرام بإجماع العلماء، إلا قولًا [واحدًا] شاذًّا لبعض السلف، وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة.

* * *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥][(١)].

قال محمد بن إسحاق: هم من سلالة «مدين بن إبراهيم». وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال: واسمه بالسريانية: «يثرون».

قلت: وتطلق مدين على القبيلة، وعلى المدينة، وهي التي بقرب «مَعَان» من طريق الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ

---

= (١٤٥٦)، وابن ماجه في كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط برقم (٢٥٦١)، والإمام أحمد (١/ ٣٠٠).

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] وهم أصحاب الأيكة، كما سنذكره إن شاء الله، وبه الثقة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ هذه دعوة الرسل كلهم، ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: قد أقام الله الحجج والبينات على صدق ما جئتكم به. ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان، ولا يبخسوا الناس أشياءهم؛ أي: لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خفْية وتدليسًا، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦]. وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، نسأل الله العافية منه.

ثم قال تعالى إخبارًا عن شعيب، الذي يقال له: «خطيب الأنبياء»، لفصاحة عبارته، وجزالة موعظته.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٧﴾ **[الأعراف: ٨٦، ٨٧]**[١].

ينهاهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن قطع الطريق الحسي والمعنوي، بقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾؛ أي: توعدون الناس بالقتل إن لم

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

يعطوكم أموالهم. قال السدي وغيره: كانوا عشَّارين. وعن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وغير واحد: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾؛ أي: تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه. والأول أظهر؛ لأنه قال: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ وهي الطرق، وهذا الثاني هو قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجًا مائلة. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾؛ أي: كنتم مستضعفين لقلَّتكم فصرتم أعزة لكثرة عَدَدكم، فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك، ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾؛ أي: من الأمم الخالية والقرون الماضية، ما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله.

وقوله: ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾؛ أي: قد اختلفتم عليّ ﴿فَاصْبِرُوا﴾؛ أي: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾؛ أي: يفصل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ **[الأعراف: ٨٨، ٨٩]**[١].

هذا إخبار من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبي الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية، أو الإكراه

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

على الرجوع في مِلَّتهم والدخول معهم فيما هم فيه. وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة.

وقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۝٨٨﴾ يقول: أو أنتم فاعلون ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه؟ فإنا إن رجعنا إلى ملَّتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه، فقد أعظمنا الفِرْية على الله في جعل الشركاء معه أندادًا. وهذا تعبير منه عن اتباعه. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ وهذا ردّ إلى المشيئة، فإنه يعلم كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾؛ أي: في أمورنا ما نأتي منها وما نذر ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾؛ أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبدًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ **[الأعراف: ٩٠ ـ ٩٢]**(١).

يخبر تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جُبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، ولهذا أقسموا وقالوا: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ فلهذا عقب ذلك بقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾. أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيبًا وأصحابه وتوعَّدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة «هود» فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤]، والمناسبة في ذلك - والله أعلم - أنهم لمَّا تهكَّموا بنبي الله شعيب في قولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] فجاءت الصيحة فأسكتتهم.

وقال تعالى إخبارًا عنهم في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة»، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولَهَب ووهَج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ﴾؛ أي: كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها.

ثم قال مقابلًا لقيلهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

* *

**تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣]**(١).

أي: فتولى عنهم «شعيب» عليه السلام بعدما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال مقرعًا لهم وموبخًا: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾؛ أي: قد أديتُ إليكم ما أُرْسِلْت به، فلا أسفة عليكم وقد كفرتم بما جئتم به، ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾؟.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ **[الأعراف: ٩٤، ٩٥]**[١].

يقول تعالى مخبرًا عما اختبر به الأمم الماضية، الذين أرسل إليهم الأنبياء بالبأساء والضراء، يعني: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾؛ أي: يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم.

وتقدير الكلام: أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا، فما فعلوا شيئًا من الذي أراد الله منهم، فقلب الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾؛ أي: حولّنا الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك، فما فعلوا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾؛ أي: كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم، يقال: عفا الشيء إذا كثر، ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ يقول تعالى: ابتلاهم بهذا وهذا ليتضرعوا ويُنيبوا إلى الله، فما نَجَع فيهم لا هذا ولا هذا، ولا انتهوا بهذا ولا بهذا بل

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قالوا: قد مسَّنا من البأساء والضراء، ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر، وإنما هو الدهر تارات وتارات، ولم يتفطنوا لأمر الله فيهم، ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين. وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء، ويصبرون على الضراء، كما ثبت في الصحيحين: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من السرَّاء والضراء؛ ولهذا جاء في الحديث: «**لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نَقِيًّا من ذنوبه، والمنافق مثله كمثل الحمار، لا يدري فيم ربطه أهله، ولا فيم أرسلوه**»، أو كما قال. ولهذا عقب هذه الصفة بقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩٥﴾؛ أي: أخذناهم بالعقوبة بغتة؛ أي: على بغتة منهم، وعدم شعور منهم؛ أي: أخذناهم فجأة كما جاء في الحديث: مَوْتِ الْفَجْأَةِ فَقَالَ: «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**»(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذا عظة لمن له عقل وإدراك، فالله ﷻ يقص علينا أخبار الماضين لنتعَّظ ونتذكر، وهذا الكتاب العظيم وهو القرآن ذكرى، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ**﴾ [يس: ٦٩]. فالواجب على ذوي العقول السليمة أن يعتبروا، ويتدبروا، ويتعقلوا، ويعتبروا، فالله ﷻ يقدِّر السرَّاء والضرَّاء، والشدة والرخاء ابتلاءً وامتحانًا، فالمؤمن صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، والجاهل لا ينتبه لا لهذا ولا لهذا، فليس صبورًا عند البلاء،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٣٦).

ولا شكورًا عند الرخاء؛ ولهذا بين جل وعلا في هذه الآية ما أصاب الأولين لنتعظ، فالله جل وعلا ابتلى من قبلنا بالسراء والضراء؛ لعلهم يضرعون بالسراء والضراء، بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون، فالبأساء فسرت بالشدة بالفقر والحاجة، والضراء بالأمراض، وفسر بالعكس، فالمقصود أن الله ابتلاهم بالأمراض، والفقر، والحاجة، والجراحات ونحو ذلك؛ لعلهم يتضرعون له، ويسألونه العافية، وينيبون إليه، وابتلاهم أيضًا بالحسنة بالعافية والصحة، والأولاد والعز؛ لعلهم أيضًا يشكرون، وينيبون إليه سبحانه وتعالى، فما أجزأ ذلك فيهم، ولكن قالوا: هذه طريقة وحالة مشى عليها الأولون، مشى عليها الآباء والأسلاف، قد مس آباءنا الضراء والسراء، فهذه أمور عادية، تقلب الدهر أمور عادية، لا يتفطنون لحكمة الله في ذلك، بخلاف أهل الإيمان، فإنهم صبر عند البلاء، شكر عند الرخاء، كما وصف أهل البر ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وفي حديث صهيب ﷺ في صحيح مسلم يقول ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١). هكذا المؤمن صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء. فالواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة أينما كانوا أن يكون لهم انتباه وعظة وذكرى في جميع الأحوال، وأن يجاهدوا هذه النفوس ويعوِّدوها الشكر عند النعمة، والصبر عند البلية.

**• س: كيف يستطيع المسلم أن يميز الابتلاءات والمصائب التي تصيبه وتقع عليه، هل هي محبة أو بسبب الذنوب والمعاصي؟**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٧).

○ **الجواب**: قد يقع هذا وهذا، قد يقع؛ لمزيد الدرجات كما وقع للأنبياء، وقد يقع وهو الغالب؛ لتكفير السيئات، أو لزيادة العقوبة، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، هذا هو الغالب، وقد يكون لرفعة الدرجات ورفعة المنزلة، قد يكون لأسوة، كما جرى للأخيار من الأنبياء وأتباعهم.

**مداخلة**: لكن يرجع هذه الأمور كلها إلى سبب المعاصي؟

**الشيخ**: والإنسان نفسه يحملها على ما هو خير له، يحملها على أنها أصيب؛ بسبب ذنوبه وتقصيره، حتى يجاهد نفسه حتى يتوب، حتى يعمل، ولا يحملها على أنه مجرد ابتلاء، وأنه قد قام بالواجب، وأنه ما عليه ذنب، فيزداد شرًّا، وربما بلي بالعُجب، نسأل الله السلامة.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ **[الأعراف: ٩٦ ـ ٩٩]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل، كقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨]؛ أي: ما آمنت قرية بتمامها إلا قوم يونس، فإنهم آمنوا،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأربعاء ١٠ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

وذلك بعد ما عاينوا العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾؛ أي: آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل، وصدَّقت به واتبعته، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات، ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قطر السماء ونبات الأرض. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾؛ أي: ولكن كذبوا رسلهم، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم.

ثم قال تعالى مخوفًا ومحذرًا من مخالفة أوامره، والتجرؤ على زواجره: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ أي: الكافرة ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾؛ أي: عذابنا ونكالنا، ﴿بَيَٰتًا﴾؛ أي: ليلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾؛ أي: في حال شغلهم وغفلتهم، ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾؛ ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِق وَجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، وما ذاك إلا لقلة العلم، وقلة البصيرة، ولهذا يعمل المعاصي والسيئات وهو آمن ساهٍ لاهٍ، بخلاف المؤمن فإنه يعي يتقي الله، ويعمل الصالحات، وهو مع ذلك خائف وجل، ويخشى أن يقع فيما حرم الله، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا

سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١]. قالت عائشة: يا رسول الله: (قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، الرجل يشرب الخمر، ويزني، ويسرق؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق! ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويعمل الصالحات، ويخاف ألا يُقبل منه**»، هكذا المؤمن يعمل الصالحات، يجتهد، مع الخوف ومع الاجتهاد والعمل الصالح والجد هو خائف أيضًا وجل، يخشى أن يعاقب، يخشى أن يصاب بمصيبة، من أجل عدم قيامه بالواجب على التمام والكمال، نعم، الله المستعان، مثل ما قال بعض السلف: من كان بالله أعرف، كان منه أخوف. على حسب خوف العبد وإشفاقه وإيمانه تكون أعماله، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، يعني: الخشية الكاملة؛ لعلمهم بالله، وكمال بصيرتهم الخشية تكون كاملة، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء، هم على رأس العلماء، هم سادة العلماء، هم أشد الناس خوفًا من الله، وأخشاهم لله، مثل ما قال ﷺ في الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١): لما جاء ناس يسألون أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فكأنهم تقالوا عمل السر عليه الصلاة والسلام، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ، قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، والآخر قال: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش، والآخر قال: أما أنا فلا آكل اللحم، بلغ النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت له نفسه برقم (١٤٠١) باختلاف.

ذلك، فقام ﷺ خطب الناس، وقال: **«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل...، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني»**.

● **س: كيف يكون «رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ»، وقد تفوته الشهادة؟**

○ **الجواب**: يعني أن الله ﷻ خفف عليه، ولم يتعب عند الموت، (وأخذة أسف للفاجر)، وقد يبتلى بالأمراض وتكون تكفير للسيئات، مثل ما قال ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**. فقد يبتلى بالأمراض؛ ليزداد ثوابه وأجره وتكفير سيئاته، وقد يموت موت على سبب خفيف أو فجأة مثل حوادث السيارات، ومثل غيرها، فيكون رحمةً له، لا عذب أحدًا، ولا آذى أحدًا، ولا تعذب هو.

**الحكم على حديث (موت الفجأة):**

● **س: درجة حديث «رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ»[1]؟**

○ **الجواب**: ما أذكر حاله، مشهور ولكن ما أذكر حاله، لعل أحدكم يجمع طرقه.

مداخلة:

الشيخ: من المتكلم؟

مداخلة: عبد الله بن جبرين.

الشيخ: اجمع طرقه إن شاء الله، وتقرأها لنا الليلة الآتية إن شاء الله، ليلة الاثنين الآتية أو الخميس، معنى قوله ﷺ: **«مستريح ومستراح منه»** وعلاقته بحديث (موت الفجأة).

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٧).

• **س: أحسن الله إليك! حديث (مستريح ومستراح منه) ما يشهد؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: حديث (مستريح ومستراح منه)؟

○ **الجواب**: هذا حديث آخر مستريح المؤمن، ومستراح منه الكافر.

مداخلة: وأيضًا يشهد للحديث هذا أحسن الله إليك؟

الشيخ: سواء مات في فجأة أو غيرها، (مستريح، ومستراح منه)، هذا عام يعم موت الفجأة وغيره، فالمؤمن يستريح من هم الدنيا ونكدها ولو أصابه أمراض، ويُستراح من الكافر، يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

**تخريج حديث (موت الفجأة رحمة للمؤمن...):**

مداخلة: أحسن الله إليك! في طبعة الشيخ مقبل تفسير ابن كثير حاشية لهذا الحديث.

الشيخ: نعم.

مداخلة: موت الفجأة رحمة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر، قال: الحديث رواه أبو داود، عن عبيد بن خالد السلمي، رفعه مرةً، ووقفه على عبيد مرةً أخرى، ووقفه كرفعه، فإنه مما لا مجال...

الشيخ: ووقفه.

مداخلة: ووقفه كرفعه، فإنه مما لا مجال للرأي فيه، وقد رواه الإمام أحمد، ولفظه فيهما تغير هذا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ولفظه فيهما تغير هذا، وهو موت الفجأة أخذة آسف، وذكره الألباني في صحيح الجامع وصححه.

**الشيخ**: ولو أنه، يراجع طرقه أحد الإخوان، يراجعه ويجمع طرقه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ **[الأعراف: ٩٩]**(١).

الآية على ظاهرها: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ المقصود من هذا التحذير من مكر الله ﷻ، ومكر الله كونه يملي لهم، ويستدرجهم بالنعم والخيرات وهم مقيمون على معاصيه وعلى خلاف أمره، وهم جديرون بأن يؤخذوا على غرة، ويعاقبون على غرة بسبب غفلتهم عن الله، وإقامتهم على معاصيه، وأمنهم من عقابه وغضبه، فالمعنى: احذروا ذلك المعنى احذروا هذا الأمن وابتعدوا عنه، والأمن من مكر الله خطر عظيم، والقنوط من رحمة الله خطرٌ عظيم، فالواجب أن لا يقنط ولا يأمن، بل يكون المؤمن في سيره إلى الله بين الخوف والرجاء، فلا يقنط ولا ييأس، ولا يأمن مكر الله وعقوبته، ويخرج إلى البطالة والمعاصي، ولكن يجب أن يكون بين ذلك، يسير إلى الله في هذه الدار ويعمل في هذه الدار بين الخوف والرجاء، فيذكر عظمته وشدة عقابه لمن خالف أمره فيخافه، ويخشاه ﷻ، ويذكر عظيم رحمته وحلمه وعظيم جوده وكرمه فيرجو إحسانه ﷻ، ويرجو كرمه وجوده، فهو بين هذا وهذا، بين الخوف والرجاء حتى يلقى ربه سبحانه، أما الآمن الغافل المعرض الذي لا يخشى الله، ولا يخشى عقابه، بل هو ساهٍ لاهٍ في معاصيه وغفلاته، فهذا

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٧٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣٣).

على خطر أن يؤخذ على غرة، فيخسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله؛ يعني: على خطر أن يؤخذ على معاصيه وعلى غير توبة، فيخسر الدنيا والآخرة، ويبوء بالنار والعذاب الأليم نعوذ بالله من ناره، نسأل الله السلامة.

*

## ❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩][1].

هذه الآية الكريمة تدل على شرعية الرجاء والخوف، وأن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كالجناحين من الطائر، يخاف غضب الله وعقابه، ويخاف عواقب الذنوب فيبادر بالتوبة ويبادر بالإصلاح، ويرجو رحمة ربه وإحسانه وفضله فلا يقنط ولا ييأس، هكذا المؤمن بين الخوف والرجاء لا يأمن، قد توعد الله الآمنين بسوء العاقبة، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ولا يقنط، فالله يقول: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

فالمؤمن هكذا يخاف ويرجو حاسِنًا ظنه بربه ويرجو رحمته ويتذكر أنه شديد العقاب، فيحذر غضبه ويبتعد عن أسباب عقابه، وفي حال المرض ينبغي أن يكون الغالب عليه حسن الظن بالله لا تمحيض الرجاء، بل يكون معه الخوف، ولكن يغلب عليه حسن الرجاء وحسن الظن، للحديث السابق عن النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ**»[2].

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (٢/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧).

والله جمع في الآيات الكريمات ما يدل على وجوب الخوف والحذر مع وجوب الرجاء، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] في آيات كثيرات تدل على وجوب حسن الظن بالله مع وجوب الحذر من غضبه وعقابه.

قال بعض السلف: وينبغي في حال الصحة أن يغلب جانب الخوف حتى يبتعد عن الشر وأسبابه، وفي حال المرض يغلب جانب الرجاء حتى يُعظم حسن ظنه بالله ﷻ وجوده وكرمه، ومما يدل على وجوب الخوف والرجاء هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف مع الآيات السابقات.

في الحديث: يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»(١). فالحاصل أن الواجب الحذر، وأن من تذكر رحمة الله وعظيم إحسانه وعظيم إنعامه لم ييأس من رحمته، ومن تذكر عقابه وشدة انتقامه من أعدائه خاف وحذر، هكذا ينبغي لا يغفل عن هذا ولا عن هذا، يتذكر عفو الله وعظيم رحمته وعظيم جوده وكرمه، فيحسن ظنه به ويرجوه ويسأله العفو، ويتذكر عظيم عقابه وشدة عذابه، فيحذر ويبتعد عن أسباب الهلاك وأسباب الغضب وأسباب النار، وطريق السلامة وطريق النجاة هو الاستقامة على أوامر الله، والبعد عن محارم الله، والوقوف عند حدود الله، هذا هو الطريق وهذا هو الصراط المستقيم، فلا يليق بالعاقل أن يتساهل في المعاصي، أو في ترك بعض

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٥).

الواجبات، بل يكون دائم الحذر مع حسن الظن ومع حسن الرجاء، ولكنه يبتعد عن أسباب الهلاك، ويأخذ بأسباب النجاة.

وهكذا حديث: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك**»[(١)] بين هذا وهذا، هذا يموت على الكفر بالله فيكون من أهل النار، وهذا يموت على الإيمان والتقوى فيكون من أهل الجنة ليس بينهما إلا خروج الروح، فإن خرجت روحه على السعادة والإيمان والتقوى فيكون من أهل الجنة، وإن خرجت روحه على الكفر بالله فهو من أهل النار، وإن خرجت روحه على المعاصي والسيئات فهو على خطر من دخول النار ومن عذاب الله ﷻ، وهو في خطر عظيم، فينبغي له أن يحذر أن يهجم عليه الأجل وهو على حالة تغضب الله ﷻ، فليحرص وليستعد دائمًا، دائمًا بالتوبة الصادقة والعمل الصالح، حتى إذا هجم الأجل فإذا هو على عمل يرضي الله، وعلى حالة تُرضي الله، يرجو بها السعادة، ويرجو بها الفوز بالجنة والكرامة.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**»[(٢)] من شدة ما يسمع من صوتها، لكن الله حرم ذلك على بني آدم رحمة منه وإحسانًا، ولو سمعوا كلام الجنائز والمعذبين لم يتهنّوا بعيش ولا بنوم، ولكن من رحمة الله أن الله أخفى علينا عذاب المعذبين في

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك برقم (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء برقم (١٣١٤).

قبورهم، وأخفى علينا ما تقوله الجنائز عندما تُحمل، ولكن أخبرنا الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بما يقع، فعلى المؤمن أن يحذر وأن يحقق ما أراده الرسول ﷺ من الحذر والبعد عن أسباب الهلاك، مع الأخذ بأسباب النجاة لعله يكون ممن يقول عند الحمل: قدِّموني؛ قدموني؛ لما رأى من فضل الله عليه، وأنه يُبشر بالجنة كما في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»(١). قالت عائشة: يا رسول الله أهو الموت فكلنا يكره الموت؟ قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ**»، ولكن المؤمن إذا احتُضر بشَّرته الملائكة بمرضاة الله وعظيم إنعامه وإحسانه ورحمته، فيفرح بلقاء الله ويحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والكافر متى حضره الأجل بشَّرته الملائكة بالهلاك وعذاب الله، فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه، نسأل الله السلامة.

وأنت يا عبد الله في دار المُهلة في دار العمل، أنت الآن في دار العمل فأعد العُدة واجتهد في الأخذ بأسباب النجاة وأسباب الفلاح والسعادة، واستعن بربك على ذلك واسأله التوفيق والهداية، واحذر عدوك الشيطان ونواب الشيطان لئلا يُضلوك عن السبيل.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ **[الأعراف: ١٠٠]**(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه برقم (٢٦٨٤).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأربعاء ١٠ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

بَعۡدِ أَهۡلِهَآ﴾ أو لم نُبيِّن، وكذا قال مجاهد والسدي، وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: أو لم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم.

وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها: يقول تعالى: أو لم نبيِّن للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها، فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا على ربهم: ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾ يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم، ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ يقول: ونختم على قلوبهم ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ موعظة ولا تذكيرًا.

قلت: وهكذا قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]، وقال: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٤، ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [مريم: ٩٨].

أي: هل ترى لهم شخصًا أو تسمع لهم صوتًا؟ وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وقال تعالى بعد ذكره إهلاك عاد: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٥ ـ ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥]، وقال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه، وحصول نعمه لأوليائه؛ ولهذا عقب ذلك بقوله، وهو أصدق القائلين ورب العالمين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[الأعراف: ١٠١، ١٠٢]**(١).

لما قصَّ تعالى على نبيِّه ﷺ خبر قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم الصلاة والسلام وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بيَّن لهم الحق بالحجج على ألسنة الرسل، صلوات الله عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾؛ أي: من أخبارها، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالحجج على صدقهم فيما أخبروهم به، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾ [هود: ١٠٠، ١٠١].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ الباء سببية؛ أي: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم. حكاه ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو متجه حسن، كقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠].

ولهذا قال هنا: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾؛ أي: لأكثر الأمم الماضية ﴿مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾؛ أي: ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال. والعهد الذي أخذه عليهم هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم، وأنه لا إلٰه إلا هو، فأقروا بذلك، وشهدوا على أنفسهم به، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة، لا من عقل ولا شرع، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك، كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى: «**إني خلقت عبادي حُنَفَاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم**»(١). وفي الصحيحين: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»(٢). الحديث.

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم (١٣٥٨).

٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ ما روى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ قال: كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق؛ أي: فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك، وكذا قال الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير.

وقال السدي: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهًا.

وقال مجاهد في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ هذا كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

* *

**□ تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)﴾ [الأعراف: ١٠٣][1].**

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾؛ أي: الرسل المتقدم ذكرهم، كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. ﴿مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: بحججنا ودلائلنا البينة إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وهو ملك مصر في زمن موسى، ﴿وَمَلَئِهِ﴾؛ أي: قومه، ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾؛ أي: جحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]؛ أي: الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله؛ أي: انظر ـ يا محمد ـ كيف فعلنا بهم، وأغرقناهم عن آخرهم، بمرأى من موسى وقومه. وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه، وأشفى لقلوب أولياء الله ـ موسى وقومه ـ من المؤمنين به.

*

**تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾ **[الأعراف: ١٠٤ ـ ١٠٦]**(١).

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون، وإلجامه إياه بالحجة، وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾؛ أي: أرسلني الذي هو خالقُ كل شيء وربه ومليكه.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ فقال بعضهم: معناه: حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق؛ أي: جدير بذلك وحري به.

وقالوا و«الباء» و«على» يتعاقبان، فيقال: «رميت بالقوس» و«على القوس»، و«جاء على حال حسنة» و«بحال حسنة».

وقال بعض المفسرين: معناه: حريص على ألا أقول على الله إلا الحق.

وقرأ آخرون من أهل المدينة: (حقيقٌ عليّ) بمعنى: واجب وحق عَلَيّ ذلك ألا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق، لما أعلم من عز جلاله وعظيم سلطانه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: بحجة قاطعة من الله، أعطانيها دليلًا على صدقي فيما جئتكم به، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾؛ أي: أطلقهم من أسْرك وقهرك، ودعهم وعبادة ربك وربهم؛ فإنهم من سلالة نبيٍّ كريم إسرائيل، وهو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمٰن [عليهم صلوات الرحمٰن].

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾؛ أي: قال فرعون: لست بمصدقك فيما قلت، ولا بمطيعك فيما طلبت، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها، إن كنت صادقًا فيما ادعيت.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ **[الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]**[(١)].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ الحية الذكَر. وكذا قال السدي، والضحاك.

وفي حديث «الفُتُون»، من رواية يزيد بن هارون عن الأصْبَغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال" ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل.

وقال قتادة: تحولت حية عظيمة مثل المدينة.

وقال السدي في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ والثعبان: الذكر من الحيات، فاتحة فاها، واضعة لِحْيها، الأسفل في الأرض، والآخر على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه. فلما رآها ذعر منها،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ووثب وأحدث، ولم يكن يُحْدث قبل ذلك، وصاح: يا موسى، خذها وأنا أومن بك، وأرسل معك بني إسرائيل. فأخذها موسى عليه السلام، فعادت عصا.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا.

وقال وَهْب بن مُنَبِّه: لما دخل موسى على فرعون، قال له فرعون: أعرفك؟ قال: نعم، قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]؟ قال: فرد إليه موسى الذي ردّ، فقال فرعون: خذوه، فبادره موسى ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ فحملت على الناس فانهزموا منها، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا، قتل بعضهم بعضًا، وقام فرعون منهزمًا حتى دخل البيت.

رواه ابن جرير، والإمام أحمد في كتابه «الزهد»، وابن أبي حاتم. وفيه غرابة في سياقه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾؛ أي: نزع يده: أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تتلألأ من غير بَرَص ولا مرض، كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢].

وقال ابن عباس في حديث الفتون: [أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء] ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعني: من غير برص، ثم أعادها إلى كمه، فعادت إلى لونها الأول. وكذا قال مجاهد وغير واحد.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ **[الأعراف: ١٠٩، ١١٠]**[(١)].

أي: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون ـ موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه رَوْعه، واستقر على سرير مملكته بعد

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

ذلك، قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور كذبه وافترائهم، وتخوفوا من [معرفته] أن الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببًا لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦] فلما تشاوروا في شأنه، وائتمروا فيه، اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى:

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [**الأعراف: ١١١، ١١٢**][(١)].

قال ابن عباس: ﴿أَرْجِهْ﴾ أخّره. وقال قتادة: احبسهُ. ﴿وَأَرْسِلْ﴾؛ أي: ابعث ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾؛ أي: في الأقاليم ومعاملة ملكك، ﴿حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾؛ أي: من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم.

وقد كان السحر في زمانهم غالبًا كثيرًا ظاهرًا. واعتقد من اعتقد منهم، وأوهم من أوهم منهم، أن ما جاء موسى، عليه السلام، من قبيل ما تشعبذه سحرتهم؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٧ ـ ٦٠]، وقال تعالى هاهنا:

* *

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: ١١٣](١).

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام: إن غلبوا موسى ليثيبنَّهم وليعطينهم عطاء جزيلًا. فوعدهم ومنَّاهم أن يعطيهم ما أرادوا، ويجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده، فلما توثقوا من فرعون لعنه الله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٥، ١١٦](٢).

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام، في قولهم: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾؛ أي: قَبْلك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥]، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَلْقُواْۖ﴾؛ أي: أنتم أولًا قبلي. والحكمة في هذا ـ والله أعلم ـ ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان. ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾؛ أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٦ ـ ٦٩].

قال سفيان بن عُيَيْنَة: حدثنا أبو سعيد، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: ألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا. قال: فأقبلت يُخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

وقال محمد بن إسحاق: صَفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى عليه السلام، معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى الجمع، وفرعون في مجلسه مع أشراف أهل مملكته، ثم قال السحرة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ [طه: ٦٥، ٦٦] فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي فإذا حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضًا.

وقال السُّدِّي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس رجل منهم إلا ومعه حبل وعصا، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يقول: فَرَقوهم؛ أي: من الفرَق.

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، عن هشام الدَّستَوَائي، حدثنا القاسم ابن أبي بَزَّة قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل، وسبعين ألف عصا، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ [الأعراف: ١١٧ ـ ١٢٢][(١)].

يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام، في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾؛ أي: تأكل ﴿مَا يَأۡفِكُونَ ۝١١٧﴾؛ أي: ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل.

قال ابن عباس: فجعلت لا تَمُرّ بشيء من حبالهم ولا من خُشُبهم إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخروا سجدًا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

وقال محمد بن إسحاق: جعلت تبتلع تلك الحبال والعصي واحدة، واحدة حتى ما يُرَى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ لو كان هذا ساحرًا ما غُلبنا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه من آيات الله العظيمة التي أراها عباده، وجعلها سببًا لهداية من سبقت له السعادة، حبال وعصي كثيرة، تضطرب فيها الوادي على أنها حيات، فألقى موسى عصاه في يده، العصا العادية فألقاها، فصارت ثعبانًا عظيمًا تلقم هذه الأشياء، أخذت هذه الأشياء كلها التي سحروا بها أعين الناس واسترهبوهم، أخذتها كلها، والتقمتها، ثم عادت كما كانت عصا بيده، أخذها بيده، هذا شيء عظيم، وبرهان قاطع أنه من

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

عند الله ﷻ، ولهذا خرَّ السحرة سجَّدًا، وألهمهم الله الرشد ووفقهم للهدى فاهتدوا، وقبلوا الحق، وخضعوا لما رأوا من الآيات العظيمة، ولكن من سبقت له الشقاوة، استمر في طغيانه وضلاله وهو فرعون ومن معه، فلم يستفيدوا من هذه الآية العظيمة حتى أغرقهم الله جميعًا.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال القاسم بن أبي بَزَّة: أوحى الله إليه أن ألق عصاك، فألقى عصاه، فإذا هي ثعبان فاغرٌ فَاهُ، يبتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجدًا، فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما قول القاسم بن أبي بزة أنهم رأوا الجنة، هذا يحتاج إلى دليل، والقاسم بن أبي بزة لم يرو عن النبي ﷺ، وهو أيضًا ليس بصحابي، فالمقصود أن هذا قد يقولون: مما تلقاها من بني إسرائيل، فلا يقال بمثل هذا بالرأي!، هذا من علم الغيب، وإنما رأوا الآية العظيمة التي لا يستطيعها المخلوق، فخروا سجدًا لله موحدين مؤمنين.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ **[الأعراف: ١٢٣ ـ ١٢٦]**[(١)].

يخبر تعالى عمَّا توعَّد به فرعون، لعنه الله، السَّحَرة لما آمنوا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

بموسى ﷺ، وما أظهره للناس من كيده ومكره في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾؛ أي: إن غَلَبَه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، كقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧٠] وهو يعلم وكلّ من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل؛ فإن موسى ﷺ، بمجرد ما جاء من «مَدْين» دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله: معاملة؟

**مداخلة**: نعم؟

**الشيخ**: معاملة وإلا معاملات؟

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله: ومعاملة سلطنته.

**الشيخ**: كذا عندكم؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: معاملة؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: ما يخالف، مفرد يعم، مفرد يعني: جميع المعاملات، جميع أنحاء السلطنة.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر.

**مداخلة**: . . . معاملة أحسن الله إليك، معاملة سلطنته، عمال يتعاملون يعني؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الظاهر والله أعلم يعني: جميع الجهات التي فيها يعني: قوات قراها ومدنها، جمع ما فيها من قوات وغيرها.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ممن اختار هو والملأ من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا يعرف أحدًا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسترًا وتدليسًا على رعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] فإن قومًا صدّقوه في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] من أجْهَل خلق الله وأضلهم.

وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قالوا: التقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأميرُ السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق. وفرعون ينظر إليهما، قالوا: فلهذا قال ما قال.

وقوله: ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾؛ أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولة، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما أصنع بكم.

ثم فسر هذا الوعيد بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾، يعني: يقطع يد الرّجُل اليمنى ورجْله اليسرى أو بالعكس. و﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على الجذوع.

قال ابن عباس: وكان أولَ من صلب، وأولَ من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون.

وقول السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾؛ أي: قد تحققنا إنا إليه

راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله ما تدعونا إليه، وما أكرهتنا عليه من السحر، أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله، لما قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾؛ أي: عمَّنا بالصبر على دينك، والثبات عليه، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾؛ أي: متابعين لنبيك موسى عليه السلام. وقالوا لفرعون: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٥] فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة.

قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَيْر، وقتادة، وابن جُرَيْج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٩][(١)].

يخبر تعالى عمَّا تمالأ عليه فرعون وملؤه، وما أظهروه لموسى عليه السلام، وقومه من الأذى والبغضة: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾؛ أي: لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ﴾؛ أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض؛ أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، ياالله للعجب!

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون، ولكن لا يشعرون؛ ولهذا قالوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ قال بعضهم: «الواو» هنا حالية؛ أي: أتذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا الجهلة، والمنافقون، وأصحاب الهوى، يرمون المصلحين بالفساد، ويزعمون أنهم هم المصلحون، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، هؤلاء عن عمد، وعن قصد، وعن هوى، وعن اتباع للباطل قالوا هذا الكلام نعوذ بالله، وهم يعلمون أن ما جاء به موسى هو الحق، كما قال في الأخرى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]، نسأل الله العافية، هذا من متابعة الهوى وإيثار الباطل.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقرأ ذلك أُبيّ بن كعب: «وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك»، حكاه ابن جرير.

وقال آخرون: هي عاطفة؛ أي: لا تدع موسى يصنع هو وقومه من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى تركه آلهتك.

وقرأ بعضهم: «إلاهتك»؛ أي: عبادتك، ورُوي ذلك عن ابن عباس ومجاهد.

وعلى القراءة الأولى قال بعضهم: كان لفرعون إلٰه يعبده. قال الحسن البصري: كان لفرعون إلٰه يعبده في السر. وقال في رواية أخرى: كان له جُمَانة في عنقه معلقة يسجد لها.

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وآلهته، فيما زعم ابن عباس، كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلًا جسدًا.

فأجابهم فرعون فيما سألوه بقوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ وهذا أمر ثان بهذا الصنيع، وقد كان نكَّل بهم به قبل ولادة موسى عليه السلام، حذرًا من وجوده، فكان خلاف ما رامه وضدّ ما قصده فرعون. وهكذا عومل في صنيعه [هذا] أيضًا، إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم، فجاء الأمر على خلاف ما أراد: نصرهم الله عليه وأذله، وأرغم أنفه، وأغرقه وجنوده.

ولما صمَّم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ ووعدهم بالعاقبة، وأن الدار ستصير لهم في قوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾؛ أي: قد جرى علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى، ومن بعد ذلك. فقال منبهًا لهم على حالهم الحاضرة وما يصيرون إليه في ثاني الحال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر، عند حلول النعم وزوال النقم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾، يعني: سيبتليكم بالسراء كما ابتلاكم بالضراء، فأهلك الله عدوهم في لحظة، وجعل لهم العاقبة الحميدة، وهكذا ينصر أولياءه، وأهل طاعته، ويجعل لهم العاقبة الحميدة، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. المقصود: أن الله جل جلاله جعل لهم العاقبة، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فأهلكه الله وجنده في لحظة، وجعل العاقبة لموسى ومن معه، وهكذا سبحانه وتعالى يجعل العاقبة لأهل التقوى، لكن المقام يحتاج إلى الصبر، والثبات،

ومراقبة الآخرة، وأن هذه الدار دار الابتلاء، ودار الامتحان، حتى يتحمل، الله المستعان.

**مداخلة**: معنى كلمة (عسى) إذا جاءت من لفظ الله تعالى؟

**الشيخ**: يقال: واجبة يعني: حقيقة متحقق.

**مداخلة**: وإذا جاءت من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل قول موسى؟

**الشيخ**: رجاء، من باب الرجاء، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، رجاء، من باب الرجاء.

**الشيخ**: بركة، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله أكبر.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣٠ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣١﴾ **[الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣١]**[(١)].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ وهي سِنِي الجوع بسبب قلة الزروع ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال مجاهد: وهو دون ذلك.

وقال أبو إسحاق، عن رجاء بن حَيْوة: كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأربعاء ٢٤ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾؛ أي: من الخصب والرزق ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ﴾؛ أي: هذا لنا بما نستحقه، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: جدب وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾؛ أي: هذا بسببهم وما جاؤوا به.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول: مصائبهم عند الله، قال الله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ وقال ابن جُرَيْج، عن ابن عباس قال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال: إلا من قِبَل الله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله. ربنا عَزَّ وَجَلَّ يقصُّ علينا أخبار الماضين لنتعظ ونتذكر، ونحذر أعمالهم التي من أجلها عوقبوا، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، قال: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾، بأسباب أعمالهم الخبيثة، عصيانهم لموسى وتكبرهم، وظلمهم، وعدوانهم، وطاعتهم لفرعون اللعين الذي يدعي أنه رب العالمين، فلهذا أخذوا بأنواع العذاب، السنين الجدب والقحط، ونقص الثمرات: قلة في الثمرات التي تحصل لهم من مزارعهم وبساتينهم وغير ذلك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، لعلهم يتعظون وينتبهوا فيتوبوا، ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ يعني: النعمة والخصب والرخاء (قالوا لنا هذا) هذه بأسباب

أعمالنا ونشاطنا وجدنا، وبأسباب كذا وكذا، لا يعرفون المنعم سبحانه وتعالى، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾، إذا جاءهم مصائب من الجدب وغيره، وهكذا ما جاءهم من القمل والضفادع وما ذكر معها، تطيروا بموسى ومن معه، تشاءموا بموسى وأصحابه، قالوا: هذا من شرهم، ومن شؤمهم، ومن أعمالهم، تنصلوا من الذنب والأسباب منهم، وعلقوا ذلك بغيرهم، وهذا من ظلمهم وإعراضهم عن الحق، واستكبارهم عن الإقرار بالحق، وعن الخضوع لله سبحانه وتعالى، قال الله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يعني: ما أصابهم وما حصل لهم من الله، بسبب ذنوبهم وأعمالهم الخبيثة، نحسهم وما أصابهم وما نزل بهم كله من الله عدلًا منه، بأسباب أعمالهم الخبيثة، وفي الآية الأخرى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]، يعني: نحسكم، وشركم معكم، ذنوبكم وسيئاتكم، فذنوبهم وسيئاتهم معهم، طائرهم معهم، وكون الله عاقبهم بذلك هو مما عند الله، الطير عند الله كونه أصابهم وعاقبهم بذنوبهم، والطائر اللي معهم، ذنوبهم وسيئاتهم وكفر النعم، فاحذروا يا أولي الأبصار، احذروا أيها الناس أن تكونوا مثلهم، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فإن قيمة الإنسان والقبيلة، وأهل البلد أو المصر أو الناحية إنما هي بأعمالهم الطيبة، أو بضدها، لا بذواتهم وأنسابهم وأموالهم، لا، إنما ذلك بأعمالهم، فمن قدم الخير والعمل الصالح والصدق والإخلاص استحق من الله المثوبة، والتيسير والتسهيل في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ومن قدم المعاصي والشرور، والكفر والضلال، والاستكبار عن طاعة الله، والعناد، أحل بنفسه عقاب الله، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢ ـ ١٣٥][١].

هذا إخبار من الله، ﷻ، عن تَمرد قوم فرعون وعتوهم، وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ يقولون: أيُّ آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها، رددناها فلا نقبلها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ اختلفوا في معناه، فعن ابن عباس في رواية: كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار. وبه قال الضحاك بن مُزَاحِم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا التكبر غاية في الشر والشؤم والفساد وسوء الخلق، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾، ما قالوا: إذا جئتنا بآية نفهمها قبلنا منك، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ﴾، جميع الآيات لا يقبلونها، هذا غاية التمرد، نعوذ بالله، نسأل الله العافية، الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هو كثرة الموت. وكذا قال عطاء.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

وقال مجاهد: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ الماء، والطاعون على كل حال.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا يحيى بن يَمان، حدثنا المِنْهَال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن مِيناء، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطوفان الموت».

وكذا رواه ابن مردويه، من حديث يحيى بن يمان، به وهو حديث غريب[١].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الحديث ضعيف، والطوفان بلا شك هو الماء الذي أرسله الله عليهم حتى خرب الكثير من بلادهم، الطوفان إذا أطلق مثل ما في قصة قوم نوح وكثرة الماء، وطغيانه على الحدود المعروفة، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هو أمر من الله طاف بهم، ثم قرأ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠].

وأما الجراد فمعروف مشهور، وهو مأكول؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفُور قال: سألت عبد الله بن أبي أَوْفَى عن الجراد، فقال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الْجَرَادَ[٢]. وروى الشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن ماجه من حديث عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ**

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٩/٣١)، وابن عساكر (٦١/٦٧)، والديلمي (٢/٤٦٥) برقم (٣٩٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل الجراد برقم (٥٤٩٥)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الجراد برقم (١٩٥٢).

**وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»**(١).

ورواه أبو القاسم البغوي، عن داود بن رُشَيْد، عن سُوَيْد بن عبد العزيز، عن أبي تمام الأيليّ، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر مرفوعًا مثله. وروى أبو داود، عن محمد بن الفرج، عن محمد بن الزِّبْرِقان الأهوازي، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال: **«أَكْثَرُ جُنُودِ اللهِ لَا آكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ»**(٢). وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه، كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب، وأذن فيه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد، من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العدوي، حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد، حدثنا يحيى بن خالد، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد، ولا الكلوتين، ولا الضب، من غير أن يحرمها. أما الجراد: فرجز وعذاب. وأما الكلوتان: فلقربهما من البول. وأما الضب فقال: «أتخوف أن يكون مسخًا»، ثم قال: غريب، لم أكتبه إلا من هذا الوجه. وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشتهيه ويحبه، فروى عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن عمر سُئل عن الجراد فقال: ليت أن عندنا منه قَفْعَة أو قفعتين نأكله. وروى ابن ماجه: حدثنا أحمد بن مَنِيع، عن سفيان بن عيينة، عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال، سمع أنس بن مالك يقول: كن أزواج النبي ﷺ يَتَهادَيْن الجراد على الأطباق(٣).

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في أكل الجراد برقم (٣٨١٣)، وابن ماجه في كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد برقم (٣٢١٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيد، باب. باب صيد الحيتان والجراد برقم (٣٢٢٠).

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن رُشَيْد، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد، عن نُمَيْر بن يزيد القَيْني، حدثني أبي، عن صُدَيّ بن عَجْلان، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ سَأَلَتْ رَبَّهَا أَنْ يُطْعِمَهَا لَحْمًا لَا دَمَ لَهُ فَأَطْعَمَهَا الْجَرَادَ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ أَعِشْهُ بِغَيْرِ رَضَاعٍ وَتَابِعْ بَيْنَهُ بِغَيْرِ شِيَاعٍ**»(١).

وقال نُمَير: «الشِّيَاع»: الصوت.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك اليَزَني، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شُرَيْح بن عبيد، عن أبي زُهَيْر النميري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَقْتُلُوا الْجَرَادَ فَإِنَّهُ جُنْدُ اللهِ الأَعْظَمِ**»(٢)، غريب جدًّا.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ﴾ قال: كانت تأكل مسامير أبوابهم، وتَدَع الخشب.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سبحان الله، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى ابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي، عن محمد بن كثير، سمعت الأوزاعي يقول: خرجت إلى الصحراء، فإذا أنا برِجْل من جراد في السماء، وإذا برَجل راكب على جَرَادة منها، وهو شاك في الحديد، وكلما قال بيده هكذا، مال الجراد مع يده، وهو يقول: الدنيا باطل باطل ما فيها، الدنيا باطل باطل ما فيها، الدنيا باطل باطل ما فيها.

---

(١) أخرجه البيهقي (٢/ ٣٣٤) باب ما جاء فى أكل الجراد.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري، حدثنا محمد بن الحسن بن زياد، حدثنا أحمد بن عبد الرحيم، أخبرنا وَكِيع، عن الأعمش، أنبأنا عامر قال: سئل شُرَيْح القاضي عن الجراد، فقال: قبَّح الله الجرادة. فيها خلقة سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورِجلاها رِجلا جمل. وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب.

وقد قدمنا عند قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] حديث حماد بن سلمة، عن أبي المُهزَم، عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة، فاستقبلنا رِجْلُ جراد، فجعلنا نضربه بالعِصِيِّ، ونحن محرمون، فسألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «**لا بأس بصيد البحر**».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ضعيف؛ لأنه صيد بري يعيش في البر، أبو المهزم ضعيف ليس ممن يحتج به، علق على الحديث؟ . . . ضعيف؛ لضعف أبي المهزم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى ابن ماجه، عن هارون الحمَّال، عن هاشم بن القاسم، عن زياد بن عبد الله بن عُلاثة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أنس وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ؛ أنه كان إذا دعا على الجراد قال: «**اللَّهُمَّ أَهْلِكْ كِبَارَهُ وَاقْتُلْ صِغَارَهُ وَأَفْسِدْ بَيْضَهُ وَاقْطَعْ دَابِرَهُ وَخُذْ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ مَعَايِشِنَا وَأَرْزَاقِنَا إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**»(١). فقال له جابر: يا رسول الله، أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال: «إنما هو نثرة حوت في البحر». قال هاشم: أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره

---

(١) أخرجه أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد برقم (٣٢٢١).

الحوت قال: من حقق ذلك إن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس، أنه يفقس كله جرادًا طيارًا.

وقدَّمنا عند قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] حديث عُمَر رضي الله عنه: «إن الله خلق ألف أمة، ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وإن أولها هلاكًا الجراد». وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا يزيد بن المبارك، حدثنا عبد الرحمٰن بن قَيْس، حدثنا سالم بن سالم، حدثنا أبو المغيرة الجوزجاني محمد بن مالك، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وَباء مع السيف، ولا نجاء مع الجراد». حديث غريب. وأما «القمل» فعن ابن عباس: هو السوس الذي يخرج من الحنطة. وعنه أنه الدَّبَى وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له. وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة.

وعن الحسن وسعيد بن جبير: «القمل» دواب سود صغار.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: «القمل» البراغيث.

وقال ابن جرير «القمل» جمع واحدتها: «قُمَّلة»، وهي دابة تشبه القَمْل، تأكلها الإبل، فيما بلغني، وهي التي عناها الأعشى بقوله: قوم تعالج قُمَّلًا أبناؤهم وسلاسلًا أجُدًا وبابًا مؤصدًا.

قال: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب «الحمنان»، واحدتها «حمنانة»، وهي صغار القردان فوق القمامة.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن حميد الرازي، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: لما أتى موسى عليه السلام، فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الطوفان ـ وهو المطر ـ فصب عليهم منه شيئًا، خافوا أن يكون عذابًا، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر، فنؤمن لك،

ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. فأنبت لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ فقالوا: هذا ما كنا نتمنى. فأرسل الله عليهم الجراد، فسلَّطه على الكلأ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقي الزرع، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك ليكشف عنا الجراد فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسوا وأحرزوا في البيوت، فقالوا: قد أحرزنا. فأرسل الله عليهم القمل ـ وهو السوس الذي يخرج منه ـ فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى، فلم يرد منها إلا ثلاثة أقفزة فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينما هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضفدع، فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا. قال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذَقْنه في الضفادع، ويهم أن يتكلم فتثب الضفدع في فيه. فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم فلم يؤمنوا. وأرسل الله عليهم الدم، فكانوا ما استقوا من الأنهار والآبار، وما كان في أوعيتهم، وجدوه دمًا عبيطًا، فشكوا إلى فرعون، فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم، وليس لنا شراب. فقال: إنه قد سحركم!! فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماء إلا وجدناه دمًا عَبِيطًا؟ فأتوه وقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. وقد روي نحو هذا عن ابن عباس، والسدي، وقتادة وغير واحد من علماء السلف.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: فرجع عدو الله فرعون حين

آمنت السحرة مغلوبًا مغلولًا ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادي في الشر، فتابع الله عليه الآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصَّلات. فأرسل الطوفان ـ وهو الماء ـ ففاض على وجه الأرض ثم ركد، لا يقدرون على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئًا، حتى جهدوا جوعًا، فلما بلغهم ذلك ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ فدعا موسى ربه، فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل الشجر، فيما بلغني، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل، فذكر لي أن موسى عليه السلام، أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه، فمشى إلى كثيب أهيل عظيم، فضربه بها، فانثال عليهم قملًا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرارة، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له، فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد ثوبًا ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع، قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك، قالوا له مثل ما قالوا، فسأل ربه فكشف عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء، إلا عاد دمًا عبيطًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه والعياذ بالله عقوبات متتابعة، لكن مثل ما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. نسأل الله العافية. فهذا استكبار وعناد حتى أخذهم الله. نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور المروزي، أنبأنا النضر، أنبأنا إسرائيل، أنبأنا جابر بن يزيد عن عكرمة، قال عبد الله بن عَمْرو: لا تقتلوا الضفادع، فإنها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار، يطلب بذلك مرضاة الله، فأبدلهن الله من هذا أبرد شيء يعلمه من الماء، وجعل نقيقهن التسبيح. وروي من طريق عكرمة، عن ابن عباس، نحوه. وقال زيد بن أسلم: يعني بالدم: الرعاف. رواه ابن أبي حاتم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من أخبار بني إسرائيل، وأخبار بني إسرائيل مثل ما قال ﷺ: «**لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، يعني: إلا بدليل. وفيه جابر بن يزيد هذا المعروف أنه ابن زيد وهو الجعفي الخرافي المعروف، ضعيف. انظر عندك جابر بن يزيد.

**مداخلة**: هذا هو يا شيخ!.

**مداخلة**: في حاشية توضح المراد من هذا، قال: رواه ابن جرير الطبري ورواية ابن أبي حاتم كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء. ترجمة جابر بن يزيد الجعفي.

**الشيخ**: ماذا عندك؟

**مداخلة**: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله الكوفي، ضعيف رافضي، من الخامسة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، أبو داود والترمذي وابن ماجه.

**الشيخ**: هذا هو، هو الراوي عنه، ماذا الذي قبله جابر بن يزيد.

**مداخلة**: اللي قبله أحسن الله إليك! جابر بن يزيد بن الأسود السوائي.

**الشيخ**: واللي بعده؟

**مداخلة**: اللي بعده جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي.

**الشيخ**: طيب، نعم، ولكن ثبت عن النبي ﷺ النهي عن قتلها، الرسول ﷺ نهى عن قتلها، نعم، اللَّهُمَّ صل عليه.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ **[الأعراف: ١٣٦، ١٣٧]**(١).

يخبر تعالى أنهم لما عتوا وتمردوا، مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة، أنه انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم، وهو البحر الذي فرقه لموسى، فجاوزه وبنو إسرائيل معه، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم، فغرقوا عن آخرهم، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها.

وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون ـ وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦]

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمراد بالأرض هنا يعني أرض مصر، الله المستعان، نعم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨].

وعن الحسن البصري وقتادة، في قوله: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: الشام.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ قال مجاهد وابن جرير: وهي قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

وقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾؛ أي: وخرَّبنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ﴿يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ يبنون.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ **[الأعراف: ١٣٨، ١٣٩]**(١).

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين جاوزوا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، ﴿فَأَتَوْا﴾؛ أي: فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين. وقيل: كانوا من لخم.

قال ابن جريج: وكانوا يعبدون أصنامًا على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك، فقالوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾؛ أي: تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾؛ أي: هالك ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾. وروى الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير هذه الآية من حديث محمد بن إسحاق وعَقِيل، ومعمر كلهم، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: «ذات أنواط»، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «**قلتم والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسى لموسى**: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدِّيلي، عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَل حنين، فمررنا بسدرة، فقلت: يا نبي الله اجعل لنا هذه «ذات أنواط»، كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ **إِنَّهَا لَسُنَنٌ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً**»[١]. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه عن جده مرفوعًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدل على أن الاعتبار بالمعاني، لا بمجرد الآثار، فقوم موسى قالوا: اجعل لنا إلـٰهًا كما لهم آلهة، وهؤلاء من الصحابة قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فشبه المقالة بالمقالة؛ لأن المعنى واحد، يعني: اجعل لنا ذات أنواط لنعلق عليها السلاح، ونتبرك بها كما يتبركون بها، فهو معنى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾. فإن جعل شجرة أو صخرة أو غير ذلك يتبرك به ويعلق عليه السلاح أو الحراب أو يدعى أو يستغاث به معناه: اتخاذ إلـٰهًا مع الله، وهذا من شرك الأفعال والأقوال جميعًا والعقيدة كلها؛ لأنهم اعتقدوا أنه ينفعهم بهذا الطريق، فيدل على أن الاعتبار في جميع الأمور بالحقائق والمقاصد، لا بمجرد الألفاظ والصور. الله المستعان.

**الأسئلة:**

● **س: من استدل بهذه الآية على عذر عبَّاد القبور وقال: إن هؤلاء جهَّال؟**

○ **الجواب**: هذا يدل على جهلهم، وجهلهم معروف، وبجهلهم وقعوا في الشرك، وفيه التحذير من التقليد، فيه التحذير من تقليد الكفرة، والتأسي بهم، وأن الواجب الحذر، وأن يكون الهدف قال الله وقال رسوله ﷺ بالأدلة الشرعية، لا تقليد الناس، فتقليد الناس يوقع في المهالك، ولكن يجب الحذر، قال النبي ﷺ: «**لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ**»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢١٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٥).

«**لتركبن سنن من كان قبلكم**». ولكن يجب الحذر وعدم التقليد، وألا يأخذ الإنسان شيء إلا بالدليل، وينظر.. يسأل عن الدليل ويأخذ بالدليل لا بمجرد تقليد الناس واتباعهم، والتأسي بهم؛ فإن هذا يوقعه في المهالك، كما وقعت العرب وغير العرب في المهالك، لما وقع قوم نوح في الشرك بسبب ود وسواع ثم قلدهم غيرهم وقعوا في الشرك كما وقعوا فيه، وهكذا لما قال أولئك من بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، قلدهم هؤلاء العرب لما توجهوا إلى الطائف: فقالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠، ١٤١].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة، اللَّهُمَّ صل عليه، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله. يشبه هذا ما يفعله أيضًا بعض الحجاج والمعتمرين والزوار في مكة والمدينة، مع الشبابيك، والجدران، والأبواب، يتمسحون بها، وهو من جنس فعل هؤلاء، لكن فيه تفصيل: فإن كانوا يظنون أنها قربة وطاعة مثل تقبيل الحجر الأسود، فهذا عذر من أجل الجهل، يبين لهم أن هذا بدعة، ليس بمشروع، المشروع تقبيل الحجر فقط، واستلامه، والركن اليماني، أما سوى ذلك يكون بدعة، الركنين الآخرين، ومقام إبراهيم، والشبابيك والكسوة، التبرك بها والتمسح بها من البدع، أما لو قصد بالتبرك بها طلب البركة منها من الشباك، أو من الكسوة، أو من مقام إبراهيم إذا طلب البركة منه، وأنه يعطي البركة، صار من الشرك الأكبر، وهكذا في مسجد النبي ﷺ في الشبابيك والجدران والحجرة النبوية، التمسح بها وتقبيلها من البدع، لمن ظن أن هذا قربة، وأنه طاعة، ومن

قصد بذلك أنه يحصل له بذلك شيء، وأنه يطلب منها شيء، وأن بتقبيله يحصل له كذا وكذا، كما يظن عباد القبور، وعباد اللات والعزى فكان هذا من الشرك، نسأل الله العافية.

• **س: هؤلاء الذين يطلبون البركة من الشبابيك أو غيرهم أو الجدران يستفصل منهم أو يحكم عليهم بمجرد الفعل؟**

○ **الجواب**: يعلمون أنه منكر، يبين لهم، يبين أنه منكر، ويوضح لهم.

**مداخلة**: يعني قبل أن يحكم عليهم يستفصل منهم؟!

**الشيخ**: لا، ينكر عليهم مطلقًا، منكر مطلقًا، لكن يبين لهم أن هذا لا يجوز، وأنك إذا قصدت بذلك أنه يقربك، وأنه يحصل لك به البركة من جهة هذا العمل، صار من قبيل الشرك، أما إن كان يظن أنه عبادة، مثل ما يقبل الحجر الأسود عبادة فقط، فهذا من البدع.

**مداخلة**: ؛ لكن لا نحكم عليه بمجرد الفعل؟!

**الشيخ**: ينكر عليهم إنكار؛ لأنه إما بدعة وإما شرك، فهو منكر على كل حال.

• **س: بعض الحجاج يقبل حتى الركن اليماني؟**

○ **الجواب**: يعلم، يعلم أنه ما يشرع التقبيل، إنما هو استلام.. ولهذا لما قبل الحجر الأسود عمر ﷺ قال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)، يعني: أني قبلتك واستلمتك استنانًا وتأسيًا، لا لاعتقاد أن هذا التقبيل وهذا الاستلام ينفعني أو تركه يضرني، وإنما هو التأسي، فالتأسي بالنبي ﷺ هو اللي يحصل به الأجر يحصل به الثواب، بقصد الإخلاص لله، والتأسي برسول الله ﷺ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٠، ١٤١]**(١).

يذكِّرهم موسى عليه السلام، بنعمة الله عليهم، من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره، وما كانوا فيه من الهوان والذلة، وما صاروا إليه من العزة والاشتفاء من عدوهم، والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه، وغرقه ودماره. وقد تقدم تفسيرها في سورة البقرة.

*

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٢]**(٢).

يقول تعالى ممتنًّا على بني إسرائيل، بما حصل لهم من الهداية، بتكليمه موسى عليه السلام، وإعطائه التوراة، وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة.

قال المفسرون: فصامها موسى عليه السلام، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة، فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر أربعين.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ٨ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ٨ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي؟ فالأكثرون على أن الثلاثين هي ذو القعدة، والعشر عشر ذي الحجة. قاله مجاهد، ومسروق، وابن جريج. وروي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام، وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه الآية نزلت في يوم عرفة، تكميل لمحمد ﷺ نزلت في يوم عرفة، في حجة الوداع، نزلت هذه الآية وهي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] في يوم عرفة، بين الله فيها إكمال الدين، وأما الأربعون التي أمر الله بها موسى فلا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، إلا بنصٍّ من الرسول ﷺ، أما أخبار بني إسرائيل فلا يعول عليها، المهم أنها أربعون ليلة، وعده الله ثلاثين ثم أتمها بعشر، وصارت أربعين، ثم كلمه بعدها، بعد تمام الأربعين، يحتمل أنها في ذي القعدة، ويحتمل أنها في غيرها، المهم أنها أربعون.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

فلما تم الميقات عزم موسى على الذهاب إلى الطور، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ الآية [طه: ٨٠]، فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد. وهذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون عليه السلام، نبي شريف كريم على الله، له وجاهة وجلالة، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر الأنبياء.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣][(١)].

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام، أنه لما جاء لميقات الله تعالى، وحصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، وقد أشكل حرف «لن» هاهنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٤].

وقوله تعالى إخبارًا عن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعًا بين هذه الآية، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة.

وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، وقد تقدَّم ذلك في الأنعام [الآية: ١٠٣].

وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «**يا موسى، إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير. وتعليق سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في ليلة الاثنين ١٣ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾. قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: حدثنا أحمد بن سُهَيْل الواسطي، حدثنا قُرَّة بن عيسى، حدثنا الأعمش، عن رجل، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لما تجلَّى ربه للجبل، أشار بإصبعه فجعله دكًّا**» وأرانا أبو إسماعيل بإصبعه السبابة. هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم، ثم قال: حدثني المثنى، حدثنا حجَّاج بن مِنْهال، حدثنا حَمَّاد، عن لَيْث، عن أنس؛ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: «هكذا بإصبعه ـ ووضع النبي ﷺ إصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر ـ فساخ الجبل».

هكذا وقع في هذه الرواية «حماد بن سلمة، عن ليث، عن أنس». والمشهور: حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، كما قال ابن جرير:

حدثني المثنى، حدثنا هُدْبَة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ: قال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: وضع الإبهام قريبًا من طرف خنصره، قال: فساخ الجبل ـ قال حميد لثابت: تقول هذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد، وقال: يقوله رسول الله ﷺ، ويقوله أنس وأنا أكتمه. وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده: حدثنا أبو المثنى، معاذ بن معاذ العنبري، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قَالَ: قَالَ هَكَذَا يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ. قَالَ أَبِي: أَرَانَا مُعَاذٌ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَقُولُ أَنْتَ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ[١].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٢٥). والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة =

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وتقول، ليس هذا المراد به التمثيل والتشبيه، المراد به بيان الحقيقة، وأن الله ﷻ أشار من جمع الحقيقة حتى اندك بإصبعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله ﷻ ليس كمثله شيء، فليس مراد أنس، ولا مراد النبي ﷺ، ولا مراد ثابت التشبيه؛ بل المراد بيان الحقيقة، مثل ما أشار النبي ﷺ لما تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] أشار إلى عينيه وسمعه، يعني: أنه عن بصر حقيقة وسمع حقيقة، الله لا يشبهه شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فليس بصره كأبصارنا، ولا سمعه كأسماعنا، ولا إصبعه كأصابعنا.. وهكذا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإنما المراد بمثل هذا أنه شيء حق، ليس إشارةً، أو خدشًا، إنما هو شيء حقيقة، إشارة حقيقة.

**مداخلة:** أحسن الله إليكم، هل يؤخذ من هذا أن لله خنصر؟

**الشيخ:** مثل ما جاء في الحديث.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق، عن معاذ بن معاذ به. وعن عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة به ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث حماد.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق، عن حماد بن سلمة، به. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، عن محمد بن علي بن سُوَيْد، عن

---

= الأعراف برقم (٣٠٧٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف برقم (٣٢٨٨)، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

أبي القاسم البغوي، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، فذكره وقال: هذا إسناد صحيح لا علة فيه.

وقد رواه داود بن المحبر، عن شعبة، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا وهذا ليس بشيء؛ لأن داود ابن المحبر كذاب، ورواه الحافظان أبو القاسم الطبراني وأبو بكر بنحوه.

وأسنده ابن مردويه من طريقين، عن سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا بنحوه، وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيْلماني، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعًا، ولا يصح أيضًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن ابن البيلماني ضعيف الحديث.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السُّدِّي، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: ترابًا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال: مغشيًّا عليه. رواه ابن جرير.

وقال قتادة: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال: ميتًا.

وقال سفيان الثوري: ساخ الجبل في الأرض، حتى وقع في البحر فهو يذهب معه. وقال سُنَيْد، عن حجاج بن محمد الأعور، عن أبي بكر الهذلي: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ انقعر فدخل تحت الأرض، فلا يظهر إلى يوم القيامة.

وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض، فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة، رواه ابن مردويه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شَبَّة، حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكناني، حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن معاوية بن عبد الله،

عن الجلد بن أيوب، عن معاوية بن قُرَّة، عن أنس بن مالك؛ أن النبي ﷺ قال: «**لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة، بالمدينة: أحد، وورقان، ورضوى. ووقع بمكة: حراء، وثَبِير، وثور**». وهذا حديث غريب؛ بل منكر.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج، حدثنا الهَيْثَم بن خارجة، حدثنا عثمان بن حُصَين بن عَلاق، عن عُرْوة بن رُوَيم قال: كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صُمًّا مُلْسًا، فلما تجلى الله لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف.

وقال الربيع بن أنس: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور، صار مثل دك من الدكاك. وقال بعضهم: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾؛ أي: فتَّته.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فإنه أكبر منك وأشد خلقًا، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل فدك على أوله، ورأى موسى ما يصنع الجبل، فخر صعقًا.

وقال عكرمة: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: نظر الله إلى الجبل، فصار صحراء ترابًا.

وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء، واختارها ابن جرير، وقد ورد فيها حديث مرفوع، رواه بن مردويه.

والمعروف أن «الصَّعْق» هو الغشي هاهنا، كما فسره ابن عباس وغيره، لا كما فسره قتادة بالموت، وإن كان ذلك صحيحًا في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فإن هناك قرينة

تدل على الموت كما أن هنا قرينة تدل على الغشي، وهي قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ والإفاقة إنما تكون من غشي.

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا وتعظيمًا وإجلالًا أن يراه أحد من الدنيا إلا مات.

وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال مجاهد: أن أسألك الرؤية.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد: من بني إسرائيل. واختاره ابن جرير. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ أنه لا يراك أحد. وكذا قال أبو العالية: قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

وهذا قول حسن له اتجاه. وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا أثرًا طويلًا فيه غرائب وعجائب، عن محمد بن إسحاق بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله [تعالى] أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، ﴿أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ بأنه لا يراك أحد في الدنيا، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أنه قال: «**تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت**»[(١)]، هذه الدار دار امتحان، دار العمل، ما هي بدار النعيم، والرؤية من النعيم؛ بل أعلى نعيم أهل الجنة الرؤية، رؤية الله ﷻ هي أعلى نعيم أهل الجنة، وهذه دار الدنيا دار العمل، دار التكليف، دار الامتحان والاختبار والفتن، وليست دار النعيم، فلهذا لا يراه أحد في الدنيا، ولما سأل ذلك موسى ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾، وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ساقه بعد حديث رقم (٢٩٣١).

«**تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»، فلما سئل قيل: يا موسى هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(١)، في اللفظ الآخر قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**»(٢)، ولهذا الذي عليه جمهور أهل العلم أنه ﷺ لم ير ربه حين عُرج به إلى السماء، وإنما سمع الكلام فقط كلمه الله، وفرض عليه الصلوات الخمس في ليلة المعراج والإسراء، ولم يره، إنما هو كلام سمع كلامه كما سمعه موسى وفرض عليه الصلوات الخمس خمسين صلاة، فلم يزل يراجع ربه يطلبه التخفيف حتى جعلها خمسًا، ونادى مناد: (إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي). فهو سبحانه يكلم من شاء كما يشاء ﷻ، أما الرؤية فلها شأن عظيم، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، يعني: في الدنيا، هذا المراد، ليس للتأبيد الكلي؛ بل للتأبيد الدنيوي، ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في الدنيا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ وهكذا محمد ﷺ وهو أفضل الخلق لم يره ولكنه سمع الكلام.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! رؤية الله في المنام تحصل؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: الرؤية في المنام..؟

○ **الجواب**: ذكر كثير من أهل العلم أنها تحصل في المنام على وجه لا تشبيه فيه، ولا تمثيل فيه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ فيه أبو سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ. فأما حديث أبي سعيد، فأسنده البخاري في صحيحه هاهنا، فقال: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن يحيى

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»، وفي قوله: «**رَأَيْتُ نُورًا**» برقم (١٧٨).

(٢) المصدر السابق.

المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لُطِم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلًا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي. قال: «ادعوه» فدعوه، قال: «لم لطمت وجهه؟» قال: يا رسول الله، إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر.

قال: قلت: وعلى محمد؟ فأخذتني غضبة فلطمته، قال: «**لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»(١).

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه، ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه، وأبو داود في كتاب «السُّنَّة» من سننه من طرق، عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني، عن أبيه، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري، به

وأما حديث أبي هريرة فقال الإمام أحمد في مسنده:

حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن وعبد الرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: استبَّ رجلان: رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدًا على العالمين. وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فغضب المسلم على اليهودي فلطمه، فأتى اليهودي رسول الله ﷺ، فسأله فأخبره، فدعاه رسول الله ﷺ، فاعترف

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ برقم (٤٦٣٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام برقم (٢٣٧٤)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في التخيير بين الأنبياء يرقم (٤٦٦٨).

بذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ»**. أخرجاه في الصحيحين، من حديث الزهري، به(١).

وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ: أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار، وهذا هو أصح وأصرح، والله أعلم.

والكلام في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«لا تخيِّروني على موسى»**، كالكلام على قوله: **«لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى»**، قيل: من باب التواضع. وقيل: قبل أن يعلم بذلك. وقيل: نهى أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب. وقيل: على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

على رسول الله. الذي استقر وثبت أن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو أفضل الناس وهو أفضل الأنبياء، وهو خاتمهم؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»**(٢).

اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم، فهو خاتم الأنبياء وهو وسيد ولد آدم، فلهذا أشكل قوله: لا تخيروا بين الأنبياء ، لا تفضلوني على الأنبياء فقيل ذلك. . فقيل: إنه قال هذا على سبيل التواضع والهضم للنفس، وقيل: إن ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل الأنبياء وأنه خير الناس، قال هذا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي برقم (٢٤١١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى برقم (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٨)، والإمام أحمد (١/ ٤).

قبل أن يعلم، ثم علم وأخبر الناس أنه سيد ولد آدم. وقيل: أن هذا إذا كان على سبيل التعصب، في المفاضلة في حظ النفس لا على سبيل الإنصاف وبيان الحق، وإنما هو على سبيل التعصب، لا لتعصب هذا ولا هذا يتعصب لهذا.

○ **والجواب** هو: أحد الجوابين الأولين، الصواب: أنه قال ذلك على سبيل الهضم والتواضع، أو على أنه كان قبل أن يعلم أنه أفضل الأنبياء وخير الناس عليه الصلاة والسلام. وفيه فضل موسى عليه الصلاة والسلام، وأنه حين أفاق ﷺ يوم القيامة رآه باطشًا بقائمة العرش قد أفاق، قال: فلا أدري هل جوزي بصاعقة الطور في الدنيا أم أنه أفاق قبلي، هذه منقبة لموسى كونه لما أفاق ﷺ في يوم القيامة وجده لم يصعق؛ لأن الناس يصعقون يوم القيامة في الموقف، فيشرع غير صعقة البعث وغير صعقة الموت هذه صعقة أخرى والناس في المحشر، والناس في موقف القيامة يصعقون، والظاهر والله أعلم أنه عند مجيء الله ﷻ لفصل القضاء، كما في بعض الروايات: عند مجيء الله لفصل القضاء يصعق الناس من شدة الهول، فيكون ﷺ أول من يفيق من تلك الصعقة العظيمة، فإذا هو يرى موسى آخذًا بقائمة العرش قد وعى، فلا يدري هل كان صعق وأفاق قبله، أو أنه جوزي بالصعقة التي وقعت في الدنيا فلم يصعق مع الناس يوم القيامة في الموقف. وموسى عليه الصلاة والسلام امتحن وأوذي من آل فرعون، واصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وهو من أولي العزم من الرسل، وقد كلمه ﷻ، فهو كليم الرحمٰن: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وهو من الخمسة أولي العزم، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام، هم أفضل الرسل؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧].

فالمقصود: أنه عليه الصلاة والسلام له المزية العظيمة بالنسبة إلى جميع الرسل والأنبياء وهو أفضلهم وهو إمامهم، وهو خاتمهم، ويوم القيامة يفزع الناس، يفزع المؤمنون إلى آدم ليشفع لهم حتى يريحهم من كرب الموقف فيعتذر، ويحيلهم إلى نوح، ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم ثم إبراهيم إلى موسى ومن موسى إلى عيسى كلهم يعتذرون، ويحيلهم عيسى إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها ويتقدم ويشفع في الناس عليه الصلاة والسلام. يقول ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]. هؤلاء هم أولوا العزم، وهم المذكورين في قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٧] أيضًا سورة الأحزاب، وأفضلهم: محمد ﷺ، ثم إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

**الأسئلة:**

**القصاص بين الكفار والمسلم:**

● **س: يا شيخ أحسن الله إليك! هل يجوز الاقتصاص من الكافر للمسلم ومن المسلم للكافر أيضًا؟**

○ **الجواب**: في هذا ولم يقتص له النبي ﷺ، هذا مما لم يقتص، وإنما بيَّن الحكم عليه الصلاة والسلام؛ والأنصاري له سنة لما غضب، غضب لله، فلعل هذا هو السبب بكون النبي ﷺ أعرض عنه في الموضوع.

**الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ...﴾ الآية وبين ترك النبي القصاص من الكافر:**

● **س: قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ [المائدة: ٨] هل فيه يا شيخ! معارضة بين هذا الحديث؟**

○ **الجواب**: هذه ما هي معارضة، الشاهد: لا يقتص ما يقتل.. «**لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**»[(١)]، والنص ولكن دفع الدية فقط.

**مداخلة**: لكن يا شيخ قد يسلمك....؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يمكن ينصح أو يؤدب.. بدون قصاص، يؤدب بأقل.

● **س: ترتيب الأفضلية بين أولي العزم من الرسل!**

○ **الجواب**: والأقرب والله أعلم: محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم التفاضل بين عيسى ونوح. والله أعلم.

● **س: أحسن الله إليك، قول النبي ﷺ: «فلا أدري أكان ممن أفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله»؟**

○ **الجواب**: في رواية: ممن استثنى الله، وفي رواية: أم جوزي بصعقة الطور.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: «**فإن الناس يصعقون يوم القيامة**»، الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه، والله أعلم به.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، هذه الصعقة صارت يوم القيامة، في الموقف، أما الصعقتان المذكورتان في القرآن فهما: صعقة الموت، والثانية: صعقة البعث والنشور. الله المستعان

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، وتجلَّى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب العلم برقم (١١١).

للخلائق الملك الديان، كما صعق موسى من تجلِّي الرب ﷻ، ولهذا قال ﷺ: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»؟

وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه «الشفاء» بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق: حدثنا قتادة، حدثنا الحسن، عن قتادة، عن يحيى بن وثاب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لما تجلى الله لموسى ﷺ، كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء، مسيرة عشرة فراسخ»، ثم قال: «ولا يبعد على هذا أن يختص نبيًّا بما ذكرناه من هذا الباب، بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى». انتهى ما قاله، وكأنه صحح هذا الحديث، وفي صحته نظر، ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله، حتى ينتهي إلى منتهاه، والله أعلم.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٣]**[(١)].

قال ابن عباسٍ: ﴿أَرِنِىٓ﴾: أعطني.

حدّثنا محمّد بن يوسف، حدّثنا سفيان، عن عمرو بن يحيى المازنيّ، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى النّبيّ ﷺ قد لطم وجهه وقال: يا محمّد إنّ رجلًا من

(١) من شرح سماحته ﷺ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

أصحابك من الأنصار لطم وجهي، قال: **(ادْعُوهُ)**، فَدَعَوْهُ، قَالَ: **(لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟)** قال: يا رسول الله، إنّي مررت باليهود فسمعته يقول: والّذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمّدٍ؟ وأخذتني غضبةٌ فلطمته، قال: «**لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّور**»(١).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من باب التّواضع عليه الصّلاة والسّلام، وبيان أنّه ما ينبغي التفضيل بالتعصّب بل بالأدلّة الشّرعيّة، وهو أفضل الخلق، كما قال عليه الصّلاة والسّلام: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»(٢)، ولم يعاقب الأنصاريّ لأنّه مجتهدٌ ـ الأنصاريّ ـ غضب لله.

فهذا يدلّ على أنّ الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر إذا وقعت منهم غلطةٌ بسبب الغضب لله؛ فإنّهم ينصحون ويوجّهون، ولا يعاقبون في ما قد يدخله الاجتهاد ويدخله التّسامح؛ لأنّ الرّسول ﷺ لم يذكر أنّه عاقب الأنصاريّ؛ لأنّ الّذي حمله على لطم اليهوديّ إظهاره التفضيل على محمّد، والتّنقّص لمحمدٍ عليه الصّلاة والسّلام؛ حيث قال: والّذي اصطفى موسى على البشر. ومن البشر محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وهو يعلم أن محمّدًا هو رسول الله ولكن حملهم الحسد البغي، قاتلهم الله.

• **س: يقتصّ للكافر من المسلم يا شيخ؟**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٨).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان له شبهةٌ يعطى الدّية، ما يتماثلان؛ ولهذا لا يقتل المسلم بالكافر، وهكذا لا تقطع يده بيده، لكن يعطى الدّية.

• **س: لكن لو لطمه يا شيخ بسبب مشاجرةٍ؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا شيءٌ آخر ما هو غضبٌ لله، هذا يرى وليّ الأمر بما يرى ما هو بالقصاص، يرى تأديبه بما يرى، والمقاصّة ما تكون بين الكافر ومسلمٍ، لكن يؤدّب بما يراه وليّ الأمر.

• **س: وإن كان غضبه لله لا يقتصّ منه؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم إذا كان غضبه لله فيما يتعلّق بالأمر والنّهي لا، هذا لا، النّبيّ ﷺ لم يؤدّب الأنصاريّ.

• **س: قوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[(١)]، من فضّل محمّدًا وإبراهيم عليهما الصّلاة والسّلام؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

محمّد أفضل البشر عليه الصّلاة والسّلام، ولكن قوله: «**لا تفضّلوني**» من باب التّواضع، والتّحريم من التعصّب على غير بصيرةٍ.

• **س: الواقع ـ أحسن الله إليك ـ على خلاف ذلك في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله يصلح الجميع، ويوفق الجميع، يغيّر الله الحال إلى أحسن من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٤١٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى برقم (٢٣٧٣).

هذا ـ إن شاء الله ـ ولاة الأمور يوجّهون إلى الخير، ونسأل الله أن يوفقهم إلى الخير.

● **س: هل يصل التأديب إلى القتل؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رأى وليّ الأمر القتل قتل، إذا رأى وليّ الأمر القتل من التعزير قتل.

● **س: أحسن الله إليك، تفسير ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قوله: «ربّ أرني»: أي: أعطني؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أعطني التّمكّن؛ يعني: مكّني يعني.

* *

حدّثنا مسلمٌ، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك، عن عمرو بن حريثٍ، عن سعيد بن زيدٍ عن النّبيّ ﷺ قال: «**الْكَمْأَةُ**(١) **مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءُ الْعَيْنِ**»(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يسمُّونَها الفَقِي المنَّ، اللهُ أعطَى بني إِسْرَائِيْلَ فِي التِّيهِ المنَّ والسَّلوى.

* *

---

(١) يسمونها: الفقع.

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب المن والسلوى برقم (٤٦٣٩)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداراة العين بها برقم (٢٠٤٩).

**تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥](١).

يذكر تعالى أنه خاطب موسى عليه السلام بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى، ولا شك أن محمدًا ﷺ ولد آدم من الأولين والآخرين؛ ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، التي تستمر شريعته إلى قيام الساعة، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم موسى بن عمران كليم الرحمٰن عليه السلام؛ ولهذا قال الله تعالى له: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾؛ أي: من الكلام والوحي والمناجاة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾؛ أي: على ذلك، ولا تطلب ما لا طاقة لك به.

ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء، قيل: كانت الألواح من جوهر، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكامًا مفصلة مبينة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص: ٤٣].

وقيل: الألواح أعطيها موسى قبل التوراة، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه، والله أعلم.

**مداخلة:** أحسن الله إليك الألواح نزلت من السماء؟

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

الله أعلم، ولا مانع من أن تكون التوراة كتبت له في الألواح تكون من جملة التوراة، وقد تكون هذه الكتابة تابعة للتوراة فيها تفصيل مثلما قال الله ﷻ، وأما كونها من جوهر أو من كذا الله أعلم، الحكم عليها لا بد يكون من نص، لا يحكم على الشيء إلا بنص بدليل.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! التوراة خطَّها الله بيده؟

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** التوراة خطها الله بيده؟

**الشيخ:** نعم؟.

**مداخلة:** التوراة؟

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** خطها الله بيده لموسى.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

جاءت أحاديث فيها ذكر الألواح ونحن ما نعرف من كتب له، قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ أقول: ما في مانع أنه كذلك كتب له الألواح نعم بيده. المقصود: إن الله خصه بأشياء عليه الصلاة والسلام التوراة والكلام وهذه الألواح، وما جرى عليه من المحنة من فرعون، ثم خلصه الله من فرعون وأنجاه وبني إسرائيل في هذه الآية العظيمة الخارقة، فإن الله ﷻ جعل له أعظم طريق في البحر يبسًا حتى نجا هو وقومه بآية عظيمة، هذا البحر جعله الله اثني عشر طريقًا، وصارت بين كل طريق وطريق مثل الجبل من الماء واقف من آيات الله العظيمة. الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بعزم على الطاعة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا

بِأَحْسَنِهَا﴾ قال سفيان بن عيينة: حدثنا أبو سعد عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه.

وقوله: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: سترون عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب؟

قال ابن جرير: وإنما قال: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: «سأريك غدًا إلام يصير إليه حال من خالف أمري»، على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره.

ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد، والحسن البصري.

وقيل: معناه ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: من أهل الشام، وأعطيكم إياها. وقيل: منازل قوم فرعون، والأول أولى، والله أعلم؛ لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه، والله أعلم.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٦، ١٤٧]**(١).

يقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: سأمنع فهم الحجج

والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق؛ أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وقال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر.

وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبدًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جاء معناه عن مجاهد: لا ينال العلم مستح ولا مستكبر. يعني: ينبغي للمؤمن أن يجتهد في طلب العلم بالتواضع، أما من تأخر بالحياء فاته العلم، أو تكبر أن يحضر مجالس العلم أو يسأل فاته العلم، فلا بد من التواضع في السؤال، وحضور مجالس العلم، ولا بد من الإقدام وعدم الحياء، ولهذا قالت أم سليم: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ»**[1]. فطالب العلم يجتهد، ويبادر ويحرص على حضور حلقات العلم، وعلى السؤال، وعلى مراجعة الكتب حتى يستفيد، ولا يمنعه ذلك من كونه جلس مع الفقراء، أو بعد عليه الطريق أو ما أشبه ذلك.

**مداخلة**: يا شيخ سلَّمك الله! يدخل الأنبياء يدخلوا على حسب ما لهم من الفضل والبعثة والمعجزات؟

**الشيخ**: الله أعلم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال سفيان بن عُيَينة في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحياء في العلم برقم (١٣٠)، ومسلم في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها برقم (٣١٣).

يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قال: أنزع عنهم فَهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه عقوبات، من باب العقوبة بسبب التكبر يصرفون عن العلم وعن فهم الأقوال والسُّنَّة، عقوبة عاجلة نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة قلت: ليس هذا بلازم؛ لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾؛ أي: وإن ظهر لهم سبيل الرشد؛ أي: طريق النجاة لا يسلكوها، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلًا.

ثم علل مصيرهم إلى هذه الحال بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: كذبت بها قلوبهم، ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾؛ أي: لا يعلمون شيئًا مما فيها.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾؛ أي: من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلى الممات، حبط عمله.

وقوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾؛ أي: إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وكما تدين تدان.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، كل هذا فيه تذكير لهذه الأمة ولغيرهم، وأن الواجب على هذه الأمة أن تبتعد وتأخذ حذرها مما أصاب غيرها وجرى لغيرها. لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ [الأعراف: ١٤٨، ١٤٩][(١)].

يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل، الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط، الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلًا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصار عجلًا جسدًا له خوار، و«الخوار» صوت البقر.

وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لميقات ربه تعالى، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور، حيث يقول تعالى إخبارًا عن نفسه الكريمة: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]. وقد اختلف المفسرون في هذا العجل: هل صار لحمًا ودمًا له خوار؟ أو استمر على كونه من ذهب، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر؟ على قولين، والله أعلم. ويقال: إنهم لما صَوّت لهم العجل رَقَصُوا حوله وافتتنوا به، ﴿فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه:

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨٨]، فقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل، وذُهُولهم عن خالق السماوات والأرض وربّ كل شيء ومليكه، أن عبدوا معه عجلًا جسدًا له خُوَار لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير. ولكن غَطَّى على أعيُن بصائرهم عَمَى الجهل والضلال، كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبو داود، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»(١).

وقوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: ندموا على ما فعلوا، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ وقرأ بعضهم: «لئن لم ترحمنا» بالتاء المثناة من فوق، «ربنا» منادى، «وتَغْفِر لنا»، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾؛ أي: من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله ﷻ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

المعنى لها قراءة ثانية، القراءة المشهورة: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، وقراءة أخرى: لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا يا ربنا وتَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ، الله أكبر.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! الحديث: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»؟

**الشيخ:** يحتاج إلى مراجعة سنده. نعم. والمعنى صحيح.. المعنى صحيح.

**مداخلة:** فيه إسناده.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٦٩).

**الشيخ:** ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

**مداخلة:** موجود أحسن الله إليك!

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** قال: رواه أبو داود في السنن.

**الشيخ:** معك؟

**مداخلة:** نعم.

**الشيخ:** نعم.

**الحكم على حديث: «حبك للشيء يعمي ويصم»:**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا.. هذا معناه صحيح لكن السند ضعيف. نعم؛ لأن ابن أبي مريم هذا لا يحتج به، وبقية أيضًا مدلس وقد عنعن، سمى له سندًا آخر نعم. بعده؟ نعم. بعده.

**مداخلة:** قال في الشرح أحسن الله إليك!

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** والحديث الذي أراده المؤلف في الباب هذا أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح وزعم أنه موضوع. وقال الحافظ ابن حجر فيما رده عليه: أما بلال فهو ثقة من كبار التابعين، وأما خالد فوثقه أبو حاتم الرازي، وأما أبو بكر فهو ضعيف عندهم من قبل حفظه، وكان مستقيم الأمر في حديثه، فطَرَقه لصوص فتغير عقله.

**الشيخ:** إيه وكان؟

**مداخلة:** وأما أبو بكر فهو ضعيف عندهم من قبل حفظه.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** وكان مستقيم الأمر في حديثه، فطَرَقه لصوص فتغير عقله.

**الشيخ:** فطرقه أيش؟

**مداخلة:** فطرقه لصوص.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** فتغير عقله وصار يأتي بالغرائب التي لا توجد إلا عنده، فعدوه فيمن اختلط ولم يتميز، انتهى. وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: هذا الحديث ضعيف.

**الشيخ:** وأيضًا علة ثانية وهي: كون بقية رواه بالعنعنة أيضًا.

**مداخلة:** هذا الحديث ضعيف لا ينتهي إلى درجة الحسن أصلًا ولا يقال فيه: موضوع. انتهى. وقال البيهقي في شعب الإيمان بعد ذكره: ورواه البخاري في التاريخ موقوفًا على أبي الدرداء: وسئل علي بن عبد الرحمٰن عن الفرق بين الحب والعشق.

**الشيخ:** كذا عندك ابن عبد الرحمٰن؟

**مداخلة:** أي نعم.

**مداخلة:** عن الفرق بين الحب والعشق؟ فقال: الحب لذة تعمي عن رؤية غير المحبوب، فإذا تناهى سمي عشقًا.

**الشيخ:** فإذا تناهى سمي عشقًا، وهو قوله ﷺ: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**» انتهى. وسيجيء كلام المنذري. وقد روينا هذا الحديث في الأربعين للشيخ ولي الله المحدث الدهلوي من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه والله أعلم. قال المنذري: في إسناده بقية بن الوليد وأبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي وفي كل واحد منهما مقال. وروي عن بلال عن أبيه قوله ولم يرفعه، وقيل: إنه أشبه بالصواب، ويروى من حديث معاوية بن أبي سفيان ولا يثبت. وسئل ثعلب عن معناه فقال: يعمي العين عن النظر إلى مساويه، ويصم الأذن عن إسماع العذل فيه.

**الشيخ**: لا حول ولا قوة إلا بالله، نعم نسأل الله العافية.

**مداخلة**: مشاهدة السامري لجبريل... شاهد جبريل أو شاهد واحد آخر؟

**الشيخ**: هذا ظاهر القرآن الكريم.

**مداخلة**: كأنه واحد آخر.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: يعني كان...؟

**الشيخ**: ابتلاء وامتحان، أقول: ابتلاء وامتحان. ألقى الشيطان في روعه هذا الشيء ولله الحكمة، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ابتلاء وامتحان نسأل الله العافية.

**مداخلة**: كان.... بصوته؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: .. الصوت يعني من... فيه.

**الشيخ**: كأنه. نعم.

**الحذر من اتباع الهوى:**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا كله: التحذير من اتباع الهوى، والتحذير أيضًا من طاعة من يدعو إلى خلاف الحق، فالهوى يعمي ويصم، وطاعة من لا وجه لطاعته كذلك، الواجب على المكلف العاقل أن لا ينقاد إلا عند ظهور الرشد وعند ظهور المصلحة، ما ينقاد لكل أحد كالبهيمة، لا، لا بد يتبين ويتثبت، فإن كان ما دعا إليه الداعي مصلحة ظاهرة رشد قبل وإلا فلا، لا بد يكون عنده ثبات وعناية بما يدعى إليه وتفكير. حتى يظهر الرشد وعدمه، ولا يسارع بالانقياد على غير بصيرة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠، ١٥١][١].

يخبر تعالى أن موسى عليه السلام، رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف. قال أبو الدرداء «الأسف»: أشد الغضب[٢].

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ يقول: بئس ما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم.

وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؟ يقول: استعجلتم مجيئي إليكم، وهو مقدَّر من الله تعالى.

وقوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ قيل: كانت الألواح من زُمُرُّد. وقيل: من ياقوت. وقيل: من بَرَد. وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث: «**لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ**»[٣].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

يعني: أن الخبر أشد وأن الخبر لما بلغ موسى الخبر غير لما رآهم على الحالة السيئة، فإنه غضب لما رآهم وألقى الألواح من شدة الغضب، وأخذ برأس أخيه يجره إليه من شدة غضبه عليهم.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه الطبري من طريق نصر بن علقمة عن أبي الدرداء وأطول. وسنده منقطع لأن نصرًا لم يسمع أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٥ و٢٧١)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٢١).

**الشيخ**: والحال.. الخبر.. (ليس الخبر كالعيان)، هذا رواه الإمام أحمد.

في المسند، في سنده بعض النظر، ولكن لا شك أن الرؤية غير، كونه يشاهد الباطل هذا أشد في الغضب من الخبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبًا على قومه، وهذا قول جمهور العلماء سلفًا وخلفًا. وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولًا غريبًا، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة(١)، وقد رَدّه ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تَلَقَّاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووَضّاعون وأفَّاكون وزنادقة.

وقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ خوفًا أن يكون قد قَصَّر في نهيهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤]، وقال هاهنا: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾؛ أي: لا تَسُقني مَسَاقهم، ولا تخلطني معهم. وإنما قال: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾؛ لتكون أرأف وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه. فلما تحقق موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، براءة ساحة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠]، فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان،

---

(١) سيأتي بطوله في الآية ١٥٤ من هذه السورة. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو خبر مردود.

حدثنا أبو عَوَانة، عن أبي بِشْر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: **«يرحم الله موسى، ليس المعاين كالمخبر؛ أخبره ربه ﷻ، أن قومه فتنوا بعده، فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح»**.

**الحكم على حديث «يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر»**(١):

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

نعم، هذا سنده جيد، ظاهر السند جيد رواية ابن أبي حاتم هذه ظاهره أنه جيد.

**مداخلة:** الحاشية أحسن الله إليك!

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** هنالك حاشية.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** كالمخبر.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** وهذا الحديث هو الذي أشار إليه الحافظ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

بركة، اللَّهُمَّ صلِّ عليه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه. نسأل الله العافية.

والقصة هذه لا شك أنها تفيد العاقل الحذر، قوم على إسلامهم وعلى إيمانهم، نبيهم ذهب يواجه ربه، يأتيهم من يصنع لهم عجلًا ويعبدون العجل معه، كيف تكون هذه، كيف هذه النفوس وهذه العقول؟ هذا الأمر عجيب جدًّا؛ ولهذا اشتد غضب موسى عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذا الأمر جلل، نسأل الله العافية.

*

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب تفسير سورة طه برقم (٣٤٧٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾﴾ **[الأعراف: ١٥٢، ١٥٣]**[(١)].

أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة، حتى قَتَل بعضهم بعضًا، كما تقدم في سورة البقرة: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلًّا وصغارًا في الحياة الدنيا، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ نائلة كل من افترى بدعة، فإنَّ ذُلَّ البدعة ومخالفة الرسالة متصلة من قلبه على كتفيه، كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم، وإن هَمْلَجَت بهم البغلات، وطقطقت بهم البراذين.

وهكذا روى أيوب السَّخْتَيَاني، عن أبي قِلابة الجَرْمي، أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ قال: هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا وعيد شديد لمن افترى على الله الكذب، وابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، هذا يعاقب مثل ما عوقب اليهود بالذلة والصغارة، والغضب من الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأحد ١٩ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

فهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة مهما بلغت قوتهم، الله كتب عليهم الذلة والمسكنة، والفقر في قلوبهم، الفقر الدائم في قلوبهم؛ لأن الغنى ليس عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس، فضرب الله عليهم الذلة والفاقة إلى يوم القيامة بسبب افترائهم على الله، وعنادهم للرسل، وهكذا توعد الله المفترين ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾، الذين يكذبون على الله، وهم أهل البدع، يقولوا: شَرَعُ الله هذا وهو لم يشرعه، فالذلة لازمة لهم، ومصاحبة لهم أينما كانوا، عند من عقل عن الله، وعرف عن الله شرعه سبحانه وتعالى، الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل.

ثم نبَّه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان، حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق؛ ولهذا عقب هذه القصة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ﴾؛ أي: يا محمد، يا رسول الرحمة ونبي النور ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾؛ أي: من بعد تلك الفعلة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا هو من فضله جل وعلا، وإحسانه، وترغيبه لعباده في التوبة، يدعوهم إليها، ويرغبهم فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾. وفي قوله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]. ومثل قوله سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]. وقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]. فالواجب على من اقترف السيئة بدعةً أو معصيةً أو شركًا أو غير ذلك الواجب عليه البدار بالتوبة، لا يقنط، ولا ييأس؛ بل يجب أن يبادر بالتوبة إلى الله توبةً صادقة، بالندم على فعله القبيح، وبالإقلاع منه، وبالعزم الصادق ألا يعود إليه، هذه التوبة، كان زنا ندم وأقلع وحذر، وعزم ألا يعود، معاملة ربوية أقلع منها وندم وعزم على ألا يعود، عقوق استرضى والديه وندم وعزم ألا يعود في ذلك، هذه التوبة، هكذا شرب المسكر يندم يحذر.. يقلع، ويعزم ألا يعود، وهكذا سائر المعاصي والبدع، هو ابتدع في الدين بدعة الاحتفال بالمولد، بدعة البناء على القبور.. إلى غير ذلك، يبادر بالتوبة، يترك الاحتفال بالموالد، ويحذر، ويندم على اللي فعل ذلك، ويعزم ألا يعود.. ويهدم البنية التي على القبر مسجد وإلا غيره قبة يزيلها.. وهكذا، التوبة تشمل هذا، تشمل الندم، والحزن على ما مضى، والتأسف على ما مضى، والإقلاع من ذلك الذنب والحذر منه، والعزم الصادق ألا يعود فيه، هذه الشروط الثلاثة، وهناك شرط رابع في التوبة إذا كان الحق لآدمي، لا بد من إعطائه حقه الآدمي، أو تحلله من ذلك، إذا كان حق آدمي، مثل إنسان أخذ مال آدمي سرقه، أو غصبه غصب، ما تتم التوبة إلا بالندم، والإقلاع، والعزم ألا يعود، وإعطاء حقه، إعطاء هذا المظلوم حقه، يعطيه حقه الذي أخذه منه، أو يستسمح منه ويقول: سامحني، وإذا سامحه لا بأس به، وإن كان قتل يسلم نفسه للقصاص، فإذا عثروا عنه فلا بأس وإلا لا بد من قصاص، ما تتم التوبة إلا بأن يسلم نفسه حتى يقتص منه، إن كان قتل عمدًا يسلم نفسه، أو يستحله ويقول: سامحوني ويعطيهم الدية أو أكثر منها ويقول: سامحوني. كان غيبة تكلم في عرضه، يقول له: سامحني، قلت في عرضك كذا وكذا، قلت: إنك بخيل، قلت: إنك عجل، سامحني، فإذا

سامحه تمت التوبة، إن كان ما يقدر يدعو له، ويذكره بالخير اللي يعلمه منه كونه يقدر يخاف يقول له شيء ينشبك هو وإياه يدعو له بالخير، ويذكره بالأعمال الطيبة التي يعرفها منه، إن كان يعرف منه الجود يقول: فلان جواد كريم، إن كان يعرف منه أنه يحافظ على الصلوات يقول: والله فلان جيد في الصلوات، محافظ على الصلوات، إن كان بارًّا بوالديه فلان بارًّا بوالديه، يذكره بالحسنات التي يعرفها بدل ما ذكره بالسيئة التي اغتابه فيها.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبان، حدثنا قتادة، عن عَزْرَة عن الحسن العُرَني، عن عَلْقَمة، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه سئل عن ذلك ـ يعني عن الرجل يزني بالمرأة، ثم يتزوجها ـ فتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ فتلاها عبد الله عشر مرات، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

يعني تاب بعد الزنى وتابت، ثم تزوجها زواجًا شرعيًّا لا بأس، إن كانت حامل بعد أن تضع حملها، فإذا تابت وندمت وتاب وندم جاز أن يزوجها بالعقد الشرعي، والتوبة تمحو ما قبلها.

**زواج الزاني بالتي زنى بها قبل وضع حملها منه:**

● **س: يجوز أن يتزوجها قبل الوضع؟**

○ **الجواب**: لا، لا بد بعد الوضع؛ لأن الحمل ليس بشرعي، فإذا وضعت تربيها وتعطيه الدولة أو تعطيه من يربيه غيرها، المقصود ولد لها.

**مداخلة**: كونه من ماء أحسن الله إليك؟

**الشيخ**: من ماء ليس بشرعي، ماء فاسد، لا ينسب إليه.

**مداخلة**: ولا ينسب إليه لكنه من مائه.

**الشيخ**: نعم؛ لكن ليس بشرعي، لا يزوجها إلا بعد أن تضع.

**مداخلة**: أحسن الله إليك. قول أبي العباس: إن الثيب هي تكون فراش لأنها متزوجة، أما البكر فلو نسب الولد إلى الأب لا بأس؟

**الشيخ**: نعم؟

• **س: أقول: قول شيخ الإسلام: إنما تكون المرأة فراشًا إذا كانت متزوجة، أما إذا كانت بكرًا فلا مانع..؟**

○ **الجواب**: ما هي فراش، هذا إذا زنت وهي زوجة له يلحق به، الولد يلحق بالزوج إلا أن يلاعن، أما إن زنى بها وهي أجنبية هذا ما ينسب إليه، ينسب إليها، ولا تتزوج حتى تضع، لا تتزوجه هو ولا غيره حتى تضع وتتوب، أما إذا زنت وهي مع الزوج مثل قصة عبد بن زمعة وعتبة بن أبي وقاص، هذا يكون الولد للفراش، لصاحب الفراش يعني الزوج، وللعاهر الحجر، إلا أن يلاعنها ملاعنة أنه ليس منه وينفيه فله الملاعنة، ويكون ينسب إليها بعد ذلك، نعم، هذه مسألة أخرى.

❋

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ **[الأعراف: ١٥٤]**(١).

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾؛ أي: سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾؛ أي: غضبه على قومه ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ أي: التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيرةً لله وغضبًا له ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا أن شدة الغضب التي تغير شعور الإنسان بسبب شدة الغضب لا يؤاخذ صاحبها، ولا يكون مذنبًا؛ لأن إلقاء الألواح جريمة فيها كلام الله، لكن لما كان اشتد غضبه لم يؤاخذه الله بذلك، ولم يعتب عليه بسبب شدة الغضب لله غضب لله ﷺ، فألقى الألواح لشدة غضبه على بني إسرائيل وعلى هارون حتى أخذ رأس أخيه يجره إليه مع لحيته، نبي يجر برأسه ولحيته، من شدة الغضب لله، والله سامحه ما جرى منه من جر أخيه، وشده برأسه ولحيته، وإلقاء الألواح؛ لما جرى من الغضب الشديد الذي أثقل به الشعور ما يلزم في هذا الشيء من شدة غضبه لله وغيرته لله عليه الصلاة والسلام، فهذا الغضب الشديد لا يصح معه بيع، ولا طلاق، ولا غيره إذا اشتد الغضب حتى صار الإنسان ما يعقل كما ينبغي، ولا يفهم كما ينبغي، واتضح ذلك من أسباب؛ لأن الأسباب تبين شدة الغضب، فإن الغضب **أقسام ثلاثة**:

١ ـ **غضب عادي**: ما يزول معه الشعور، هذا تجري معه الأحكام.

٢ ـ **الغضب الثاني**: شديد جدًّا، هذا هو محل النظر ومحل الخلاف، والصواب أنه أيضًا لا تنفذ معه الأحكام، لا طلاق ولا غيره، ولا عتق ولا غيره.

٣ ـ **الغضب الثالث**: الذي يزول معه الشعور بالكلية ما يشعر مجنون، يعني ما يعقل بالكلية، هذا عند جميع أهل العلم لا يؤاخذ، إذا كان ما يعقل ما صدر منه بسبب شدة الغضب لا يؤاخذ لا بطلاق، ولا بعتق، ولا أي كلام، لا بيع، ولا شراء،، ولأنه يصير كالمجانين كالمعاتيه، وغضب موسى من النوع الثاني اشتد به حتى ما ملك نفسه، اشتد معه الغضب حتى ما ملك نفسه، معه بعض الشعور لكن ما ملك نفسه من شدة غضبه لله، حتى أمسك أخاه وجرَّه بلحيته ورأسه وألقى الألواح.

**مداخلة**: لو قتل؟

**الشيخ**: حق بني آدم يؤخذ به، لو ادعى ما يعذر، لو قتل وضرب ما يعذر بقوله: إني غضبان، يؤخذ بحق الناس، ما يقبل بقوله في حق الناس لا، نعم، هذا في حق الله.

**مداخلة**: وإذا لم يكن لله أغضب..؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقول: إذا لم يكن غضبًا لله غضبًا عادي؟

**الشيخ**: ولو، إذا اشتد غضبه العلة واحدة.

**مداخلة**: لكن وقع منه بعض الأمور مثل؟

**الشيخ**: إذا كان..

**مداخلة**: امتهان، أو امتهان شيء محترم..؟

**الشيخ**: إذا كان موه عن عقله لا ما يؤاخذ..

**مداخلة**: غضب موسى عليه الصلاة والسلام..

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ولم يؤاخذه الله ما يؤيد القول: بأنه لا يؤاخذ في القسم الثاني؟

**الشيخ**: إلا هو.

**مداخلة**: نعم، يبين ذلك.

**الشيخ**: نعم، يؤاخذ في الأول، ولا يؤاخذ في الثاني، ولا في الثالث.

**مداخلة**: قصة موسى تؤيد القول الثاني...؟

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: لو أتى بعمل كفري هل يؤاخذ؟

**الشيخ**: مثله الذنب واحد، إن كان لا يعقل ما عقله شيء واحد، وإلا فعليه التوبة إلى الله، نعم.

**مداخلة**: قول النبي ﷺ: **«لا طلاق في إغلاق»**؟

**الشيخ**: هذا من هذا الباب.

**مداخلة**: من النوع الثاني؟

**الشيخ**: من النوع الثاني والثالث.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول كثير من المفسرين: إنها لما ألقاها تكسرت، ثم جمعها بعد ذلك؛ ولهذا قال بعض السلف: فوجد فيها هدًى ورحمة، وأما التفصيل فذهب . . .

**الشيخ**: ماذا؟

**مداخلة**: وأما التفصيل فذهب وإلا . . ؟

**الشيخ**: اقرأ قبله.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[يقول كثير من المفسرين: إنها لما ألقاها تكسرت، ثم جمعها بعد ذلك؛ ولهذا قال بعض السلف: فوجد فيها هدًى ورحمة، وأما التفصيل فذهب].

**الشيخ**: ماذا عندكم؟

**مداخلة**: فذهب يعني تقدم.

**الشيخ**: ماذا؟ وأما التفصيل فذهب: تقدم يعني، تقدم في موطن آخر، فذهب تفصيله.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما التفصيل فذهب، وزعموا أن رضاضها لم يزل موجودًا في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية، والله أعلم بصحة هذا.

وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة، فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾، ضمن الرهبة معنى الخشوع؛ ولهذا عدَّاها باللام.

يقول كثير من المفسرين: إنها لما ألقاها تكسرت، ثم جمعها بعد ذلك؛ ولهذا قال بعض السلف: فوجد فيها هدى ورحمة. وأما التفصيل فذهب، وزعموا أن رضاضها لم يزل موجودًا في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية، والله أعلم بصحة هذا. وأما الدليل القاطع على أنها تكسرت حين ألقاها، وهي من جوهر الجنة فقد أخبر الله تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة.

وقال قتادة: في قوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ قال: رب، إني أجدُ في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون ـ أي آخرون في الخَلْقِ ـ السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ـ كتابهم ـ وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرًا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا منها شيئًا، ولم يعرفوه. قال قتادة: وإن الله أعطاهم أيتها الأمة من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم. قال: رب، اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول، وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فصول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ويؤجرون عليها ـ وكان مَنْ قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإن ردت عليه تُركَت، فتأكلها السباع والطير، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم ـ قال: رب، اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب، إني أجد

في الألواح أمة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، كُتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة إذا هَمَّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي: قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب، إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح، وقال اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد[1].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الله أكبر، الله المستعان. وهذه من أخبار بني إسرائيل، وهذه شواهدها موجودة في الكتاب العظيم، والسُّنَّة المطهرة في فضل هذه الأمة، وما أعطاها الله من الخير، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. شرع لهم الزكاة، تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم، ويسر لهم حفظ القرآن العظيم، والسُّنَّة المطهرة، وضاعف لهم الحسنات جل وعلا، كل هذا من فضله جل وعلا، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يوفق لهذا الخير العظيم، الله أكبر.

**مداخلة:** ! هنالك خطأ.

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** في خطأ في النسخة أو في خلاف فيما ورد.

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، ورده الحافظ ابن كثير وغيره، وأن هذا الأثر من أخبار أهل الكتاب وذلك في تفسير الآية (١٥٠ ـ ١٥١) من هذه السورة الكريمة.

**الشيخ**: ماذا عندك؟

**مداخلة**: (فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة) هنالك بعدها خطأ الظاهر لا يقاس.

**الشيخ**: ماذا عندك؟

**القاري**: (إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة).

**الشيخ**: ما عندك هذا.

**مداخلة**: نعم الذي بعده.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥][(١)].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: كان الله أمرَه أن يختار من قومه سبعين رجلًا فاختار سبعين رجلًا فبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دَعَوُا الله قالوا: اللَّهُمَّ أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة، قال موسى: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾ الآية.

وقال السُّدِّي: إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختار موسى قومه سبعين رجلًا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته، الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

وقال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلًا الخيِّرَ فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، وسَلُوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهَّروا، وطهِّروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طُور سَيْناء، لميقاتٍ وقَّته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ـ فقال له السبعون ـ فيما ذكر لي ـ حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا. فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمودُ الغمام، حتى تَغَشَّى الجبل كله. ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه. فضرب دونه بالحجاب. ودنا القوم، حتى إذا دخلوا وقعوا سُجُودًا فسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل. فلما فرغ إليه من أمره، انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الرجفة ـ وهي الصاعقة ـ فافتُلتَت أرواحهم، فماتوا جميعًا. فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ قد سفهوا، أفنهلك من ورائي من بني إسرائيل.

وقال سفيان الثوري: حدثني أبو إسحاق، عن عمارة بن عبد السَّلُولي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: انطلق موسى وهارون وشبر وشبير، فانطلقوا إلى سفح جَبَل، فنام هارون على سرير، فتوفاه الله عز وجل. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله عز وجل. قالوا له: أنت قتلته، حَسَدتنا على خُلقه ولينه ـ أو كلمة نحوها ـ قال: فاختاروا من شئتم. قال: فاختاروا سبعين رجلًا.

قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون، من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد، ولكن توفاني الله. قالوا: يا موسى، لن تعصى بعد اليوم. قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى عليه السلام، يرجع يمينًا وشمالًا وقال: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم.

هذا أثر غريب جدًّا، وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه. وقد رواه شعبة، عن أبي إسحاق عن رجل من بني سلول عن علي، فذكره. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جُرَيْج: إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل، ولا نهوهم، ويتوجه هذا القول بقول موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾؛ أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وربيع بن أنس، وغير واحد من علماء السلف والخلف. ولا معنى له غير ذلك؛ يقول: إن الأمرُ إلا أمرُك، وإن الحكمُ إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء، وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضِل لمن هَدَيت، ولا مُعطِي لما مَنَعت، ولا مانع لما أعطيت، فالملك كله لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

والصواب أن يقال في هذا: إن هذا أمر لم يبين بكلام الله، ولا بكلام رسوله ﷺ، أسباب ما وقع، والقول فيه أن يقال: الله أعلم؛ فإن أخبار بني إسرائيل يدخلها الصدق والكذب، ولهذا قال ﷺ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»(١). وقال: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ**

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٤).

**وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»**[١]، قد يكون حقًّا فتكذبوه، وقد يكون باطل فتصدِّقونه. فالواقع أنها أخذتهم الرجفة، حصل ما حصل. أما الأسباب فالله أعلم بالأسباب، قد يكون بعض ما ذكروا وقد يكون غير ذلك، حتى يأتي نص عن المعصوم ﷺ يبين ذلك.

**مداخلة**: ما يظهر يا سماحة الشيخ! إن السبب قول الله في آية البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

**الشيخ**: . . .

**مداخلة**: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

**الشيخ**: أقل: ما فيه دليل إن هذا مجيئهم مع موسى.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ الغَفْر هو: الستر، وترك المؤاخذة بالذنب، والرحمة إذا قرنت مع الغفر، يراد بها ألا يوقعه في مثله في المستقبل، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾؛ أي: لا يغفر الذنوب إلا أنت، ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ هناك الفصل الأول من الدعاء دفع المحذور، وهذا لتحصيل المقصود ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة. [الآية: ٢٠١].

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: تبنا ورجعنا وأنبنا إليك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم التيمي، والسُّدِّي، وقتادة، وغير واحد. وهو كذلك لُغَة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن شريك، عن جابر، عن عبد الله بن نُجيَّ عن علي رضي الله عنه قال: إنما سميت اليهود لأنهم

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٦).

قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ جابر - هو ابن يزيد الجُعْفي - ضعيف.

*

**تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦][(١)].

يقول تعالى مجيبًا لموسى في قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] إنْ: الآية قال: ﴿إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: أفعل ما أشاء، وأُحكم ما أريد، ولي الحكمة والعدل في كل ذلك، سبحانه لا إله إلا هو.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا محل نظر الإمام الأصل وجوب قسم الغنائم، . . . الأسارى إن شاء قتل، وإن شاء فدى، وإن شاء عفا وإن شاء فادى به، فالمغانم يجب أن تقسم بين المسلمين، ما عدا الخمس. لكن إذا رأى المصلحة في العفو عن الأرض تقسم الأرض وأن تبقى لأهلها هذا راجع إلى الأمام، كما فعل النبي ﷺ في مكة وفي بعض خيبر وفي المدينة أيضًا.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ الآية عظيمة الشمول والعموم، كقوله إخبارًا عن حَمَلة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٦ - ٦ - ١٤١٦هـ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجُرَيري، عن أبي عبد الله الجُشَمي، حدثنا جُنْدُب ـ هو ابن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عَقَلها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ. فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم ركبها، ثم نادى: اللَّهُمَّ، ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تُشْرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتقُولُونَ هَذَا أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ**». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**لَقَدْ حَظَرْتَ رَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّ اللهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَنْزَلَ اللهُ رَحْمَةً وَاحِدَةً يَتَعَاطَفُ بِهَا الْخَلَائِقُ جِنُّهَا وَإِنْسُهَا وَبَهَائِمُهَا وَأخرَ عِنْدَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رحمة، أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ**»(١) رواه أبو داود عن علي بن نصر، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، به.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وفي اللفظ الآخر: «**لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا**»(٢)، حضرت يعني: منعت، يعني: هذا من جهله قوله: «**وَلَا تُشْرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَدًا**»، هذا جهل، من جهل الأعراب، مبالغةً لما رأى منه ﷺ من الحذاوة به والرفق به، وتوجيهه إلى الخير قال هذا الكلام، وهذا لا شك أنه من الجهل، وإلا المسلم يقول: اللَّهُمَّ ارحمني وارحم المسلمين جميعًا، وارحم عبادك جميعًا، الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان، عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣١٢)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب من ليس له غيبة برقم (٤٨٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول برقم (٣٨٠)، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض برقم (١٤٧)، والنسائي في كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة برقم (١٢١٦)، والإمام أحمد (٢/ ٢٣٩، ٢٨٣).

أبي عثمان، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحَمُ بِهَا الْخَلْقُ فَبِهَا تَعْطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١). تفرد بإخراجه مسلم، فرواه من حديث سُلَيمان هو ابن طِرْخان ـ وداود بن أبي هند كلاهما، عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمٰن بن مُلَ، عن سلمان، هو الفارسي، عن النبي ﷺ، به(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يدل على أن الله ﷻ له رحمتان: رحمة هي وصفه القائم به ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، يعني: وصفه القائم به أنه رحمان رحيم، رحم كل شيء، ووسع كل شيء رحمةً وعلمًا ﷻ، وهناك رحمات مخلوقة يرحم بها عبادة أيضًا، ومنها ما جعله الله في نفوس بني آدم والوحوش والطيور، تعطف بها على أولادها، حتى إن الدابة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، هذا أمر معلوم، هكذا الطيور تأتي بالطعام تحقنه في حلوق أولادها رحمة، تسعى ها هنا وها هنا وها هنا ثم تأتي تحقن الحب في حواصل أولادها، وهكذا بقية البهائم كلها تعطف على أولادها، كل هذا من رحمته المخلوقة، التي بثها بين عباده، مخلوقة في مخلوق، وهناك تسعة وتسعون أيضًا رحمة مخلوقة يرحم بها عباده يوم القيامة، عند شدة الهول، وحاجة الناس إلى الرحمة، الكل يتمنى أن يكون له حسنة، فالله يرحم بها عباده يوم القيامة، ولا يهلك على الله هالك، ولهذا لا يبقى في النار ولا يخلد فيها إلا الكفار، أما العصاة وإن دخلوا النار وإن عذبوا، العصاة كثير منهم يدخلوا النار، وبعضهم يعفى عنه، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، منهم من يعفى عنه بشفاعة شفعاء، منهم من يعفى عنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى برقم (٢٧٥٣).

بأعمال صالحة كثيرة قدمها رجحت على سيئاته، منهم من يرحمه سبحانه برحمته من دون شفاعة أحد، ولهذا جاء في الحديث يقول الله ﷻ: «**شفع النبيُّون، وشفعت الملائكة، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج الله أقوامًا من النار لم يعملوا خيرًا قط إلا أنهم يقولون: لا إله إلا الله**» يعني: إلا أنهم موحِّدون، دخلوا في الإسلام، ولكن عندهم قبائح وسيئات دخلوا بها النار، فهؤلاء آخر من يخرج من النار من العصاة، آخر من يخرج من النار بعد شفاعة الشفعاء: أناس بقوا في النار بمعاصيهم، فيخرجهم الله من النار إلى نهر الحياة؛ لإسلامهم وتوحيدهم الذي ماتوا عليه، لكنهم لهم سيئات ومعاصي عذبوا عليها، نسأل الله العافية.

**الأسئلة:**

● **س: أحسن الله إليك! صفة الرحمة تعتبر من الصفات الذاتية أم من الفعلية؟**

○ **الجواب**: الرحمة ما هي بذاتية فعلية مشيئة، تتعلق بالمشيئة، القاعدة عند أهل العلم: ما كان يتعلق بالمشيئة يسمَّى فعلي، كالرحمة، والعطاء، والمن، والإحياء، والإماتة، والخلق، والرزق، والتدبير، كلها بمشيئته ﷻ، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت: ٢١] ﷻ، بخلاف صفات الذات التي لا تعلق لها بالمشيئة كالسمع، والبصر، واليد، والقدم، ونحو ذلك من صفات الذات.

**مداخلة**: أليست صفة فعلية باعتبار من الكلام؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

فإذا قلنا: إنما الفعلية تتعلق بالمشيئة عمَّتها عمَّت الأخرى الرحمة، والخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والنزول، والكلام.

● **س: أحسن الله عملك! إذا كان قول أهل السُّنَّة والجماعة في: «قول باللسان، وعمل بالأركان»، فهل له مفهوم قوله ﷺ: «لم يعملوا خيرًا قط»؟**

○ **الجواب**: «**لم يعملوا خيرًا قط**» يشير إلى التوحيد يعني، يشير إلى التوحيد الذي دخلوا به في الإسلام، نعم.

**مداخلة**: إذا لم يصلوا أحسن الله إليك؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصلاة محل خلاف، بعض أهل العلم يرى إن تركها كفر وإن لم يجحد وجوبها، وبعض أهل العلم يراها كالزكاة، معرَّض للوعيد والخطر إذا لم يجحد وجوبها، ولكن لا يخل الإيمان، والأصح أنه كافر كفر أكبر إذا تركها؛ لقوله ﷺ: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاةِ**»(١)، وقال ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢)، نسأل الله العافية.

**مداخلة**: حتى لو صلى بعض يا شيخ! وترك بعض؟

**الشيخ**: ولو، نعم، مطلقًا.

**مداخلة**: ما ورد في حديث الشفاعة: «**إن ربي غضب اليوم غضبًا**» يحمل على بعض المواطن؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»، ما ينافي ما..

أقول: ما ينافي ما ثبت في النصوص، الغضب لا يلزم منه أن لا يبقى في النار أحد، أو.

**مداخلة**: أحسن الله إليكم! حديث الدواوين الثلاثة في المسند لما قال النبي ﷺ: «**والديوان تحت المشيئة ذكر: صلاة تركها، أو صوم يوم تركه، أو صلاة تركها**»؟

**الشيخ**: يحتاج نظر في أسانيده وألفاظها.

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ أنه ﷺ قال: «**لِلَّهِ مِائَةُ رَحْمَةٍ عِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَجَعَلَ عِنْدَكُمْ وَاحِدَةً تَرَاحَمُونَ بِهَا بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ضَمَّهَا إِلَيْهَا**». تفرد به أحمد من هذا الوجه(١).

وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال: رسول الله ﷺ: «**لِلَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ **مِائَةُ رَحْمَةٍ فَقَسَمَ مِنْهَا جُزْءًا وَاحِدًا بَيْنَ الْخَلْقِ فَبِهِ يَتَرَاحَمُ النَّاسُ وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ**». ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية، عن الأعمش، به(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سعد أبو غَيْلان الشيباني، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم، عن صلة بن زُفَر، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الْفَاجِرُ فِي دِينِهِ، الأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ**»(٣). هذا حديث غريب جدًّا، «وسعد» هذا لا أعرفه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٥٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم (٤٢٩٤)، قال البوصيري: رجاله ثقات، مصباح الزجاجة (٣/ ٣١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٦٨، رقم ٣٠٢٢). وأخرجه أيضًا: في الأوسط (٥/ ٢٥٠، رقم ٥٢٢٧). قال الهيثمي (١٠/ ٢١٦): في إسناد الكبير سعد بن طالب أبو غيلان، وثقه أبو زرعة وابن حبان، وفيه ضعف، وبقية رجال الكبير ثقات.

وقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية، يعني: فسأوجب حُصُول رحمتي مِنَّةً مني وإحسانًا إليهم، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات، وهم أمة محمد ﷺ الذين يتقون؛ أي: الشرك والعظائم من الذنوب.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ قيل: زكاة النفوس. وقيل: زكاة الأموال. ويحتمل أن تكون عامة لهما؛ فإن الآية مكية: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾؛ أي: يصدِّقون.

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ **[الأعراف: ١٥٧]**[(١)].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾. وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشَّروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، عن الجُرَيري، عن أبي صخر العقيلي، حدثني رجل من الأعراب، قال: جَلَبْتُ جَلُوبَةً إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ بَيْعَتِي

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٦ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ، وليلة الخميس ١ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

قُلْتُ لأَلْقَيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَلأَسْمَعَنَّ مِنْهُ - قَالَ: فَتَلَقَّانِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَقْفَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ نَاشِرًا التَّوْرَاةَ يَقْرَؤُهَا يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنٍ لَهُ فِي الْمَوْتِ كَأَحْسَنِ الْفِتْيَانِ وَأَجْمَلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ هَلْ تَجِدُنِي فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي»**. فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، أَيْ لَا. فَقَالَ ابْنُهُ: إِيْ وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ: **«أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَخِيكُمْ»**(١). هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح، عن أنس.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: الطفل المريض هو الذي شهد، شهادة الحق، فأمر النبي ﷺ بقبره وتوليه، وأبوه جحد، الله المستعان، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا فيه شاهد لقصة الغلام الذي كان يخدم النبي من اليهود، فزاره النبي ﷺ وهو مريض، فقال له النبي ﷺ: **«يَا فُلَانُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَسَكَتَ أَبُوهُ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ أَبُوهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ الْغُلَامُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِنَ النَّارِ»**(٢) الله المستعان.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! كيف يقول: هذا إسناد قوي أو جيد وفيه رجل لا يعرف؟

**الشيخ**: أعد حدَّثنا من؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٧٥).

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ:

كما روى الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، عن الجريري عن أبي صخر العقيلي، حدثني رجل من الأعراب، قال: (جلبت حلوبةً إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم، حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة، يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟**» فقال برأسه هكذا؛ أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني...

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الذي تحرَّى موسى الله أكبر أنطقه الله أكبر، هذا صحابي، الرجل هذا صحابي، والصحابة يغتفر ولو ما سموا، عدول من سُمِّي ومن لم يسم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! عندنا جلبت: جلوبة، ليس حلوبة؟

**الشيخ**: محتمل، ضع نسخة (جلوبة) بالجيم، بدل حلوبة نسخة.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! قوله: (لألقين هذا الرجل) يعني: من الصحابة؟

**الشيخ**: يعني النبي ﷺ.

**مداخلة**: يعني الصحابي يقول في حق النبي ﷺ كذا؟

**الشخ**: نعم.

**الشيخ**: يمكن أنه ذاك الوقت ما بعد، أقول: ما بعد آمن يعني: لكن حضر بعد ذلك، ولا ننكر أنه آمن وإلا ما آمن، لكن ظاهره أنه صحابي وأنه انتفع بهذا المشهد.

**مداخلة**: نعم؟

**الشيخ**: نعم هذا..

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا حديث جيد قوي، وله شاهد في الصحيح عن أنس.

**الشيخ**: نعم، في قصة الغلام الذي خدم النبي ﷺ اليهودي، الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحاكم صاحب المستدرك: أخبرنا أبو محمد ـ عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن شُرَحْبِيل بن مسلم، عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي قال: بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ـ يعني غوطة دمشق ـ فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه، فإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسوله نكلمه، فقلنا: والله لا نكلم رسولًا إنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذِن لنا، فقال: تكلموا فكلّمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثيابُ سوادٍ فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال: لبستها وحلفت ألا أنزعها حتى أخرجكم من الشام. قلنا: ومجلسك هذا، والله لنأخذنه منك، ولنأخذن ملك الملك الأعظم، إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ. قال: لستم بهم؛ بل هم قوم يصومون بالنهار، ويقومون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه، فمُلئ وجهه سوادًا فقال: قوموا. وبعث معنا رسولًا إلى الملك، فخرجنا، حتى إذا كنا قريبًا من المدينة، قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال؟ قلنا: والله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك. فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة فأنخنا

في أصلها وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر فالله يعلم لقد تَنَفَّضَت الغرفة حتى صارت كأنها عِذْق تصَفّقه الرياح، فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم. وأرسل إلينا: أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له، وعنده بطارقته من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه فضحك، فقال: ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم؟ وإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام، فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تُحيى بها لا تحل لنا أن نحييك بها. قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السلام عليك. قال: وكيف تحيون ملككم؟ قلنا: بها. قال: وكيف يرد عليكم؟ قلنا: بها. قال: فما أعظم كلامكم؟ قلنا: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم ـ لقد تَنَفَّضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها، قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم؟ قلنا: لا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك. قال: لوددت أنكم كلما قلتم تَنَفَّضَ كل شيء عليكم. وإني خرجت من نصف ملكي. قلنا: لم؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها، وأجدر ألا تكون من أمر النبوة، وأنها تكون من حيل الناس. ثم سألنا عما أراد فأخبرناه. ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا فقمنا. فأمر لنا بمنزل حسن ونُزل كَثير، فأقمنا ثلاثًا.

فأرسل إلينا ليلًا فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا، فأعدناه. ثم دعا بشيء كهيئة الرَّبْعَةِ العظيمة مذهبة، فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتا وقفلًا فاستخرج حريرة سوداء، فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين. عظيم الأليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله. قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعرًا.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة

بيضاء، وإذا له شعر كشعر القطط، أحمر العينين، ضخم الهامة، حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا نوح عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صَلْت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية كأنه يبتسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم عليه السلام.

ثم فتح بابا فإذا فيه صورة بيضاء، وإذا ـ والله ـ رسول الله ﷺ فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، محمد رسول الله ﷺ قال: وبكينا. قال: والله يعلم أنه قام قائمًا ثم جلس، وقال: والله إنه لهو؟ قلنا: نعم، إنه لهو، كأنك تنظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكني عَجَّلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سحماء وإذا رجل جعد قطط، غائر العينين، حديد النظر، عابس متراكب الأسنان، الشفة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا موسى عليه السلام. وإلى جانبه صورة تشبهه، إلا أنه مُدْهَان الرأس، عريض الجبين، في عينيه قبل، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا هارون بن عمران عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم سَبْط رَبْعَة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا لوط عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض مُشْرَب حُمرة، أقنى، خفيف العارضين، حسن الوجه فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال هذا إسحاق عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق، إلا أنه على شفته خال، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال هذا يعقوب عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه نور، يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسماعيل جد نبيكم عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة كأنها آدم عليه السلام، كأن وجهه الشمس، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا يوسف عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أحمر حَمْش الساقين، أخفش العينين ضخم البطن، رَبْعة متقلد سيفًا، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا داود عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل ضخم الأليتين، طويل الرجلين، راكب فرسًا، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا سليمان بن داود عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة بيضاء، وإذا شابٌّ شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام.

قلنا: من أين لك هذه الصور؟ لأنا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام؛ لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله. فقال: إن آدم عليه السلام، سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، فكان في خزانة آدم عليه السلام، عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال. ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي، وإني كنت عبدًا لأشرِّكم مَلَكة، حتى أموت. ثم أجازنا فأحسن جائزتنا، وسرَّحنا، فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فحدثناه بما أرانا، وبما قال لنا، وما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر وقال: مسكين! لو أراد الله به خيرًا لفعل. ثم قال: أخبرنا

رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم[١].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

على كل حال الإسناد فيه بعض النظر، وفيه غرابة، ومثل ما قال المؤلف: ظاهره لا بأس به، لكن إبراهيم بن الهيثم وشرحبيل فيه كلام يحتاج إلى مزيد عناية. وليس ببعيد أن تكون الصور عندهم لكن كونها صحيحة أو غير صحيحة محل نظر؛ لأن هذا شيء من عملهم، قد يكونون أخطئوا في التصوير، وقد يكونوا ما أخطئوا.

**فالحاصل**: أنه لا يعتمد عليه، حتى ولو كان سنده كالشمس؛ لأنه من أخبار بني إسرائيل، من أخبارهم، ومما حدثونا، والرسول ﷺ يقول: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم؛ لأنه قد يكون حق فنكذبه وقد يكون باطل فنصدقه، إلا ما دل الدليل على تصديقه أو تكذيبه من الكتاب والسُّنَّة، هذا يكون موقوف خبر هشام بن العاص هذا عن هرقل يكون موقوف، يحتمل الصدق والكذب في هذه الصورة التي قالها.

**مداخلة**: قلتم يا سماحة الشيخ! من تصويرهم، والصور من تصويرهم؟

**الشيخ**: تصوير الصور الذي عند هرقل؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: ما يلزم أن يصورهم، أقول: ما نعرف أخبار بني إسرائيل فيها الكذب وفيها الصدق، أقول: ما ندري من أين جاءتهم هذه الصور.

**مداخلة**: أقول: ورد أنها منزلة جاءت في الأثر نفسه.

**مداخلة**: قال إن آدم عليه السلام طلب من الله أن يريه صور الأنبياء من ذريته.

**الشيخ**: نعم هذا معناه: أنها أنزلت من السماء، هذا أشد في الغرابة، نعم. وهذا هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه البيهقي عن الحاكم بنحوه (دلائل النبوة ١/ ٣٨٥ ـ ٣٩٠). قال الحافظ ابن كثير: إسناده لا بأس به. اهـ؛ لكن في متنه غرائب.

**مداخلة**: قوله أحسن الله إليك! (لأشركم ملكة) خُلق يعني؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: (وددت أني... لأشركم ملكة).

**الشيخ**: وددت أني؟

**مداخلة**: عبدًا، عبدًا (وأني كنت عبدًا لأشركم مَلَكَةً).

**الشيخ**: مبالغة يعني في محبته لدخوله في الإسلام وأنه كان مع المسلمين ولو كان عبدًا لأشركم ملكة، يعني معروف في الروايات أنه لما سأل في قصة أبي سفيان لما وفد أبو سفيان إلى الشام ومعه جماعة من قريش أيام الهدنة طلبهم، وجاءوا إليه وسألهم عن النبي ﷺ عن صفاته، فأخبروه عن صفاته وعن ما يأمر به ويدعو إليه، كما هو معروف في أول البخاري، قال: (لئن كان كما قلت ليملكن موضع قدمي هاتين، ولو أستطيع أن أتوجه إليه أو أصل إليه لغسلت عن قدميه).

المقصود: صدَّقَ أنه هو رسول الله، ثم إنه أمرهم بالخروج ودعا من عنده من رؤساء ملكه فحاصوا حياص حمر الوحش واستكبروا، دعاهم إلى الدخول في هذا الدين، وأنه هو يعني: طِبق ما جاء به عيسى وموسى فحاصوا واستنكروا ذلك، فقال: على مهلكم، دعاهم وقال: إنما قلت هذا لأختبر صلابتكم، فسجدوا له وكان آخر عهده بهم، نسأل الله العافية.

**وجه الغرابة في نزول صور الأنبياء من السماء:**

**مداخلة**: شيخ! سلمك الله! سبب الغرابة في كونه نزلت من السماء يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ما سبب الغرابة؟

**مداخلة**: نزلت من السماء وكون بعض الصور فيها نظر، بعض الصور فيها نظر في ما صور، من صورة موسى وبعض الصور الأخرى. نعم. وكونها نزلت من السماء صورهم على آدم ثم هي قليلة ما هم بالأنبياء كلهم قليل هؤلاء قليل ما يطابق الواقع، نعم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! آدم أيضًا معهم يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم لكن ما ذكر صورة داود ولا ذكر صورة أيوب ولا ذكر صورة.

**مداخلة**: إلا ذكر داود فقط ما ذكر أيوب.

**الشيخ**: ذكر سليمان.

**مداخلة**: وداود كذلك.

**الشيخ**: أجل ما ذكر صورة أيوب.

**مداخلة**: هود وصالح.

**الشيخ**: هود وصالح ما ذكرهم.

**مداخلة**: شعيب.

**الشيخ**: وشعيب ما ذكره، جماعة كثير.

**مداخلة**: أحسن الله إليكم، هنا ذكرت صورة آدم، فكيف يكون، يعني: آدم الذي طلبها والصورة موجودة من ضمنها؟

**الشيخ**: فيها، نزلت صورته، معناه: أنها نزلت صورته معهم، مع صورة بعض ذريته من الأنبياء.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما يضعف هذا الحديث بالأثر الثابت عن ربعي أنه ذهب إليهم، السند الثابت أنه ربعي الذي ذهب؟

**الشيخ**: لا منافاة، كونه يذهب هذا وهذا ما يضر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتاب «دلائل النبوة»، عن الحاكم إجازة، فذكره وإسناده لا بأس به.

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا عثمان بن عُمَر، حدثنا فُلَيْح، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾

[الأحزاب: ٤٥] وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إلٰه إلا الله ويفتح به قلوبًا غُلفًا، وآذانًا صمًّا، وأعينًا عميًا». قال عطاء: ثم لقيت كعبًا فسألته عن ذلك، فما اختلف حرفًا، إلا أن كعبًا قال: بلغته، قال: «قلوبًا غُلوفيًّا، وآذانًا صموميًّا، وأعينًا عموميًّا»[(١)].

وقد رواه البخاري في صحيحه، عن محمد بن سِنَان، عن فُلَيْح، عن هلال بن علي ـ فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله: «**ليس بفظ ولا غليظ**»: «ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[(٢)].

ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق «التوراة» على كتب أهل الكتاب. وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا محمد بن إدريس ورَّاق الحميدي، حدثنا محمد بن عمر بن إبراهيم ـ من ولد جبير بن مطعم ـ قال: حدثتني أم عثمان بنت سعيد ـ وهي جدتي ـ عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير، عن أبيه محمد بن جبير، عن أبيه جبير بن مطعم، قال: خرجت تاجرًا إلى الشام، فلما كنت بأدنى الشام، لقيني رجل من أهل الكتاب، فقال: هل عندكم رجل نبيًّا؟ قلت: نعم. قال: هل تعرف صورته إذا رأيتها؟ قلت: نعم. فأدخلني بيتًا فيه صور، فلم أر صورة النبي ﷺ، فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا، فقال: فيم أنتم؟ فأخبرناه، فذهب بنا إلى منزله، فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي ﷺ، وإذا رجل آخذ بعقب النبي ﷺ، قلت: من هذا الرجل القابض

---

(١) أخرجه الطبري وسنده صحيح، والشق الأول أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق برقم (٢١٢٥).

على عقبه؟ قال: إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي، فإنه لا نبي بعده، وهذا الخليفة بعده، وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه[(١)].

وقال أبو داود: حدثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير، حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن إياس الجريري أخبرهم، عن عبد الله بن شقيق العقيلي، عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال: بعثني عمر إلى الأسقف، فدعوته، فقال له عمر: هل تجدني في الكتاب؟ قال: نعم. قال: كيف تجدني؟ قال: أجدك قَرْنًا. قال: فرفع عمر الدرة وقال: قرن مه؟ قال: قرن حديد، أمير شديد. قال: فكيف تجد الذي بعدي؟ قال: أجد خليفة صالحًا، غير أنه يؤثر قرابته، قال عمر: يرحم الله عثمان، ثلاثًا. قال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجد صدأ حديد. قال: فوضع عمر يده على رأسه وقال: يا دفراه[(٢)]، يا دَفْراه! قال: يا أمير المؤمنين، إنه خليفة صالح، ولكنه يُستخلف حين يُستخلف والسيف مسلول، والدم مهراق[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الأمر بالمعروف من دون كتب هؤلاء كتب التي لا تؤمن.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة، وهكذا كان حاله، عليه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٥ برقم ١٥٣٧)، قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه (المجمع ٨/ ٢٣٣)، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٢٣١)، ثم قال: لا يروى هذا الحديث عن جبير بن مطعم إلا بهذا الإسناد، تفرد به محمد بن إدريس ورَّاق الحميدي. وأخرجه البخاري (التاريخ الكبير ١/ ١٧٩)، والبيهقي من طريق أبي سعيد غير منسوب، عن محرر بن عمر (دلائل النبوة ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الخلفاء بعد حديث (٤٦٥٦).

(٣) أخرجه أبو داود في المصدر السابق، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٢٦٥٨).

الصلاة والسلام، لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، كما قال عبد الله بن مسعود: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فَأَرْعِها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر تنهى عنه[١]. ومن أهم ذلك وأعظمه، ما بعثه الله تعالى به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة من سواه، كما أرسل به جميع الرسل قبله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر ـ هو العقدي عبد الملك بن عمرو ـ حدثنا سليمان ـ هو ابن بلال ـ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، عن عبد الملك بن سعي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه**»[٢]، هذا حديث جيد الإسناد، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من علامات الحديث النبوي وعلامات الأحاديث الأخرى المكذوبة عند أهل العلم والبصيرة الذين يعرفون كلامه ﷺ ويعرفون سنته، فإنهم لهم علامات يعرفون بها الحديث الثابت ويعرفون بها الموضوع المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن سنته ﷺ يصدق بعضها بعضًا، وتوافق الكتاب ولا تخالفه. أما الأحاديث المكذوبة فإنها تخالف سنته وتخالف كتاب الله ﷻ، وتنكرها قلوب أهل العلم والإيمان والبصيرة.

---

(١) سبق تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٠٥ (٢/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٧ و٥/ ٤٢٥) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي البختري، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فظنوا به الذي هو أهدى، والذي هو أهنا، والذي هو أنجى، والذي هو أتقى(١). ثم رواه عن يحيى عن بن سعيد، عن مسعر، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي عبد الرحمٰن، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فظنوا به الذي هو أهداه وأهناه وأتقاه.

وقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾؛ أي: يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر، والسوائب، والوصائل، والحام، ونحو ذلك، مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: كلحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى.

وقال بعض العلماء: كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين.

وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقبيح العقليين، وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له.

وكذا احتج بها من ذهب من العلماء إلى أن المرجع في حل المآكل التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها، إلى ما استطابته العرب في حال رفاهيتها، وكذا في جانب التحريم إلى ما استخبثته. وفيه كلام طويل أيضًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب أن ما أحل الله هو من الطيبات النافعة المفيدة، وما حرَّمه الله هو من الخبائث، وما اشتبه ولم يرد فيه نص ينظر فيه إن كان

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٢٢ و١٣٠ و١٣١). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

طيبًا نافعًا فهو من الحلال، وإن كان رديئًا ضارًا فهو من الخبائث، النص كافي لكن إذا وجد أشياء اشتبهت ولم يحفظ لها نص تُعرَض على أهل الخبرة فيها والعارفين بها، فإن كانت طيبة نافعة لا ضرر فيها أبيحت، وإلا فالأصل التحريم، مثلما قال ﷻ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

**مداخلة:** لكن أحسن الله إليك! قوله: المرجع في حِل المآكل التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها إلى ما استطابته العرب.

**الشيخ:** لا، لا، القيد بالعرب ما يصلح، المقصود أن يعرف من شهادة أهل الخبرة، العرب قد تستطيب الخبائث.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾؛ أي: إنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بُعثت بالحنيفية السَّمحة**». وقال لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري، لما بعثهما إلى اليمن: «**بَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا**»[١]، وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي: إني صحبت رسول الله ﷺ قال إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله ﷺ ستّ غزواتٍ أو سبع غزواتٍ وثمانيًا، وشهدت تيسيره، وإنّي أن كنت أن أراجع مع دابّتي أحبّ إليّ من أن أدعها ترجع إلى مألفها فيشقّ عليّ[٢].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه برقم (٣٠٣٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير برقم (١٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة برقم (١٢١١).

وقد كانت الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**»(١).

وقال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»(٢)؛ ولهذا قد أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه: «**قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلْتُ**»(٣).

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾؛ أي: عظَّموه ووقَّروه، ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: القرآن والوحي الذي جاء به مبلغًا إلى الناس، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله.. الله يجعلنا منهم الله يجعلنا وإياكم منهم، الله المستعان، الله المستعان، الله أكبر. الله أكبر.

**الأسئلة:**

• **س: أحسن الله إليك! ما اشتبه يرجع إلى من ما اشتبه هل هو من الطيبات أو من الخبائث؟**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ برقم (٦٦٦٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (١٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق الناسي والمكره برقم (٢٠٤٥).

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الإيمان، باب بيان أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يكلِّف إلا ما يطاق برقم (١٢٦).

○ **الجواب**: إلى أهل العلم إذا كان ما فيه نص. ويسأل أهل الخبرة من العجم أو من العرب، أهل الخبرة، من يعرفونه من الثقات.

**مداخلة**: ما يسأل العلماء؟

**الشيخ**: لا، العارفين العلماء العارفين هم غير العلماء أهل الخبرة من الأمناء الثقات العارفين.

● **س: قوله: ما استطابته العرب.**

○ **الجواب**: ما له أصل.

**مداخلة**: ما هو بحديث يعني.

**الشيخ**: ليس له أصل. نعم، قوله: يردهم على أي فائدة ما له أصل.

● **س: أحسن الله إليك! صحيح أن عثمان قرَّب قرابته؟ آثرهم وقرَّبهم.**

○ **الجواب**: بعضهم في بعض الإمارات وبعض الأشياء التي يرى أنه مصيب فيها ﷺ، تقريب القرابة لا ذم فيه بل يمدح من أحسن إلى قرابته وواساهم ووظفهم إذا كانوا أهلًا لذلك ما فيه نقص عليه، النقص عليه إذا حاد نعم. ولَّى غير الأخيار، وولَّى غير الأكْفأ، لكن إلا إذا قاموا عليه ناس بغاة وخبثاء، ما بين كافر وما بين ظالم وجاحد.

**مداخلة**: أقول أحسن الله إليك! ما ينكر على من قال هذه الصفات.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: أن عثمان قرَّب قرابته، مع ذلك بعض الكتَّاب ألَّف في هذا.

**الشيخ**: هذا مشهور لكن لا لوم عليه فيما إذا اجتهد في ذلك، لا لوم عليه في ذلك، النبي ﷺ قال لعلي دعاه وهو مريض وتفل في عينيه

ودعا له وأمَّره على خيبر عليه الصلاة والسلام، هو ابن عمه وزوج ابنته عليه الصلاة والسلام، ما فيه محذور إذا كان المقرب أهلًا لذلك.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! قوله هنا: (غير أنه يؤثر القرابة) في الحديث الذي مضى.

**الشيخ**: هذا فيما عنده من كتبهم الذي عندهم. يؤثرون القرابات في الشيء الذي لا نقص فيه، ولا هو معصوم، قد يقع الخطأ.

● **س: طيب الفيل هل يجوز أكله وإلا..؟**

○ **الجواب**: الفيل المعروف أنه من المحرمات لأنه له ناب عظيم.

**مداخلة**: التماسيح!

**الشيخ** أقول: التماسيح تعيش في البر والبحر؟

**مداخلة**: أكله؟

**الشيخ**: المعروف أنه من ذوي الناب.

**مداخلة**: شيخ! الناب هذا لا يأكل به.

**الشيخ**: نعم. ما يفترس به.

**مداخلة**: المراد كل ذي ناب من السباع.

**الشيخ**: هو مفترس خبيث شديد، نعم، عنده خرطومه أعظم من الناب، المعروف عند أهل العلم أنه محرم، وصاحب حياة الحيوان بسط الكلام فيه، لكن المعروف عند أهل العلم أنه من جنس المحرمات.

**مداخلة**: يفترس بخرطومه.

**الشيخ**: أقول: يفترس بخرطومه بدل من نابه.

**الشيخ**: قد يقال: إنه ينوب منابه إذا كان نابه ما يستعمله.

● **س: والببغاء؟**

○ **الجواب**: ما أعرف عنه شيء.

**مداخلة**: طائر طائر.

**الشيخ**: ما أعرف عنه شيء.

**الشيخ**: القاعدة ما كان من السباع ذا ناب وما كان من الطيور ذا مخلب هذا المحرم، (الرسول ﷺ نهى عن كل مخلب من الطير وعن كل ذي ناب من السباع)، والطيور ليس التي لا مخلب لها، الحمام وأشباه الحمام التي ليس لها مخلب فهي من الطيور المباحة.

● **س: لكن! التماسيح تعيش في البحر وفي البر في المستنقعات.**

○ **الجواب**: لا يحل إلا ما كان في البحر صيد البحر (**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**) ما كان يعيش في البر والبحر لا.

**مداخلة**: جل حياته في البحر أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: وفي الأنهار.

**الشيخ**: المعروف أنه إذا كان يعيش في البر والبحر صار يغلب عليه جانب التحريم مثل الضفدع وأشباهه.

*

❒ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [**الأعراف: ١٥٨**][(١)].

يقول تعالى لنبيِّه ورسوله محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّى رَسُولُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ليلة الخميس ٨ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾؛ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آل عمران: ٢٠]، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى الناس كلهم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، يعني: إلى الناس كافة، ومن هذا قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نذير للعالمين، ورسول إلى جميع الثقلين الجن والإنس، والقرآن كذلك أنزل للجميع الجن والإنس والعرب والعجم، فهو رسول الله إلى الناس جميعًا، والقرآن هو توجيه الله وكلامه إلى الناس جميعًا، فالواجب على جميع الثقلين جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، ذكورهم وإناثهم الانقياد لما جاء به، وأن يصدقوا رسالته، وأن يستقيموا عليها حتى يلقوا ربهم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بعث إليهم جميعًا ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] يعم الجن والإنس، والذكور والإناث، والعرب والعجم، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [هود: ١٧].

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، في تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله، حدثنا سليمان بن عبد الرحمٰن وموسى بن هارون قالا: حدثنا الوليد بن مسلم،

حدثنا عبد الله بن العلاء بن زَبْر، حدثني بسر ابن عبيد الله، حدثني أبو إدريس الخولاني قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه، يقول: كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عمر عنه مغضبًا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده - فقال رسول الله ﷺ: **«أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ»**(١)؛ أي: غاضب وحاقد، قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبيِّ ﷺ وقصَّ على رسول الله ﷺ، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: **«هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ»**. انفرد به البخاري.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه منقبة عظيمة للصديق رضي الله عنه، ولعمر أيضًا، فإنه ندم ورجع يعتذر من الصدِّيق، والصديق قال: (إني كنت أظلم) لما رأى غضب النبي ﷺ على عمر. فالمقصود أنه رضي الله عنه حين بعث الله نبيه وقام في مكة يدعو الناس كذَّبه الناس، وهو قال: صدقت، وآزره في الشدة بماله ونفسه رضي الله عنه وأرضاه؛ فلهذا كان هو الصدِّيق الأكبر، وهو أفضل الناس وخيرهم بعد الأنبياء، وهو أفضل الصحابة على الإطلاق بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة لفضله وسابقته وعلمه وخيره العظيم رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ برقم (٤٦٤٠).

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي ـ ولا أقوله فخرًا: بعثت إلى الناس كافة: الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئًا**» إسناده جيد، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر بن مضر، عن أبي الهاد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم: «**لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا مَا أُعْطِيهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، أَمَّا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَمُلِئَ مِنْهُ رُعْبًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ آكُلُهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ أَكْلَهَا كَانُوا يَحْرِقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلاَةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَالْخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ، قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» إسناد جيد قوي أيضًا ولم يخرجوه[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦/ ٣٢٠).

**مداخلة:** شيخ حفظكم الله.

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** الخمس هذه خاصة بالنبي ﷺ وإلا بأصحابه من بعده، عام له ولأصحابه من بعده؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

للأمة، لكن الشفاعة العظمى له خاصة كما أن الرسالة له خاصة، أحلت الغنائم له ولأمته، الله أكبر، والنصر بالرعب كذلك له ولأمته المتعين له، لكن ما يتعلق به من النبوة والرسالة خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام، كذلك الشفاعة خاصة به عليه الصلاة والسلام، الشفاعة العظمى في أهل الموقف، وفي أهل الجنة.

**مداخلة:** أحسن الله إليك!

**مداخلة:** أحسن الله إليكم! بالنسبة للخصام الذي بين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هل ورد في شيء من طرق الحديث سبب هذا الخصام؟

**الشيخ:** لا أذكر شيء.

**إحراق الغنائم في الأمم السابقة:**

• **س: أحسن الله إليك! قوله: (أنهم هم الذين يحرقون الغنائم بالنار)، ما جاء أنها إذا قبلت تنزل نارًا من السماء ف.......**

○ **الجواب:** نعم تنزل نار فتحرقها.

**مداخلة:** لكن هنا ذكر أنهم هم الذي يحرقونها.

**الشيخ:** كأنه تسامح في العبارة يعني، كأنه يعني: أنها تحرق في زمانهم، يحرقها الله.

• **س: أحسن الله إليك! يعظمون، قوله: يعظمون الغنائم.**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** يعظمون الغنائم، يعظمون الغنائم.

**الشيخ:** عندكم؟

**مداخلة:** أكلها (وكان من قبلي يعظمون ذلك).

○ **الجواب:** يعني: يعظمون أكلها ويرونه شيئًا كبير.

**مداخلة:** نعم نعم.

**الشيخ:** ممنوع كانوا يرونه ممنوعًا.

● **س: هل كان للنبي ﷺ حراسة تحرسه؟**

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** وهل كان ذلك بأمره؟

○ **الجواب:** تارة وتارة، تارة وتارة بأمره.

**الشيخ:** يقال: قد جاء فيها بعض الأحاديث، لكن الحراسة معهم نعم، يحرس عليه الصلاة والسلام في ليلة من الليالي لما أرق قال: أتيت رجل من أصحابي يحرسني الليلة في بعض أسفاره فدعا له، كل هذا مما تقوم به الحجة أنه كان يُحرس.

**الشيخ:** إيه وهذا مهم يحتاج إلى حراسة وحماية؛ لأن العصمة لا تنافي الحراسة نعم، تكون من الأخذ بالأسباب.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! هذه الشفاعة؟

**الشيخ:** نعم؟

● **س: هذه الشفاعة قوله: (هي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله) خاصة بالعصاة ظاهرها ولمن شهد أن لا إله إلا الله؟**

○ **الجواب:** هي يعني: تعم الشفاعة العظمى للجميع، والشفاعة للعصاة كذلك، له شفاعات عليه الصلاة والسلام، الشفاعة العظمى لهم ولغيرهم، والشفاعة الخاصة بالعصاة، والشفاعة لأهل الجنة حتى

يدخلون الجنة كل هذا، كلها له عليه الصلاة والسلام ويشاركه في الشفاعة للعصاة غيره، اللَّهُمَّ ﷺ.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما تكون هذه الشفاعة يعني: خاصة به؟

**الشيخ**: الشفاعة العظمى، والشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوها. نعم، نعم.

**مداخلة**: . . . قال عن هذه الشفاعة وكل نبي ادخر، ادخر له.

**الشيخ**: الشفاعة العظمى، والشفاعة لدخول أهل الجنة الجنة، والشفاعة للعصاة، يشفع عدة شفاعات للعصاة الذين دخلوا النار عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا منها.

**مداخلة**: هي مرادف هذا الحديث أحسن الله إليك!

**الشيخ**: ماذا؟

**مداخلة**: (هي لكم ولمن شهد أن لا إلٰه إلا الله) عامة؟

**الشيخ**: هي عامة لكن ما يقتصر عليها لا، هذه والشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة، تعم هذا، أقول: تعمها. . كلها مدخرة.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن أبي موسى الأشعري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ بِي مِنْ أُمَّتِي أَوْ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِي لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»(١).

وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر، عن أبي موسى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٩٦).

قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس - وهو سليم بن جبير - عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»**. تفرد به أحمد

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بُرْدَة، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَ شَفَاعَةً وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي ثُمَّ جَعَلْتُهَا لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا»**(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا صريح بأنها لأهل التوحيد.

**الملقي**: [وهذا أيضًا].

**الشيخ**: نعم.

**الملقي**: [إسناد صحيح].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤١٦).

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: العصاة يعني.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: يعني: للعصاة.

**الشيخ**: لأنها غير الشفاعة العظمى.

**مداخلة**: يعني: للعصاة.

**الشيخ**: لأن الشفاعة العظمى عامة.

**مداخلة**: يعني هذه تكون خاصة بالعصاة؟

**الشيخ**: نعم؟

**الملقي**الشيخ: خاصة بالعصاة؟

**الشيخ**: لا تشمل أهل الجنة كلهم، تشمل العصاة وغيرهم؛ لأنهم كلهم كان من أهل التوحيد.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أيضًا إسناد صحيح، ولم أرهم خرَّجوه، والله أعلم، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضًا، من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة**»(١).

---

(١) متفق عليه أخرجه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. البخاري في كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد برقم (٥٢١).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ صفة الله تعالى، في قوله: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة، وله الحكم.

وقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ أخبرهم أنه رسول الله إليهم، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به،﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾؛ أي: الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة، فإنه منعوت بذلك في كتبهم؛ ولهذا قال: ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يصدق قوله عمله، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثره، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾؛ أي: إلى الصراط المستقيم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أكبر.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

**مداخلة**: هل مِن مدح الرسول ﷺ عندما تقول: اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على النبي الأمي؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: لا مانع هو الأمي ﷺ يقال: اللَّهُمَّ صلِّ على النبي الأمي؟

**الشيخ**: نعم هو الأمي... وهو لا يقرأ الكتاب وهو لا يكتب، هو لا يكتب ولا يقرأ، اللَّهُمَّ صلِّ عليه، نعم ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، اللَّهُمَّ صلِّ عليه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

**مداخلة**: ما جاء أحسن الله إليك! أنه كتب بعض الشيء؟

**الشيخ**: شيء يسير في صلح الحديبية الشيء القليل ما يؤخذ عليه قاعدة آية من آيات الله، لما تورع الصحابة أن يمحوا اسم محمد

رسول الله ألغى لفظ الجلالة ومحا رسول الله بنفسه، قال: محمد بن عبد الله.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ **[الأعراف: ١٥٨]**[(١)].

حدّثني عبد الله، حدّثنا سليمان بن عبد الرّحمن، وموسى بن هارون، قالا: حدّثنا الوليد بن مسلمٍ، حدّثنا عبد الله بن العلاء بن زبرٍ، قال: حدّثني بسر بن عبيد الله، قالٍ: حدّثني أبو إدريس الخولانيّ قال: سمعت أبا الدّرداء يقول: كانت بين أبي بكرٍ وعمر محاورةٌ، فأغضب أبو بكرٍ عمر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتّبعه أبو بكرٍ يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتّى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكرٍ إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدّرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ**»، قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتّى سلّم وجلس إلى النّبيّ ﷺ، وقصّ على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدّرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكرٍ يقول: والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ**»، قال أبو عبد الله: غامر: سبق بالخير[(٢)].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. . .إلخ برقم (٤٦٤٠). انظر: حديث رقم (٣٦٦١).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

راجع: «التّقريب» (عبد الله بن علاء بن زبر).

**(القارئ)**: [قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٣٥٢١)]: «عبد الله بن العلاء بن زبر ـ بفتح الزّاي وسكون الموحدة ـ الدمشقيّ الرّبعيّ، ثقةٌ من السابعةِ، مات سنة أربعٍ وستين، وله تسعٌ وثمانون خ ٤».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدلّ على فضل الصّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإنصافه؛ فإنّه لما غضب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عليه لحقه يطلب منه السّماح، وأنّه أخطأ عليه، اشتدّ الغضب على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأبى، ثمّ جاء نادمًا إلى النّبيّ ﷺ؛ يبيّن أنّه قد سمح عن أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما أخطأ عليه فيه؛ فالنّبيّ ﷺ غضب لما رأى من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ التشدد ضد الصّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: (هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي)، النّاس قالوا: كذبت. والصّدّيق يقول: صدقت. أوّل ما قام في النّاس ما صدّقه إلّا الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فدلّ ذلك على عظم شأن أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ولهذا رفع الله قدره بين العالم، وبيّن ﷺ أنّه أفضل الخلق بعده، ولقّبه بالصّدّيق؛ وما ذاك إلّا لما أعطاه الله من الإيمان الصّحيح، والصّدق، والمسابقة إلى الخيرات، والأخلاق الفاضلة، والجود والكرم والإحسان والإنفاق في سبيل الله، خصاله كثيرة لا تعدّ رضي الله عنه وأرضاه.

- **س: قول النّبيّ ﷺ: «أمّا صاحبكم فقد غامر»؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: خاصم.

- **س: ألا يدلّ هذا أنّ من رجع يعتذر إلى أخيه أنّه سبقه بالخير؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، مقصوده أنّه رأى علامات المغامرة على الصّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين جاء كان متغير اللون؛ لأنّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يستجب له ولم يسمح عنه.

• **س: قول المعلّق: فقد غامر: سبق بالخير؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هو بالظّاهر؛ لأنّ غامر؛ يعني: خاصم وجادل، وجهه متغيّرٌ.

**(الشّيخ)**: العيني موجود؟

**(القارئ)**: [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٨/ ٢٤١)]:

«قوله: **(غامر)** بالغين المعجمة من باب المفاعلة؛ أي: سبق بالخير أو وقع في أمر أو زاحم وخاصم». [انتهى كلامه].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المعنى الثّاني هو الأظهر.

[قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ]: «والمغامر الّذي يرمي نفسه في الأمور المهلكة، وقيل: هو من الغِمر بالكسر، وهو الحقد الّذي حاقد غيره». [انتهى كلامه].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، المقصود تغامرًا: تخاصمًا، المغامرة: المخاصمة والمجادلة.

• **س: أحسن الله إليك، هل أحدٌ أغضب النّبيّ ﷺ في المجلس حينما دخل عليه أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما قال عليه الصّلاة والسّلام: «هل أنتم تاركو لي صاحبي»؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، لما جاء عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يعتذر مما عمل مع الصّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأبى أن يسمح وأغلق دونه الباب؛ جاء يعتذر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقال النّبيّ ﷺ ما قال؛ يعني: لما جاء عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: إنّي أبيت أن أسمح عن الصّدّيق، وإنّي أغلقت دونه الباب؛ فغضب النّبيّ ﷺ من هذا، من شدّة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا.

• **س: سلّمك الله، إذا جاء الرّجل إلى أخيه، يستسمح منه وأبى ذلك؛ فهل أدّى الحقّ الّذي عليه لأخيه؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا استسمح باء بها الثّاني، إذا استسمح الأول وندم باء الثّاني بالهجر والإثم.

● **س: أحسن الله إليك، قول البخاريّ أحيانًا: حدثنا، وأحيانًا حدثني؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد يكون مشتركًا، إذا كان جماعة قال: حدّثنا، صار معه غيره، وإذا كان وحده قال: حدّثني، وقد يكون من باب التّسامح بعض الأحيان، يقول: حدّثنا من باب التسامح.

*

**□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩]**[1].

يقول تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، كما قال تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ الآية [البقرة: ١٢١].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الاثنين ١٢ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ (أ).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبين أن من بني إسرائيل من استقام على الهدى وتابع الحق، وصدق موسى وهارون وانقادوا للحق، ولهذا رآهم النبي ﷺ حين أسري به ليلة المعراج، رأى معه من الأمة من قد سد الأفق ممن اتبع موسى عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل.

أما في عهده ﷺ فالمسلمون قليل، الذين آمنوا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام قليل جدًّا، وإنما هؤلاء أمة موسى الذين تابعوه واتبعوا ما جاء به قبل مبعث محمد ﷺ، وأما بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فالمسلمون منهم قليل، وقد جرى منهم ما جرى ضد عيسى عليه الصلاة والسلام، ولما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ كذبوه وأنكروا ما جاء به، واستكبروا عن اتباعه، ولم يؤمن به إلا القليل من اليهود كعبد الله بن سلام ونفر قليل، كل ذلك من بغيهم وكبرهم وحسدهم، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]

وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبرًا عجيبًا، فقال: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا ـ وكانوا اثني عشر سبطًا ـ تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله ﷻ، أن يفرق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقًا في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا. قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

[الإسراء: ١٠٤]، و«وعد الآخرة»: عيسى ابن مريم ـ قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصفًا.

وقال ابن عيينة، عن صدقة أبي الهذيل، عن السُّدِّي: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شُهْد.

*

**❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠ ـ ١٦٢](١).**

تقدم تفسير هذا كله في سورة «البقرة»، وهي مدنية، وهذا السياق مكي، ونبهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته، ولله الحمد والمنة.

**❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦١].**

حدّثني إسحاق، أخبرنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن همّام بن

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

منبّهٍ أنّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾، فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبّةٌ في شعرةٍ»(١).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

هذا من تحريفهم إلّا من هدى الله منهم، هذا من تحريفهم، والله المستعان، بأن يقولوا: حطّةٌ؛ يعني: حطّ عنا ذنوبنا، اغفر لنا، غيّروا وجاءوا يزحفون على أستاههم، وهم مأمورون، بأن يدخلوا سجّدًا؛ يعني: ركّعًا خاضعين لله؛ فغيّروا، غيّروا حطةً بحنطةٍ بشعيرةٍ، كلّ هذا من أغلاطهم وتحريفهم وكذبهم، إلّا من هداه الله منهم.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣](٢).

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، يقول الله تعالى، لنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾؛ أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحذر هؤلاء من كتمان

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ برقم (٢٦٤١)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠١٥).
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

صفتك التي يجدونها في كتبهم؛ لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم. وهذه القرية هي «أيلة» وهي على شاطئ بحر القُلزم.

قال محمد بن إسحاق: عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قال: هي قرية يقال لها «أيلة» بين مدين والطور. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقال عبد الله بن كثير القارئ، سمعنا أنها أيلة. وقيل: هي مدين، وهو رواية عن ابن عباس، وقال ابن زيد: هي قرية يقال لها: «مقنًا» بين مدين وعَيدُوني.

وقوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾؛ أي: يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: أي ظاهرة على الماء.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿شُرَّعًا﴾ من كل مكان.

قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾؛ أي: نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

**قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وهذا ابتلاء وامتحان الله أكبر، هل يصبرون أو لا يصبرون، هكذا الله أكبر يبتلي عباده بالسراء والضراء، ولكن حملهم الجشع والحرص على عدم الصبر وعلى الحيلة على ما حرم الله عليهم حتى مسخهم الله، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**» وهذا إسناد جيد، فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه، وباقي رجاله مشهورون ثقات، ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرًا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا حديث صحيح لا شك سنده صحيح، وهذا فيه التحذير من الحيل، وأن فيه تشبهًا من اليهود، التحيل على محارم الله، (لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) نسأل الله العافية.

* *

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ **[الأعراف: ١٦٤ ـ ١٦٦]**(١).

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في. ليلة الاثنين ١٩ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، كما تقدم بيانه في سورة البقرة. وفرقة نهت عن ذلك، وأنكرت واعتزلتهم. وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم. قالت لهم المنكرة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، كأنه على تقديره: هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب؛ أي: نفعل ذلك ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار[1] يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾؛ أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قَبول النصيحة، ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ فنصَّ على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيُمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيُذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين أو من الناجين؟ على قولين:

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال: هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة، يقال لها: «أيلة»، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شُرَّعًا في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها. فمضى على ذلك ما شاء الله، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم؟ فلم يزدادوا إلا غيًّا وعتوًّا، وجعلت

(١) قال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بسبب هذا الإنكار المعنى متقارب.

طائفة أخرى تنهاهم، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكانوا أشد غضبًا لله من الطائفة الأخرى؟ فقالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وكل قد كانوا ينهون، فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة.

وروى العوفي، عن ابن عباس قريبًا من هذا.

وقال حماد بن زيد، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال: ما أدري أنجا الذين قالوا: «أتعظون قومًا الله مهلكهم»، أم لا؟ قال: فلم أزل به حتى عرَّفته أنهم نجوا، فكساني حلة.

قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جُرَيْج، حدثني رجل، عن عكرمة قال: جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست، فقلت: ما يبكيك يا أبا عباس، جعلني الله فداك؟ قال: فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو في «سورة الأعراف»، قال: تعرف أيلة، قلت: نعم. قال: فإنه كان بها حي من يهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تتبطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام. فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة: بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت. فكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات

اليمين، وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت. وقال الأيمنون: ويلكم، الله، الله ننهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ابتلاء وامتحان بنو إسرائيل ابتلاهم الله بأشياء كثيرة ومحن كثيرة بسبب تشددهم وتعنتهم ابتلوا، فحرم الله عليهم الصيد يوم السبت ثم امتحنوا بأن تأتي الحيتان يوم السبت شرعًا في متناولهم ابتلاء وامتحان ويوم لا يسبتون لا تأتيهم إلا بتعب، فلهذا اجترأ بعضهم على صيدها في يوم السبت ما صبروا، فانقسم الناس بهم قسمان: قسم قالوا لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وقسم زجروهم ونهوهم عن فعلهم القبيح، فأنجى الله الناهية؛ لأنها أدت ما عليها، وأما التي سكتت اختلف الناس فيها هم العلماء، هل نجت أم لا؟ والأقرب والله أعلم أنها نجت يعني: أنها منكرة غضبانة غير راضية؛ ولهذا قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، يعني: هؤلاء لا حيلة فيهم، قد عرفوا وهم على بصيرة عصوا الله على بصيرة كأنهم يئسوا، يعني: ما فيهم خير.. ما فيهم يعني: قالوا هذا الكلام؛ لأنهم يائسون من هدايتهم، ولكن لبغضهم لهم وحنقهم عليهم وإيمانهم بأنهم قد استحقوا العقاب ما استمروا في النهي.... صبروا عليهم ونهوا استمروا في النهي، فالأقرب والله أعلم أنهم ناجون كلهم لكن إحداهما أكمل في النهي، فصبرت ولو.. ولو أنها تعتقد أنهم.. أنهم هالكون لكن لعل ولعل، ولهذا قالت: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، وهذا هو الذي ينبغي.. ينبغي لأهل الإيمان أن ينكروا ولا ييأسوا لا يأخذهم اليأس، ينبغي أن يستمروا في الإنكار ولو.. ولو عصى العصاة ولو استمروا في الطغيان ولو عاندوا لا.. لا ينبغي اليأس هكذا المؤمنون يصبرون: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، نسأل الله العافية والسلامة.

المقصود: أن.. أن هذه عظة لنا نحن علينا أن نستمر في النهي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرص على الهداية، ولو غلب على الظن أنهم لا يستجيبون أو تيقنًا أنهم لا يستجيبون، نبذل الوسع ونصبر لعل ولعل، والله هو الذي يهدي من يشاء فنحن علينا البلاغ والله يهدي من يشاء سبحانه وتعالى.

**الأسئلة:**

• **س: أحسن الله إليك! هل ثبت أن النبي ﷺ يعني: كرر في زيارة أبا جهل لدعوته؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** هل ثبت أن النبي ﷺ كان يزور أبا جهل كثيرًا لدعوته إلى الله؟

**الشيخ:** ما بلغني هذا أقول: ما بلغني هذا.

**مداخلة:** الطائفة الثانية أحسن الله إليك! اعتزلت؟

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** معتزلة أيضًا؟

**الشيخ:** معتزلة نعم.

**مداخلة:** وهذا من أسباب السلامة؟

**الشيخ:** نعم. هذا من.. من الإنكار.

• **س: وقوله سبحانه وتعالى: «المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، هذا بعد الدعوة؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** هذا بعد الإنكار؟

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، يكون بعد الإنكار؟

○ **الجواب:** نعم.

**الملقي:** [فكانوا كذلك].

**ترك الدعوة لمن عرف عدم استجابته**

**مداخلة:** ! هؤلاء عفوا أنكروا عليهم؟

**الشيخ:** هو الظاهر.. الظاهر من غيرتهم أنهم أنكروا عليهم ولكن يئسوا، وقالوا للذين استمروا في الإنكار: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾، هؤلاء يعني: قد فعلنا وقد أنكرنا ما.. ما فيهم خير ما فيهم حيلة نسأل الله.

• **س: يا شيخ! إذا عرف الانسان أنهم ابتداءً.. لن تنفع الدعوة بهم يعني: حتى لو نصح هل يسعه السكوت؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** لو عرف الداعي أنه لو دعا هؤلاء لن تنفع فيهم الدعوة.

○ **الجواب:** ولو.. ولو مثلما سمعتم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، لا تيأس تدعوهم ولو ظننت أنهم لا يستجيبون.

• **س: يا شيخ سلَّمك الله! من استدل بهذا على جواز الجلوس مع أصحاب المنكرات والمعاصي وقال: لا ننكر عليهم ونسكت.. نسكت عن ذلك ونحن ناجون بإذن الله.**

○ **الجواب:** لا غلط.. هذا ما أحد يقوله، هذا غلط، لما ظن بعض الناس أن المهتدي لا يضره ضل من ضل وإن لم ينكر وتعلَّق بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٠٥]، خطب الناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: (أنهم يقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها)، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه**

**أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه»**. فالمعنى: ما يكونون مهتدين إلا بإنكار المنكر: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، يعني: بإنكار المنكر وأداء الواجبات وترك المحارم، ومن موجبات الواجبات إنكار المنكر.

**مداخلة**: أقول: نكره ذلك ونجلس سلمك الله!

**الشيخ**: نعم. لا بد من إنكاره.

**مداخلة**: ما الفرق بين المداراة والمداهنة؟

**الشيخ**: المداراة: كونه يمكن بالحكمة والأسلوب الحسن الذي يداري شره وينكر إنكاره يرجو منه المنفعة ولا يخشى منه النفرة، هذه المداراة ينكر لكن بالأساليب الحسنة.

• **س**: ...... **المقصود بالشرط في قوله؛ قوله سبحانه**: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [**الأعلى**: ٩]......

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

○ **الجواب**: محل نظر، الآية والله أعلم قد تحمل على من يئس منهم في نزول نص... ييأس منهم، وأنهم.. قد تحمل على نص أغلب يعني: أن الذكرى في الغالب أنها تنفع وصف أغلبي ليس شرطًا وليس قيدًا وإنما هو وصف أغلبي، ولهذا في الآية الأخرى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، ولم يشترط: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، فهو وصف أغلبي والنصوص يفسر بعضها بعضًا.

**مداخلة**: في الآية الأخرى ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

**مداخلة**: الوصف الأغلبي النفي عليه؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: في الوصف الأغلبي النفي؟

**الشيخ**: كله وصف أغلبي: ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] و﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، وصف أغلبي؛ لأن الغالب أن الذكرى تنفع وأن كل من في قلبه إيمان يخاف الوعيد هذا هو الغالب.

**مداخلة**: أنه قد كان. .

**الشيخ**: أنه على من انتسب.

**مداخلة**: الأغلب على أنها تنفع؟

**الشيخ**: نعم هذا الغالب.

**مداخلة**: هذا الأغلب.

● **س: هل يقيد هذا بالتجربة؛ لقول النبيِّ ﷺ في آخر الزمن: «عليكم بخاصة أنفسكم».**

○ **الجواب**: هذا والله أعلم مثلما أخبر النبي ﷺ عند فساد الزمان وتغير الأحوال يعتزل الإنسان يرى شحًّا مطاعًا وهوى متبعًا، ودنيا مؤثَرة وأمرًا لا يدان لك به، يعني: لا طاقة لك به، فعليك نفسك، هذا وقت الاعتزال والهجرة، مثلما في حديث أبي سعيد: (من خير الناس؟ قال: مؤمن مجاهد في سبيل الله، قيل: . . ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره )، هذا ما معناه: يعني: في وقت الفتنة وقت الشرور والعجز. .

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الأيسرون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ قال الأيمنون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ إن ينتهوا فهو أحب إلينا ألا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، وقال الأيمنون: فقد فعلتم، يا أعداء الله. والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصبِّحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب. فلما أصبحوا ضربوا

عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سُلَّما، وأعلوا سور المدينة رجلًا فالتفت إليهم فقال: أي عباد الله، قردة والله تعاوي لها أذناب. قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القرود أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فتقول: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها، أي نعم. ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها؟. قال: قلت: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾؟ قال: فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد، عنه.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو يعني: نعتزلكم يعني: بمعنى: نعتزلكم الله أكبر.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، أخبرنا أشهب بن عبد العزيز، عن مالك، قال: زعم ابن رومان أن قوله تعالى: ﴿تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ قال: كانت تأتيهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبت، فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر، فاتخذ ـ لذلك ـ رجل خيطًا ووتدًا، فربط حوتًا منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد، أخذه فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك، فجحدهم، فلم يزالوا به حتى قال لهم: «فإنه جلد حوت وجدناه». فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ـ ولا أدري لعله قال: ربط حوتين ـ فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجدوا رائحة، فجاءوا فسألوه فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما أصنع.

فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كثر ذلك. وكانت لهم مدينة لها ربض يغلقونها عليهم، فأصابهم من المسخ ما أصابهم. فغدوا عليهم جيرانهم مما كانوا حولهم، يطلبون منهم ما يطلب الناس، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم، فنادوا فلم يجيبوهم، فتسوَّروا عليهم، فإذا هم قردة، فجعل القرد يدنو يتمسَّح بمن كان يعرف قبل ذلك، ويدنو منه ويتمسح به. وقد قدمنا في سورة «البقرة» من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية، ولله الحمد والمنة.

**القول الثاني**: أن الساكتين كانوا من الهالكين.

قال محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أنه قال: ابتدعوا السبت فابتلوا فيه، فحرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت، شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر. فإذا انقضى السبت، ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل، فإذا جاء السبت جاءت شُرَّعًا، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلًا منهم أخذ حوتًا فخزم أنفه ثم، ضرب له وتدًا في الساحل، وربطه وتركه في الماء. فلما كان الغد، أخذه فشواه فأكله، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاه منهم أحد، إلا عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق، ففعل علانية. قال: فقالت طائفة للذين ينهونهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فقالوا: سخط أعمالهم ﴿...وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ قال ابن عباس: كانوا أثلاثًا: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين، أولى من القول بهذا؛ لأنه تبين حالهم بعد ذلك، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: استنبط حالهم وتبصر حالهم، بعدما راجع في أحوالهم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله المؤلف هو الأقرب، الذين نهوا، الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ نجوا، وإنما الهالكون الذين فعلوا الجريمة، أقدموا على الصيد يوم السبت وتحيلوا فيه، نسأل الله العافية؛ لكن لعظم شأن الناهين وعظم منزلتهم نصَّ الله عليهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وذولاك في الحقيقة ناهون، لم تعظون قومًا، غاضبون كارهون، لكن يقول كأن هؤلاء يقول: هؤلاء لا حيلة فيهم، يعني قد بلغوا وقد أنذروا فلا حيلة فيهم، اتركوهم لأنهم هالكون، نسأل الله العافية..

**مداخلة**: أحسن الله إليك يا شيخ! قوله: وهذا إسناد جيد؟

**الشيخ**: نعم قريب إسناد جيد يطلق على الصحيح وعلى الحسن.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

و﴿بَـِٔيسٍۭ﴾ فيه قراءات كثيرة، ومعناه في قول مجاهد: «الشديد»، وفي رواية: «أليم». وقال قتادة: موجع. والكل متقارب، والله أعلم. وقوله: ﴿خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾؛ أي: ذليلين حقيرين مهانين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧][(١)].

﴿تَأَذَّنَ﴾ تَفَعَّل من الإذن؛ أي: أعلم، قاله مجاهد. وقال غيره: أمر.

وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة، ولهذا تُلُقِّيَت باللام في قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾؛ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم.

ويقال: إن موسى عليه السلام، ضرب عليهم الخراج سبع سنين - وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج. ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا في قهر النصارى وإذلالهم وإياهم، أخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام، ومحمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجِزى. قال العوفي، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: هي المسكنة، وأخذ الجزية منهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عنه: هي الجزية، والذين يسومهم سوء العذاب: محمد رسول الله ﷺ وأمته، إلى يوم القيامة.

وكذا قال سعيد بن جبير، وابن جُرَيْج، والسُّدِّي، وقتادة.

وقال عبد الرزاق: عن مَعْمَر، عن عبد الكريم الجزري، عن سعيد بن المسيب قال: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية.

قلت: ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك آخر الزمان.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: لمن عصاه وخالف أمره وشرعه، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾؛ أي: لمن تاب إليه وأناب.

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة، لئلا يحصل اليأس، فيقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرًا؛ لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

قف على هذا.. وهذا مثلما قال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. وهذا هنا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٥ ـ ١٦٧]؛ ليخاف المؤمن ويحذر، ولا تيأس من تعاطى شيئًا من محارم الله، فالمؤمن يرجو ويجتهد، والفاسق والكافر لا ييئس يتوب إلى الله، ومن تاب تاب الله عليه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، نسأل الله العافية.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! معنى: بعث الأنباط؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

ما ظهر لي هذا أقول: ما ما ظهر لي هذا.

**مداخلة:** يعني.

**الشيخ:** أقول: ما يظهر لي.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! كونهم أنصارًا للدجال؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

يعني في آخر الزمان يتبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان، جاء في الأحاديث الصحيحة بقصدهم في الشام فينزل بهم وهو ملكهم يقاتلهم المسيح بن مريم هم والدجال جميعًا في الأردن.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما يحتمل أنهم لقوتهم يبعثون بالجزية لجبايتها لأنهم أقوياء؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقول: ما يحتمل أنهم لقوتهم يبعثون لجباية الجزية؟

**الشيخ**: الله أعلم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! خلاصة الطائفة هذه هل هي ساكتة وإلا منكرة.

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: الذي سكت عنها.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: يعني: هل الطائفة التي سكت عنها في النص القرآني هل هي منكرة وإلا ساكتة؟

○ **الجواب**: التعبير عنها بأنها ساكتة، ولكن قوله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] نوع من الإنكار، يعني: نوع من بيان أنهم هالكون، وأنهم لا خير فيهم مأيوس منهم. الأقرب أنهم ثلاث طوائف، طائفة أنكرت وصرحت، وطائفة قالوا: لم تعظون قومًا، يعني: هؤلاء لا خير فيهم وهم خاسرون، والطائفة الثالثة ما حركت ساكنًا، ويحتمل كما هو ظاهر في السياق أن الطائفة الثالثة يعني الذين فعلوا، الذين فعلوا الجريمة وهو الأقرب، الذين فعلوا الجريمة هؤلاء هم الذين أُخذوا، والمنكرون نجوا، والذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] ويسميهم بعض الناس الساكتين هم أيضًا نجوا لأنهم في الحقيقة منكرون غاضبون، وإنما تركوا الإنكار والإصرار في الإنكار قد يئسوا من رجوعهم إلى الحق وقبولهم الدعوة.

**مداخلة**: ما يكون أحسن الله إليك! اكتفاءً بإنكار أولئك؟ يعني: اكتفوا بهم، أدوا الواجب أولئك عنهم؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك، وهذا أيضًا مما يبرر القول بأنهم نجوا؛ لأن هناك من قام بالواجب.

**مداخلة:** في رواية عند أحمد أن الإنسان إذا أراد أن ينكر فعلم أنه لا ينفع الإنكار فيكون داخل في هذا الطائفة، يكون ترك الإنكار؟

**الشيخ:** ما أدري والله، المهم الأدلة الشرعية ما هو بمهم قول فلان ولا قول فلان، المهم الأدلة الشرعية.

● **س: أحسن الله إليك! قول النبي ﷺ: (يخسف بأولهم وآخرهم) ما يدل على أن الساكت تعمَّه العقوبة؟ قول النبي ﷺ (قيل: نعم إذا كثر الخبث..).**

○ **الجواب:** هذا هو الظاهر من النصوص أنهم هم الناجون، لكن إذا كان الساكتون إنما سكتوا لا رضًا بالمنكر ولكنهم اكتفوا بالمنكرين، فهم غاضبون كارهون لما فعله العصاة، بخلاف الساكتون الراضون هؤلاء مع المجرمين.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨ ـ ١٧٠][(١)].

يذكر تعالى أنه فرقهم في الأرض أممًا؛ أي: طوائف وفرقًا، كما

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الأسراء: ١٠٤]

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيهم الصالح وغير ذلك، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾؛ أي: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: بالرخاء والشدة، والرغبة والرهبة، والعافية والبلاء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، يقول تعالى: فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح، خلف آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة هذا الكتاب وهو التوراة - وقال مجاهد: هم النصارى - وقد يكون أعم من ذلك، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعَرَض الحياة الدنيا، ويسرفون أنفسهم ويعدونها بالتوبة، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ كما قال سعيد بن جبير: يعملون الذنب، ثم يستغفرون الله منه، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه.

وقول مجاهد في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قال: لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه، حلالًا كان أو حرامًا، ويتمنون المغفرة، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وإن يجدوا عَرَضًا مثله يأخذوه.

وقال قتادة في: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾؛ أي: والله، لخلف سوء، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم، ورثهم الله وعهد إليهم، وقال الله في آية أخرى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩]، قال: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ تمنوا على الله أماني، وغرَّة يغترون بها، ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ لا

يشغلهم شيء عن شيء، ولا ينهاهم شيء عن ذلك، كلما هف لهم شيء من أمر الدنيا أكلوه، ولا يبالون حلالًا كان أو حرامًا.

وقال السُّدِّي في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم، وإن خيارهم اجتمعوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود ألا يفعلوا ولا يرتشى، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم، فيقول: «سيغفر لي»، فتطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع، فإذا مات، أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه، فيرتشي. يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ الآية يقول تعالى منكرًا عليهم في صنيعهم هذا، مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبيننَّ الحق للناس، ولا يكتمونه كقوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال ابن جُرَيْج: قال ابن عباس: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها، ولا يتوبون منها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾ يرغِّبهم تعالى في جزيل ثوابه، ويحذرهم من وبيل عقابه؛ أي: وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم، وترك هوى نفسه، وأقبل على طاعة ربه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾ يقول: أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعَرَض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير؟ ثم أثنى

تعالى على من تمسَّك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد ﷺ، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: اعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة. في هذه القصة عظة وذكرى لكل مؤمن، قصة أهل الكتاب وأهل السبت، ومخالفة أهل الكتاب وعصيانهم فيها عظة وذكرى لأهل الإيمان، الله يذكرهم بأهل المعاصي والمجترئين على محارم الله وما أعد لهم من العقاب وما عجل لهم من العقاب ليحذر المؤمن هذه الخصال الذميمة، وليبتعد عن صفاتهم الخبيثة، وإنما المقصود بذكر المجرمين وأعمالهم وجزائهم والتحذير من أعمالهم السيئة، كما أن المقصود من ذكر المتقين والمؤمنين وأعمالهم الطيبة وجزائهم التشويق لأعمالهم والترغيب فيها، الله المستعان.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١](١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ يقول: رفعناه، وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٤].

وقال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رفعته الملائكة فوق رؤوسهم.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ثم سار بهم موسى عليه السلام، متوجِّهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمره الله تعالى به أن يبلغهم من الوظائف، فثقلت عليهم، وأبوا أن يقربوها حتى ينتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، قال: رفعته الملائكة فوق رؤوسهم. رواه النسائي بطوله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

بركة. في هذه القصة عظة وذكرى لكل مؤمن، قصة أهل الكتاب وأهل السبت، ومخالفة أهل الكتاب وعصيانهم فيها عظة وذكرى لأهل الإيمان،الله يذكرهم بأهل المعاصي والمجترئين على محارم الله وما أعد لهم من العقاب وما عجل لهم من العقاب ليحذر المؤمن هذه الخصال الذميمة، وليبتعد عن صفاتهم الخبيثة، وإنما المقصود بذكر المجرمين وأعمالهم وجزائهم والتحذير من أعمالهم السيئة، كما أن المقصود من ذكر المتقين والمؤمنين وأعمالهم الطيبة وجزائهم التشويق لأعمالهم والترغيب فيها، الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال سنيد بن داود في تفسيره، عن حجاج بن محمد، عن أبي بكر بن عبد الله قال: هذا كتاب، أتقبلونه بما فيه، فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم، وما أمركم وما نهاكم؟ قالوا: انشر علينا ما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرة، وحدودها خفيفة قبلناها. قال: اقبلوها بما فيها. قالوا: لا حتى نعلم ما فيها، كيف حدودها وفرائضها؟ فراجعوا موسى مرارًا، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي عز وجل؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها، لأرمينكم بهذا الجبل. قال:

فحدثني الحسن البصري قال: لما نظروا إلى الجبل خرَّ كل رجلٍ ساجدًا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل، فرقًا من أن يسقط عليه، فكذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة. قال أبو بكر: فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز، فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير، ولا كبير، تُقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه. أي: حرك كما قال تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١]؛ أي: يحركونها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ **[الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٤]**(١).

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إلٰه إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»(٢).

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٥ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ، ومغرب الأربعاء ٢٨ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) سبق تخريجه في (ص٦٣).

وفي رواية: **«لَا يُولَدُ مَوْلُودٌ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ»**[١]، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء. وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ»»**[٢].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الدليل على جميع الأطفال كلهم على الفطرة، من أولاد الكفار وغيرهم، وهذا هو أرجح الأقوال؛ لأن الأحاديث عامة، تعم أولاد الكفار وغيرهم أنهم على الفطرة، فإذا ماتوا صغارًا فهم من أهل الجنة، كما ثبت في الصحيح (أن النبي رآهم مع إبراهيم في روضة من رياض الجنة)، أولاد المشركين وأولاد المسلمين الأطفال، أما في الدنيا إذا قتلوا بالحرب فالحكم حكمهم، وهكذا لو ماتوا عند والديهم أو عند أحد والديهم الكافر المقصود حكمهم في الدنيا، أما في الآخرة فهم في حكم أهل الإيمان في الآخرة أنهم إذا ماتوا قبل التكليف.

**الأسئلة:**

● **س: الجن هل على الفطرة أم لا؟**

○ **الجواب**: نعم، تعمهم النصوص، أقول: تعمهم النصوص، ما من مولود يولد إلا على الفطرة.

● **س: أحسن الله إليك! من قال: إن أطفال المشركين يمتحنون؟**

○ **الجواب**: الحديث هذا يبين أن الأصح عدم الامتحان، وإلا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سبق تخريجه في (ص١٩١).

قول آخر معروف فيهم عدة أقوال، منها: أنهم يمتحنون، ومنها: الإمساك والسكوت، كما قال ﷺ لما سئل: «**اللَّهُمَّ أعلم بما كانوا عاملين**»، لكنه بيَّن أخيرًا أنه رآهم مع إبراهيم في الجنة، نعم، وبيَّن ﷺ أن «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة**».

• **س: أحسن الله إليك! المجنون إذا كان بين مسلمين أبواه مسلمان؟**

○ **الجواب**: إذا كان جُنَّ قبل أن يبلغ فحكمه حكم الطفل، إذا كان جن قبل أن يبلغ حكمه حكم الطفل، أما إذا كان جن بعد البلوغ والتكليف فهو على ما جن عليه.

• **س: سؤال الأطفال في القبر؟**

○ **الجواب**: فيه نظر، يحتاج إلى دليل، ما أعلم فيه دليل، أقول: ما أعلم فيه دليل واضح.

• **س: حكم حل العقد عن الكفن كلها؟**

○ **الجواب**: كلها تحل، العقد كلها تحل وتبقى في مكانها.

• **س: أحسن الله إليك معنى قول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، ما يكون معناه إذا كبروا يعني ما يكونوا عاملين إذا كبروا؟**

○ **الجواب**: هذا بين النبي ﷺ في الأحاديث الأخرى أنهم يولدون على الفطرة، نعم، الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، علم، أعلمه الله.

• **س: أحسن الله إليك! نَسَمة وإلا نِسْمة؟**

**مداخلة**: أقول: نَسَمة وإلا نِسْمة؟

**الشيخ**: نَسَمة

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يونس بن عبد الأعلى،

حدثنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى: أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم، عن الأسود بن سريع من بني سعد، قَالَ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ غَزَوَاتٍ قَالَ: فَتَنَاوَلَ قَوْمٌ الذُّرِّيَّةَ بَعْدَ مَا قَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا مَا بَالُ أَقْوَام قَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ حَتَّى تَنَاوَلُوا الذُّرِّيَّةَ**». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَلَيْسَ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ إِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ تُولَدُ إِلَّا وُلِدَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ فَمَا تَزَالُ عَلَيْهَا حَتَّى يُبِينَ عَنْهَا لِسَانُهَا فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا**»(١). قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

وقد رواه الإمام أحمد، عن إسماعيل بن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري به. وأخرجه النسائي في سننه من حديث هُشَيْم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: حدثنا الأسود ابن سَرِيع، فذكره، ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلْب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا حَجَّاج، حدثنا شُعْبة، عن أبي عمران الجَوْني، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**». أخرجاه في الصحيحين، من حديث شعبة، به(٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٤).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته =

**حديث آخر**: وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير - يعني ابن حازم - عن كلثوم بن جابر عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم** عليه السلام**، بنعمان. يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلَّمهم قُبُلًا**» وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[(١)].

وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه، عن محمد بن عبد الرحيم - صاعقة - عن حسين بن محمد المروزي، به. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به. إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفًا. وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره، عن جرير بن حازم، عن كلثوم بن جَبْر، به. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبير[(٢)].

هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث، عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووَكِيع، عن ربيعة بن كلثوم، عن جبير، عن أبيه، به. وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بَذِيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العَوْفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت، والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن أبي هلال، عن

---

= برقم (٣٣٣٤)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا برقم (٢٨٠٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الحاكم ووافقه الذهبي ج٥ برقم (٤٠٤٤).

أبي جَمْرَة الضبعي، عن ابن عباس ﵄ قال: أخرج الله ذرية آدم ﵇ من ظهره كهيئة الذر، وهو في آذي من الماء.

وقال أيضًا: حدثنا علي بن سهل، حدثنا ضَمْرَة بن ربيعة، حدثنا أبو مسعود عن جُويبر قال: مات ابن للضحاك بن مُزَاحِم، وهو ابن ستة أيام. قال: فقال: يا جابر، إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرز وجهه، وحُلّ عنه عقده، فإن ابني مُجْلَس، ومسؤول. ففعلت به الذي أمر، فلما فرغت قلت: يرحمك الله، عمّ يُسأل ابنك؟ من يسأله إياه؟ قال: يُسْأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم. قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم؟ قال: حدثني ابن عباس ﵁؛ أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نَسَمة هو خلقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم في صلبه. فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به، نفعه الميثاق الأول. ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به، لم ينفعه الميثاق الأول. ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر، مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوّي وَقْف هذا على ابن عباس، والله أعلم.

**حديث آخر**: وقال ابن جرير: حدثنا عبد الرحمٰن بن الوليد، حدثنا أحمد بن أبي طيبة، عن سفيان بن سعيد، عن الأجلح، عن الضحاك وعن منصور، عن مجاهد ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: «**أخذ من ظهره، كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم**: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ **قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ**: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾».

أحمد بن أبي طيبة هذا هو: أبو محمد الجرجاني قاضي قومس،

كان أحد الزهاد، أخرج له النسائي في سننه، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه. وقال ابن عَدِيّ: حدث بأحاديث أكثرها غرائب.

وقد روى هذا الحديث عبد الرحمٰن بن مَهْدِيّ، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد،

عن عبد الله بن عمرو، قوله، وكذا رواه جرير، عن منصور، به. وهذا أصح والله أعلم.

**حديث آخر**: قال الإمام أحمد: حدثنا روح ـ هو ابن عبادة ـ حدثنا مالك، وحدثنا إسحاق، أخبرنا مالك، عن زيد بن أبي أُنَيْسةَ: أن عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب، أخبره، عن مسلم بن يَسار الجُهَني: أن عمر بن الخطاب سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ الآية، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ، سُئل عنها، فقال: «**إن الله خلق آدم** عليه السلام، **ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**». فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: «**إذا خلق الله العبد للجنة، استعمله بأعمال أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة. وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار**»[(١)].

وهكذا رواه أبو داود عن القَعْنَبي ـ والنسائي عن قتيبة ـ والترمذي عن إسحاق بن موسى، عن مَعْن. وابن أبي حاتم، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب. وابن جرير من حديث روح بن عبادة

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر برقم (٤٧٠٣)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥)، والإمام أحمد (١/ ٣٩٩ و٤٠٠).

وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، من رواية أبي مصعب الزبيري، كلهم عن الإمام مالك بن أنس، به

قال الترمذي: وهذا حديث حسن، ومسلم بن يَسَار لم يسمع عُمَر. وكذا قاله أبو حاتم وأبو زُرْعَة. زاد أبو حاتم: وبينهما نُعَيْم بن ربيعة[١].

وهذا الذي قاله أبو حاتم، رواه أبو داود في سننه، عن محمد بن مصفى، عن بَقِيَّةَ، عن عمر ابن جُعْشُم القرشي، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يَسَار الجهني، عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فذكره.

وقال الحافظ الدارقطني: وقد تابع عمر بن جُعْثُم بن زيد بن سِنان أبو فَرْوَة الرَّهَاوي، وقولهما أولى بالصواب من قول مالك، والله أعلم[٢].

قلت: الظاهر أن الإمام مالكًا إنما أسقط ذكر «نعيم بن ربيعة» عمدًا؛ لما جهل حاله ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم؛ ولهذا يرسل كثيرًا من المرفوعات، ويقطع كثيرًا من الموصولات، والله أعلم.

**مداخلة**: التدليس أحسن الله إليك! التدليس من الإمام مالك هذا؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: في تدليس من الإمام مالك يرسل فيقطع الموصولات.

**الشيخ**: محتمل، ممكن أن يقال: إنه من باب الاجتهاد الذي ينظره

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب القدر برقم (٤٧٠٣)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥).

(٢) العلل للدارقطني (٢/ ٢٢١ و٢٢٣).

طالب العلم ويتبعه السند؛ لأنه ما فيه تصريح بالسماع إنما هو يحذفه بمعنى العنعنة، ولا يلزم السماع، ما يلزم السماع، لكن ذكر الرواية على ما هي عليه أولى، لكن في صحة ما قاله الحافظ نظر محل نظر هذا كون مالك يتعمد هذا الشيء فيه نظر هذا، أقول: فيه نظر هذا.

**مداخلة:** كان يرسل عفا الله عنك.

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** أقول: في الموطأ ما؟

**الشيخ:** المراسيل هذا موجودة في المراسيل، المراسيل والمقطوعات كثيرة، لكن كونه يتعمدها في نظر، قد يكون هذا من نفس شيخه ما هو منه.

**الحكم على حديث: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه.**

**مداخلة:** يا شيخ سلمك الله! تحسين الترمذي لحديث عمر للمتابعات ولا لأصل السند اللي عن طريقه؟

**الشيخ:** لعله للمتابعة، نعم.

**مداخلة:** الحديث صحيح يا شيخ؟

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** حديث عمر صحيح؟

**الشيخ:** معناه صحيح، ولكن فيه أحاديث غيره وهو منقطع؛ لأن مسلم لم يسمع من عمر. لكن الأحاديث كثيرة وكثيرة منها الذي في الصحيحين: «**إنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له، يقول له الرب** ﷻ: **لو كان لك مثل الأرض تفتدي به من عذاب الله؟ قال: نعم. قال: لقد أردت منك ما هو أقل من ذلك وأنت في ظهر أبيك: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك**» الحديث في الصحيحين، نعم. هذا يدل على إنه أخذ عليه في ظهر أبيه، الله المستعان.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

**حديث آخر**: قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا أبو نُعَيْم، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا سند جيد؛ لأن زيد، أقول: هذا هشام بن سعد عن زيد ثقة لا بأس به، من أثبت الناس به، وقد شهد هذا قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طـــــه: ١١٥]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ يَا آدَمُ اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ. ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ. قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ. قَالَ ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ. قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ. قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**». ثم قال الترمذي: هذا

حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[١]. ورواه الحاكم في مستدركه، من حديث أبي نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن، به. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٢].

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره، من حديث عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنه حدثه عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فذكر نحو ما تقدم، إلى أن قال: «**ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم، هؤلاء ذريتك. وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى، وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب، لم فعلت هذا بذريتي؟ قال: كي تشكر نعمتي. وقال آدم: يا رب، من هؤلاء الذين أراهم أظْهَرَ الناس نورًا؟ قال: هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك**». ثم ذكر قصة داود، كنحو ما تقدم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

يعني من رُزِق السلامة شكر نعمة الله عليه أنه سلم، ومن ابتلي فعليه الصبر، والحديث ضعيف؛ لأن روايته ضعيفة؛ لأن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ليس بشيء في الرواية.

ولكن المعنى صحيح إن ربك حكيم عليم، خلق عباده متفاوتين فيهم الأسود والأبيض، وتام الخلقة وناقص الخلقة، والأعمى، والأكمه، والأبرص، وغير ذلك الذي يحمد ويشكر ويعرف العبد أن الله سبحانه أختار له هذا الخير ورزقه هذه النعمة فليشكر ربه، وليصبر المبتلى ويعلم أن ربه جل وعلا حكيم عليم، وأنه متى صبر فله الأجر العظيم،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٦).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف برقم (٣٢٩٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والخير الكثير، كما قال ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إذا أصابته سرَّاء وشكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء وصبر فكان خيرًا له وليس ذلك إلا للمؤمن**» رواه مسلم في الصحيح. عن صهيب رضي الله عنه. لكن السند الذي برواية عبد الرحمٰن بن زيد ضعيف.

**الأسئلة:**

• **س: حديث من رأى مبتلًى فقال: الحمد لله الذي عافاني بما ابتلى به غيري....؟**

○ **الجواب**: ما أعرف حاله. أقول: ما أعرف حاله. نعم.

• **س: سلَّمك الله يا شيخ! كل الأمم عُرضت على آدم؟**

○ **الجواب**: الله أعلم، السند هذا ضعيف، قد يكون مثلما عرضت الأمم على محمد ﷺ، نعم. لكن هذا يحتاج إلى حديث صحيح، نعم.

**الحكم على حديث: (فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها):**

**مداخلة**: الذي قبله أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: قلتم قبله؟

**الشيخ**: ماذا؟

**مداخلة**: الذي قبله فيه: (فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها) صحَّحتموه؟

**الشيخ**: عليه حاشية؟ يأتي من رواية زيد بن أسلم فهذا صحيح؟

**مداخلة**: إيه هو الذي..

**الشيخ**: رواية هشام بن سعد عن زيد فلا بأس به، نعم.

**مداخلة**: أحسن الله عملك! في حديث سمرة في الصحيحين في الإسراء أن رسول الله نظر إلى رجل عن يمينه إذا نظر عن يمينه.

**الشيخ**: أسودة بلى الأسودة ثابتة في الأسراء، عن يميني أسودة وعن يساري أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر على يساره بكى، فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: الأسودة الذي على يمينه نسم بنيه المؤمنين، والأخرى نسم بنيه الكافرين.

● **س: أحسن الله عملك! في سورة الكهف في قصة الخضر أنه وجد غلام فقتله، ما يشهد أنه ممكن الصغار يكونوا كفار في النار؟**

○ **الجواب**: هذا شيء خاص، هو طُبع يوم طُبع على الكفر فهذا شيء خاص، وإلا أولاد المسلمين في الجنة بإجماع المسلمين، وأولاد الكفار على الصحيح في الجنة أيضًا؛ لأنهم لم يكلفوا.

● **س: أحسن الله إليك! الحجة هل تقوم بالميثاق الأول؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقوى الحجة من قال..؟

○ **الجواب**: لا. الحجة تقوم بالأخير، إذا ولد وما بلغ التكليف.

● **س: حديث أنس الذي مر معنا، (قد أبيت إلا الشرك).**

○ **الجواب**: يعني: ما دام ما كلف وجد إلا الشرك يعني في الدنيا.

● **س: هل صحَّحت حديث: يؤتى بالمعتوه والصغير والمجنون يوم القيامة، فيقول: يا ربي! من تأتي له الحجة، فيصير ظاهره جنة ونار.**

**الشيخ**: نعم..

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**حديث آخر**: قال عبد الرحمٰن بن قتادة النَّصْري عن أبيه، عن

هشام بن حكيم رضي الله عنه، أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتبدأ الأعمال، أم قد قُضِي القضاء؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه**»، ثم قال: «**هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة مُيَسَّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار مُيَسَّرون لعمل أهل النار**». رواه ابن جرير، وابن مردويه من طرق عنه.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وفي هذا الباب حديث عليٍّ في الصَّحيحين أن النبيَّ ﷺ لما أخبر: (**أنه ما من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة، ومقعده من النار**)، في اللفظ الآخر: (**كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار**). فقيل: يا رسول الله! ففيم العمل؟ قال: **اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**، ثم تلا قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]. فالله ﷻ قدَّر المقادير، وكتب أعمال العباد، وعرف شقيهم من سعيدهم، وكلٌّ ميسَّر لما خُلق له، وكل جنين يكتب له ذلك في بطن أمه، يُكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فمن كتب الله له السعادة يسر له أعمال السعادة، وشرح صدره لها، وعمل، ومن كان من أهل الشقاوة يسر لعمل أهل الشقاوة، قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، نسأل الله العافية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

**حديث آخر**: روى جعفر بن الزبير ـ وهو ضعيف ـ عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق، وقضى**

**القضية، أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله، فقال: يا أصحاب اليمين. فقالوا: لبيك وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحاب الشمال. قالوا: لبيك وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى ثم خلط بينهم، فقال قائل: يا رب، لم خلطت بينهم؟ قال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صلب آدم** عليه السلام» رواه ابن مردويه.

**أثر آخر**: قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية والتي بعدها، قال: فجمعهم له يومئذ جميعًا، ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحًا ثم صوَّرهم، ثم استنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، الآية. قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرَضِين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إلٰه غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، وإني سأرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: نشهد أنك ربنا وإلٰهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إلٰه لنا غيرك. فأقرُّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك. فقال: يا رب، لو سَويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أُشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرُج عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية [الروم: ٣٠]، ومن ذلك قال: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦]، ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مَرْدُويه في تفاسيرهم، من رواية ابن جعفر الرازي، به. وروي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد من علماء السلف، سياقات توافق هذه الأحاديث، اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها، وبالله المستعان.

فهذه الأحاديث دالة على أن الله ﷻ، استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقد بيَّنا أنهما موقوفان لا مرفوعان، كما تقدم. ومن ثَمَّ قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمَار المُجَاشعي، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سَرِيع. وقد فسر الحسن البصري الآية بذلك، قالوا: ولهذا قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: «من آدم»، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «من ظهره» ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ أي: جعل نسلهم جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثم قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؛ أي: أوجدهم شاهدين بذلك، قائلين له حالًا وقالًا. والشهادة تارة تكون بالقول، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية، وتارة تكون حالًا كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]؛ أي: حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]، كما أن السؤال تارة يكون بالقال، وتارة يكون بالحال، كما في قوله:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا، أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره، ليكون حجة عليه. فإن قيل: إخبار الرسول به كاف في وجوده، فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره. وهذا جعل حجة مستقلة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فُطِروا عليها من الإقرار بالتوحيد؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَقُولُوا﴾؛ أي: لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾؛ أي: عن التوحيد ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الآية.

*

**□ تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ **[الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧]**(١).

قال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنصور، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ﴾ الآية،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ١٦ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

قال: هو رجل من بني إسرائيل، يقال له: بَلْعم بن أبَرَ. وكذا رواه شعبة وغير واحد، عن منصور، به.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما هو صيفي بن الراهب.

قال قتادة: وقال كعب: كان رجلًا من أهل البلقاء، وكان يعلم الاسم الأكبر، وكان مقيمًا ببيت المقدس مع الجبارين.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رجل من أهل اليمن، يقال له: بَلْعَم، آتاه الله آياته فتركها.

وقال مالك بن دينار: كان من علماء بني إسرائيل، وكان مجاب الدعوة، يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى إلى ملك مَدْين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام.

وقال سفيان بن عيينة، عن حُصَين، عن عمران بن الحارث، عن ابن عباس رضي الله عنهما هو بلعم بن باعر. وكذا قال مجاهد وعكرمة.

وقال ابن جرير: حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا إسرائيل، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو بلعام ـ وقالت ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت.

وقال شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قال: هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت.

**قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:**

المقصود أن قصة هذا الرجل فيها دلالة على وجوب الحذر، على أهل العلم أن ينسلخوا مما أعطاهم الله، وأن يؤثروا الدنيا على الآخرة، كما فعل هذا موسى عليه السلام، نسأل الله العافية، هذه من الله جل وعلا تحذير لأهل العلم، وبيان لعظم الخطر، وأن الواجب على من رزقه الله العلم

أن يعمل به، وأن يتق الله فيه، وأن يحذر أن يخالفه لأي هوى، ولأي غرض من الأغراض؛ بل يجب أن يكون هذا العلم دليل له إلى الآخرة، وسائقًا له إلى الآخرة، يعمل بطاعة الله، ويحذر معصية الله، ويقف عند حدود الله، ولا يقدم هواه وحظه العاجل على ما أعطاه الله من العلم، نسأل الله السلامة والعافية.

• **س: صحة الخبر هو رجل أعطي ثلاث دعوات؟**

**الشيخ**: الله أعلم.

• **س: حديث أنس في الصحيحين: (قد أردت منك ما هو أهون من ذلك) هل هو الميثاق في الآية أحسن الله إليك؟!**

○ **الجواب**: هو الأقرب، نعم، هو الظاهر.

**مداخلة**: والذي يقول: إنه قال..

**الشيخ**: هو أصح ما ورد في هذا.

**مداخلة**: من يقول يا شيخ أحسن الله إليك: إنه قال: من ظهورهم ولم يقل: من ظهره؟

**الشيخ**: هذا غير هذا، الذي في الآية غير ما في الحديث.

**مداخلة**: غير الذي في الحديث أحسن الله إليك؟!

**الشيخ**: نعم.

**الشيخ**: صلحه أبو سعد، المقصود سعد ضعيف أيضًا، ضعيف عن ابن عباس، ولو صح فهو مما تلقاه من بني إسرائيل، نعم، نسأل الله العافية، ثلاث دعوات ذهبت في امرأة، نسأل الله العافية، نعم.

**مداخلة**: تفسير الإشهاد بالفطرة أحسن الله إليك؟!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: تفسير الإشهاد في الآية بالفطرة؟

**الشيخ**: الله أعلم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! الآية أن الفطرة على التوحيد ما تكون حجة على أن المشركين ما يعذرون بجهلهم؟

**الشيخ**: الحكم على التكليف بعدما يكلفون، وبعدما تأتيهم الرسالة.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي من غير وجه، عنه وهو صحيح إليه، وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه، فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته، وظهرت لكل من له بصيرة، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم، ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة، قبَّحه الله تعالى. وقد جاء في بعض الأحاديث: «**أنه ممن آمن لسانه، ولم يؤمن قلبه**»؛ فإن له أشعارًا ربانية وحكمًا وفصاحة، ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن أبي سعيد الأعور، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها واحدة. قال:

فلك واحدة، فما الذي تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل. فدعا الله، فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه، وأرادت شيئًا آخر، فدعا الله أن يجعلها كلبة، فصارت كلبة، فذهبت دعوتان. فجاء بنوها فقالوا: ليس بنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبة يعيرنا الناس بها، فادع الله أن

يردها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت الدعوات الثلاث، وسمِّيت البسوس. غريب.

وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة، فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو رجل من مدينة الجبارين، يقال له: بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وغيره من علماء السلف: كان رجلًا مجاب الدعوة، ولا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه.

وأغرب؛ بل أبعد؛ بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها. حكاه ابن جرير، عن بعضهم، ولا يصح. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لما نزل موسى بهم ـ يعني بالجبارين ومن معه، أتاه يعني بلعام أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه، ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله ما كان عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

وقال السدي: إن الله لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ [المائدة: ٢٦] بعث يوشع بن نون نبيًّا، فدعا بني إسرائيل، فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدَّقوه. وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له: «بلعم» وكان عالمًا، يعلم الاسم الأعظم المكتوم، فكفر ـ لعنه الله ـ وأتى الجبارين وقال لهم: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم ادعوا عليهم دعوة فيهلكون! وكان عندهم فيما شاء من الدنيا،

غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء، يعظمهن فكان ينكح أتانًا له، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾.

وقوله: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: استحوذ عليه وغلبه على أمره، فمهما أمره امتثل وأطاعه؛ ولهذا قال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾؛ أي: من الهالكين الحائرين البائرين.

وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا محمد بن بكر، عن الصلت بن بَهْرام، حدثنا الحسن، حدثنا جُنْدُب البجلي في هذا المسجد؛ أن حذيفة يعني بن اليمان رضي الله عنه حدثه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أتخوف عليكم رجُل قرأ القرآن، حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رِدْء الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك**». قال: قلت: يا نبي الله، أيهما أولى بالشرك: المرمي أو الرامي؟ قال: «بل الرامي»[(١)].

هذا إسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين، ولم يُرمَ بشيء سوى الإرجاء، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وغيرهما.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾؛ أي: لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: مال إلى زينة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرّته كما غرَّت غيره من غير أولي البصائر والنهى.

وقال أبو الزاهرية في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾

---

(١) أخرجه البزار (٧/٢٢٠ برقم ٢٧٩٣) قال الهيثمي: إسناده حسن، وابن حبان (١/٢٨١ برقم ٨١).

قال: تراءى له الشيطان على غَلْوة من قنطرة بانياس، فسجدت الحمارة لله، وسجد بلعام للشيطان. وكذا قال عبد الرحمٰن بن جُبَيْر بن نُفَير، وغير واحد.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: وكان من قصة هذا الرجل: ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه: أنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ فحدَّث عن سيار أنه كان رجلًا يقال له بلعام، وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة، قال: وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ـ أو قال: الشام ـ قال فرُعب الناس منه رعبًا شديدًا، قال: فأتوا بلعام، فقالوا: ادع الله على هذا الرجل وجيشه! قال: حتى أوَامر ربي ـ أو: حتى أؤامر ـ قال: فوامر في الدعاء عليهم، فقيل له: لا تدع عليهم، فإنهم عبادي، وفيهم نبيهم. قال: فقال لقومه: إني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم، وإني قد نُهيت. فأهدوا له هدية فقبلها، ثم راجعوه فقالوا: ادع عليهم. فقال: حتى أوامر. فوامر، فلم يَحُر إليه شيء. فقال: قد وامرت فلم يَحُر إلى شيء! فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى. قال: فأخذ يدعو عليهم، فإذا دعا عليهم، جرى على لسانه الدعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه ـ أو نحوًا من ذا إن شاء الله. قال ما نراك تدعو إلا علينا. قال: ما يجري على لساني إلا هكذا، ولو دعوت عليه أيضًا ما استجيب لي، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم. إن الله يبغض الزنا، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا، ورجوت أن يهلكهم الله، فأخرجوا النساء يَسْتقبلنهم؛ فإنهم قوم مسافرون، فعسى أن يزنوا فيهلكوا. قال: ففعلوا. قال: فأخرجوا النساء يستقبلنهم. قال: وكان للملك ابنة، فذكر من عظمها ما الله أعلم به! قال: فقال أبوها ـ أو بلعام ـ: لا تمكني نفسك إلا من موسى! قال: ووقعوا في الزنا.

قال: وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل، قال: فأرادها على نفسه، فقالت: ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى. قال: فقال: إن منزلتي كذا وكذا، وإن من حالي كذا وكذا. قال: فأرسلت إلى أبيها تستأمره، قال: فقال لها: فأمكنيه، قال: ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما. قال: وأيده الله بقوة. فانتظمهما جميعًا، ورفعهما على رمحه فرآهما الناس ـ أو كما حدَّث ـ قال: وسلط الله عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا.

قال أبو المعتمر: فحدثني سَيَّار: أن بلعامًا ركب حمارة له حتى، أتى العلولي أو قال: طريقًا من العلولي جعل يضربها ولا تُقْدم، وقامت عليه فقالت: علام تضربني؟ أما ترى هذا الذي بين يديك؟ فإذا الشيطان بين يديه، قال: فنزل وسجد له، قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ قال: فحدثني بهذا سيار، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره.

قلت: هو بلعام ـ ويقال: بلعم ـ بن باعوراء، ابن أبر. ويقال: ابن باعور بن شهوم بن قوشتم ابن ماب بن لوط بن هاران ـ ويقال: ابن حران ـ بن آزر. وكان يسكن قرية من قرى البلقاء.

قال ابن عساكر: وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم، فانسلخ من دينه، له ذكر في القرآن. ثم أورد من قصته نحوًا مما ذكرنا هاهنا، وأورده عن وهب وغيره، والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن سالم أبي النضر؛ أنه حدث: أن موسى عليه السلام، لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام، أتى قوم بلعام إليه فقالوا له: هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وإنا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله عليهم. قال: ويلكم!

نبي الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم؟! قالوا له: ما لنا من منزل! فلم يزالوا به يرققونه ويتضرعون إليه، حتى فتنوه فافتتن، فركب حمارة له متوجهًا إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، وهو جبل حُسْبان، فلما سار عليها غير كثير، ربضت به، فنزل عنها فضربها، حتى إذا أذلقها قامت فركبها. فلم تسر به كثيرًا حتى ربضت به، فضربها حتى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم: أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ فلم ينزع عنها يضربها، فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك. فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان، على عسكر موسى وبني إسرائيل، جعل يدعو عليهم، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا! قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه! قال: واندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال، جَمِّلوا النساء وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كُفِيتموهم، ففعلوا. فلما دخل النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها «كسبي ابنة صور، رأس أمته» برجل من عظماء بني إسرائيل، وهو «زمرى بن شلوم»، رأس سبط بني سمعان بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فقام إليها، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك ستقول هذا حرام عليك؟ قال: أجل، هي حرام عليك، لا تقربها. قال: فوالله لا نطيعك في هذا. ثم دخل بها قبته فوقع عليها. وأرسل الله عز وجل، الطاعون في بني

إسرائيل، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون، صاحب أمر موسى، وكان غائبًا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل القبة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لَحْيَيْه ـ وكان بكر العيزار ـ وجعل يقول: اللَّهُمَّ هكذا نفعل بمن يعصيك. ورفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفًا ـ والمقلل لهم يقول: عشرون ألفًا ـ في ساعة من النهار. فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللَّحَى ـ لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحييه ـ والبكر من كل أموالهم وأنفسهم؛ لأنه كان بكر أبيه العيزار. ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾. اختلف المفسرون في معناه فأما على سياق ابن إسحاق، عن سالم بن أبي النضر: أن بلعامًا اندلع لسانه على صدره ـ فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك. وقيل: معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء، كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه؛ كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠] ونحو ذلك.

وقيل: معناه: أن قلب الكافر والمنافق والضال، ضعيف فارغ من

الهدى، فهو كثير الوجيب فعبَّر عن هذا بهذا، نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ يقول تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ﴾؛ أي: لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام، وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه ـ في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب ـ في غير طاعة ربه؛ بل دعا به على حزب الرحمٰن، وشعب الإيمان، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان، كليم الله موسى بن عمران عليه السلام؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾؛ أي: فيحذروا أن يكونوا مثله؛ فإن الله قد أعطاهم علمًا، وميزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته، كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به؛ ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد، أحل الله به ذلًّا في الدنيا موصولًا بذل الآخرة.

وقوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ يقول تعالى ساء مثلًا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا؛ أي: ساء مثلهم أن شبِّهوا بالكلاب لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حَيِّز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه، واتبع هواه، صار شبيهًا بالكلب، وبئس المثل مثله؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه**».

وقوله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾؛ أي: ما ظلمهم الله، ولكن هم ظلموا أنفسهم، بإعراضهم عن اتباع الهدى، وطاعة المولى، إلى الركون إلى دار البلى، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨](١).

يقول تعالى: من هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا جاء في حديث ابن مسعود: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد، وأهل السنن، وغيرهم(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا شك أن الهداية بيد الله ﷻ، وهي هداية التوفيق وقذف النور في القلب حتى يقبل الحق، هذه الهداية بيده سبحانه، ليست في أيدي الرسل ولا غيرهم، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وهي مذكورة في قوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، يعني: الهداية معناها التوفيق لقبول الحق وإيثاره والرضا به، هذه بيد الله لا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأحد ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس برقم (١٠٩٧)، والترمذي في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح برقم (١١٠٥) وحسنه والنسائي في النكاح، باب ما يستحب الكلام عند النكاح (٦/ ٨٩)، وابن ماجه في النكاح، باب خطبة النكاح برقم (١٨٩٢)، والإمام أحمد (٦/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

يملكها أحد، وقد حاول النبي ﷺ مع عمه أبي طالب أن يهتدي فلم يقبل، وقال له عند موته: «**يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال جلساء السوء: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال عند موته: هو على ملة عبد المطلب**»، يعني: أنا على. . ، فقال النبي ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك**»[1]، فأنزل الله في ذلك سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. فالكافر لا يُستغفر له، وهذه الهداية التي أرادها النبي ﷺ من عمه أبي طالب بيد الله لم تكتب لأبي طالب ولا لأبي لهب ولا لجمع كثير من رؤساء قريش كعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، و أبي جهل، وآخرين قتلوا يوم بدر، أصروا على الضلالة.

أما هداية البلاغ والبيان فهذه بيد الله وبيد رسله وأوليائه والدعاة إليه، جعلها في أيديهم، أو منحهم إياهم فضلًا منه، ومعناها: البيان والبلاغ والإيضاح والدعوة، وهي المذكورة في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: تدل وترشد وتدعو، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، يعني: بلَّغناهم ودللناهم وأرشدناهم وأوضحنا لهم الأمر، لكن أبوا واستمروا على الطغيان. وهكذا جميع المدعوين كلهم هدوا، وبيِّن لهم من طريق الرسل، ولكن من سبقت له الشقاوة لم يقبل، استمر على طغيانه، ولم يقبل من الرسل دعوتهم وهدايتهم.

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله برقم (١٣٦٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة ونسخ جواز الاستغفار للمشركين والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل برقم (٢٤).

لكن على المؤمن الدعوة وعليه الصبر، عليه الدعوة والهداية التي هي البلاغ والبيان وعليه الصبر في ذلك، وله الأجر العظيم، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]، ﷻ. ويقول في هذا الباب ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(١)، ويقول ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(٢).

وبهذا يعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم مثل أتباعهم، لهم من الأجور مثل أتباعهم، ولنبينا ﷺ من الأجر مثل أتباعه، وهذا خير عظيم وفضل كبير، وهكذا كل داعية يدعو إلى الله له مثل أتباعه ولو بلغوا الملايين له مثلهم، له مثل أجورهم، إذا كانت هدايتهم بأسباب دعوته. وبهذا يعلم فضل الدعوة إلى الله وما فيها من الخير العظيم، وأنه جدير بكل مؤمن أن يحرص عليها مع أهله وجيرانه وجلسائه ومع غيرهم، يرجو أن ينفع الله به، ويرجو هذا الخير العظيم أيضًا أنه يحصل له من الأجر مثل أجورهم إذا قبلوا واهتدوا.

● **س: رواية: حديث ونستهديه صحيحة؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقول: في خطبة الحاجة لفظة: (ونستهديه)؟

○ **الجواب**: نستهديه فيها لكن جمع بينهما، إن الحمد لله، نحمده

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري ؓ في كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ في كتاب العلم، باب من سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل، جاء في الرواية: (ونستهديه)؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: ما أتذكر، أقول: ما أتذكر شيئًا (ونستهديه) في الرواية، الروايات المحفوظة عندي ما أتذكر في البلوغ، لكن تراجع طرقه.

● **س: خطبة الحاجة خاصة بالخطب أو عام لجميع المواعظ؟!**

○ **الجواب**: ما في ما يمنع عامة؛ أنها خطبه ﷺ، يخطب بها الإنسان في الجمعة وغير الجمعة وفي أي موعظة؛ لكن ما هو بخاص بها، وبغيرها تارة كذا وتارة كذا، مثلما كان النبي يفعل عليه الصلاة والسلام. فالمقصود: أن السُّنَّة أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه ﷺ ثم يتكلم.

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾؛ أي: خلقنا وجعلنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾؛ أي: هيأناهم لها، وبعمل أهلها يعملون، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلائق، علم ما هم عاملون قبل كونهم، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ورد في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ**

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأحد ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

**سَنَةٍ ـ قَالَ ـ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[١]. وفي صحيح مسلم أيضًا، من حديث عائشة بنت طلحة، عن خالتها عائشة أم المؤمنين ﵂، أنها قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ: «**أَوَغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**»[٢]. وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﵁: «**ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**»[٣].

وتقدم أن الله تعالى لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، قال: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي».

والأحاديث في هذا كثيرة، ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾، يعني: ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببًا للهداية كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقال تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى برقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم (٢٦٦٢).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣).

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] هذا في حق المنافقين، وقال في حق الكافرين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ولم يكونوا صمًّا بكمًا عميًا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾؛ أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعنى متقارب، لا تعقل إلا حاجتها البهيمية، يقيتها أو يعيشها كله متقارب؟

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧١]؛ أي: ومثلهم - في حال دعائهم إلى الإيمان - كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول؛ ولهذا قال في هؤلاء: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾؛ أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبسَّ بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن الضالين المجرمين أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تهتدي لبعض الشيء حتى ولو كان راعيها ما هو بحاضر، تهتدي تذهب للمرعى وترعى، وتذهب إلى الماء إذا عرفت محل الماء وتشرب، وإذا

زجرها انزجرت، وإذا أناخها أناخت، وهكذا، تعقل أشياء تناسبها، لكن الضلّال الكفار لا يقبلون، يعاندون بل يقاتلون من دعاهم إلى الحق يقاتلونه ويأبون، إلا من سبقت له من الله السعادة قبل، وإلا فهؤلاء أردى من الأنعام. قال ﷺ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فهؤلاء أضل من الأنعام وأردى؛ لأن الأنعام تقبل التوجيه والتعليم وتنقاد لمصالحها إذا قيدت، أما هؤلاء لا يقبلون الإسلام، من سبقت له الشقاوة لا يقبل، نسأل الله العافية.

**القاري**: ولأنها تفعل ما خلقت به، إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر.

**الشيخ**: ولأنها.

**الملقي**: [ولأنها تفعل ما خلقت له، إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر].

**الأسئلة**:

• **س**: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، **والأرض لم تخلق بعد والماء جزء من الأرض؟**

○ **الجواب**: هذا ماء في السماء جزاك الله خير، ما هو في الأرض، هذا ماء في السماء فوق السماء تحت العرش، ماء آخر غير ماء الأرض، ماء فوق.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر

به من البشر، كانت الدواب أتم منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

## ☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠][(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وهو وتر يحب الوتر**»[(٢)].

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه رواه البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد به[(٣)].

وأخرجه الترمذي، عن الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب فذكر بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «**يحب الوتر**»: هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحَكَم،

---

(١) تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في يوم ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب إن لله مائة اسم إلا واحدًا برقم (٧٣٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى برقم (٢٦٧٧).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنيا في الإقرار... برقم (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها برقم (٢٦٧٧).

العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفوّ، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور. ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق صفوان، به، وقد رواه ابن ماجه في سننه، من طريق آخر عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان.

والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك؛ أي: أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه،

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أصاب أحدًا قط هَمٌّ ولا حزن فقال: اللَّهُمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أعلمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**». فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**»(١). وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله(٢)، وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه: «الأحوذي في شرح الترمذي»؛ أن بعضهم جمع من الكتاب والسُّنَّة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا الذي رواه الترمذي وجماعة مُدرج عند أهل التحقيق، ليس بثابت عن النبي ﷺ كما قال الحافظ وغيره مدرج، لكن يمكن إحصاء ما تيسر منها من نص القرآن الكريم، ومن الأحاديث الصحيحة، والمعنى: أن له تسعة وتسعين اسمًا، وأسماؤه كثيرة لكن منها هذا العدد: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٣). فإذا أحصى الإنسان الأسماء الحسنى من القرآن العظيم ومن السُّنَّة يرجى أن يحصل له هذا الخير مع تدبرها وتعقلها والعمل بمعناها، ولكن الجزم بأنه أحصاها هو محل نظر، ليس هناك جزم، قد يفوته شيء منها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٤٦).

(٢) موارد الظمآن بزوائد ابن حبان برقم (٢٣٧٢).

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٦٤).

**الأسئلة:**

● **س: كلمة: (تسعًا) صحيحة؟**

**الشيخ:** نعم؟

**مداخلة:** الذي في المطبوعة في بعض النسخ: **(إن لله تسعًا)**؟

**الشيخ:** تسعة، نعم.

**مداخلة:** تسعة واضح، لكن تسعًا صحيحة؟

○ **الجواب:** ما أعرف لها أصل، متى نكرت ذكر العدد تسعة وتسعين. ومتى أنثت أنث العدد.

**مداخلة:** خطأ مطبعي؟

**الشيخ:** نعم.

● **س: المحسن من أسماء الله الحسنى؟**

○ **الجواب:** ورد فيها بعض الأحاديث المحسن.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الناصر والعاطي من أسماء الله؟**

**الشيخ:** نعم.

**مداخلة:** عبد الناصر وعبد العاطي؟

○ **الجواب:** الناصر ليس من الأسماء الحسنى، ما ورد في الأسماء الحسنى.

**مداخلة:** والعاطي؟

**الشيخ:** والعاطي من باب أولى.

**مداخلة:** العاطي؟

**الشيخ:** العاطي كذلك.

**الشيخ:** لا، المعطي، إنما أنا قاسم والله هو المعطي في الحديث.

• **س: أحسن الله إليكم! التسمي بعبد الناصر؟**

○ **الجواب**: ما يجوز التسمي بعبد الناصر؛ لأنه ليس من أسماء الله.

**مداخلة**: وعبد المحسن؟

**الشيخ**: والمحسن ورد فيه الحديث، عبد المحسن لا بأس.

• **س: الصبور؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: الصبور من أنكر هذا الاسم؟

○ **الجواب**: الظاهر أنه ورد في بعض الروايات الصبور.

**مداخلة**: . . . أخطأت في الفعل المنسوب؟

**الشيخ**: نعم. المهم وجود الأدلة. . . متى وجد النص فلا بأس، متى وجد دخل في الأسماء، لكن كونه مراده في التسعة والتسعين قد يكون مراده به وقد يكون المراد غيره. قال: تسعين منكرة، هذه منكرة، قد يحفظها إنسان من القرآن العظيم والسُّنَّة ويكون المراد غيرها. والمراد من هذا الحث على تدبر الأسماء، والرسول ﷺ أراد من هذا حث الناس على تدبر الأسماء والاستفادة منها، وتأمل معانيها، والاستفادة من ذلك، والعمل بمقتضى ذلك، يتدبر أسماء الله؛ حتى يستفيد، الرحمٰن، الرحيم، العزيز، الغفور، السميع، البصير، تدبرها يوجب له الخشوع لله، والانكسار بين يديه، وسؤاله بها ﷻ، إلى غير هذا من الفوائد التي تحصل له من تدبرها وتعقلها، يعني: أسماء الله ﷻ. أما الجزم بأنها هي المحفوظة عنده لا، قد يفوته بعضها، قد يحفظ شيئًا ليس مرادًا منها، ليس هو منها، وهذا يدعو إلى العناية لعله يوافقها، العناية لعله يحصل له هذا.

• **س: عفا الله عنك! هذه الزيادة المدرجة ما أخذت من الكتاب والسُّنَّة؟**

○ **الجواب**: هذه أخذها بعضهم مما يظنه من السُّنَّة، ولكن في أخذه لها نظر؛ لأنه قد يكون الحديث ضعيف لا يعول عليه.

● **س: أحسن الله إليك! قول بعضهم: يا فرد يا صمد، ذكر الفرد من أسمائه؟**

○ **الجواب**: ما أعرف أنه ورد شيء في الرواية، أما الصمد نص القرآن، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]، أما الفرد ما أتذكر فيه في الأحاديث الصحيحة، والمعنى صحيح هو فرد ﷻ، لكن كونه ورد في حديث صحيح ما أتذكر شيء.

● **س: والدعاء به؟**

○ **الجواب**: ما فيه مانع.

● **س: معنى يحفظ الأسماء؟**

○ **الجواب**: في رواية: (من أحصاها)، وفي رواية: (من حفظها)، يعني: حفظها عن ظهر قلب واعتنى بمعناها والاستفادة من معناها.

● **س: قول الرسول ﷺ لعائشة أو غير ذلك عن الصبي الأنصاري وهو مات على الكتاب الأول؟**

○ **الجواب**: هذا عند العلماء يعني: الشهادة للمعيَّن، وإلا فقد أجمع المسلمون على أن أولاد المسلمين في الجنة، أولادهم في الجنة، أولاد المسلمين تبع أهليهم في الجنة، لكن الشهادة للمعيَّن لا يشهد للمعيَّن إلا بالنص.

● **س: ما جاء عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشهادة لمعيَّنين كأحمد والأئمة...؟**

○ **الجواب**: هذا قول آخر وهو الشهادة لمن شهد له المسلمون، «**أنتم شهداؤه في الأرض**»، كما في حديث: لما مر بجنازة فأثنوا عليها خيرًا قال: «**وجبت لها الجنة**»، وأثنوا على أخرى شرًّا قال: «**وجبت لها**

**النار»**، فلما قيل قال: «**أنتم شهداء الله في الأرض، فهذا أثنيتم خيرًا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم له شرًّا فوجبت لها النار**». فهذا جمع من أهل العلم يقولون: إنها تثبت الخيرية والشرية بشهادة الأخيار، بشهادة الأخيار أن هذا من الأخيار أو هذا من الأشرار. أما المعروف عند أهل السُّنَّة في العقائد: لا يشهد لأحد بالجنة والنار إلا بالنص، إما من القرآن كأبي لهب أو من السُّنَّة الصحيحة الثابتة الدالة على أن هذا من أهل النار.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الرشيد والمنتقم المذكور في هذه الرواية من أسماء الله؟**

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: الرشيد والمنتقم المذكور في هذه الرواية؟

○ **الجواب**: لا. المنتقم ما أعلم فيه حديث صحيح، والرشيد محل نظر، يلتمس.

• **س: اشتقاق بعض أئمة السُّنَّة من الصفة الأسماء هل هو؟**

○ **الجواب**: لا ما يصلح، ما يشتق من الصفة الأسماء، ولكن يشتق من الاسم صفة، من الأسماء يشتق منها صفات، مثل الرحمٰن يدل على الرحمة، العزيز يدل على العزة، السميع يدل على السمع، وأما إنه يشتق من يرضى ويغضب إنه يقال: الغضبان والراضي لا، ما يؤخذ من الصفات أسماء، إنما يؤخذ من الأسماء الصفات، وأما الصفات فلا يؤخذ منها أسماء الله جَلَّ وَعَلَا.

• **س: متكبر! يعني نفس المعنى؟**

○ **الجواب**: هذا جاء بالنص.

**مداخلة**: أليس بمعنى؟

**الشيخ**: المتنزه المتقدس عن عبادة غيره.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث ابن مسعود هذا فيه بعض النظر؛ لأن القاسم بن عبد الرحمٰن عن أبيه عبد الرحمٰن

قيل: إنه لم يسمع من أبيه، فيحتاج إلى جمع أسانيده، حديث ابن مسعود. فلعل أحد الإخوان يعتني بهذا. من يعتني؟

**مداخلة**: أنا أحسن الله إليك!

**الشيخ**: من؟ عبد الله؟

**مداخلة**: تخريجه هذا.

**الشيخ**: أنت؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: أبو عبد الله حاضر؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: نعم، وأنت كذلك، حديث ابن مسعود.

**مداخلة**: إن شاء الله.

**الشيخ**: جزاك الله خير. نعم، وهذا الشاهد الذي ذكره المؤلف فيه عبد الرحمٰن عن أبيه وعبد الرحمٰن المعروف عند أهل العلم أنه لم يسمع من أبيه، صغير مات أبوه وهو صغير.

**مداخلة**: فيه تعليق عليه.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: فيه تعليق على الحديث.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: يقول: الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند والحاكم وابن حبان كلهم من طريق أبي سلمة الجهني، قال الذهبي في الميزان: لا يعرف، قلت: لكن أبا سلمة هذا وإن لم يكن معروفًا عند الذهبي فهو معروف عند غيره، وقد نقل الألباني في السلسلة في تفسير هذا الحديث عن الشيخ أحمد شاكر احتمال أن يكون هو موسى بن عبد الله أو ابن عبد عن القاسم بن عبد الرحمٰن حديثًا آخر، ابن عبد الجهني يكنى أبا سلمة، فإنه من هذه الطبقة، وجزم الألباني بأنه هو، واستدل على ذلك بأن موسى هذا روى عن القاسم بن عبد الرحمٰن حديثًا آخر ذكره الألباني قبل الكلام على هذا الحديث، والذي يبدو أن الذهبي لم يعرفه بسبب ذكره بكنيته، كما يقع ذلك كثيرًا، وأظنه فرَّق بينهما، والله أعلم. وأما القاسم عن أبيه فقد أثبت سماعه منه جماعة من العلماء، ومن أثبته مقدم على من نفى، راجع السلسلة الصحيحة.

**الشيخ**: من هذا له؟

**مداخلة**: هذه مراجعة الشيخ مقبل.

**الشيخ**: هذا يتأمل حديث عائشة نعم. لا بد يجمع الطرق.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ قال: اشتقوا «اللات» من الله، واشتقوا «العزى» من العزيز.

وقال قتادة: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ يشركون. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب. وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: الإلحاد هو: الميل عن الحق، ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾

يعني: يميلون عن الحق تارة بالتكذيب وتارة بالشرك وتارة باشتقاق أسماء لله لا أساس لها كتسمية اللات يعني: الله، والعزة من العزيز، فالإلحاد هو: الميل عن الحق، ومن هذا قوله ﷻ في مكة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، يعني: يميل عن الحق بشيء من المعاصي. الملحد: المائل عن الحق، والميل قد يكون كفرًا وقد يكون معصية.

**الأسئلة:**

● **س: كيف يجمع بين حديث إنكار الرسول ﷺ على عائشة وبين «أنتم شهداء الله في أرضه»؟**

○ **الجواب**: في هذا ما فيه منافاة، عائشة قالت: عصفور من عصافير الجنة شهدت له وهي ما تدري، البذر عمل ما له عمل، وذولاك شهدوا على أعماله، أعمال الخير شهدوا له بعمل الخير فصار من أهل الجنة، «**أنتم شهداء الله في الأرض**»، وهذا عصفور ما يدرى وإيش يعمل، الله يعلم لو عاش ماذا يعمل، وقد دلت السُّنَّة على أن الأطفال تبع أهليهم، ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، فالصحيح عند أهل العلم وهو إجماع أهل السُّنَّة: أن أولاد المسلمين تبعًا لأهليهم، إذا كان والداه مسلمين فهو تبع لهما، وهكذا لو كان أحدهما فهو تابع له، لكن أنكر النبي ﷺ الشهادة على التعيين، وأما في الجملة فقد أجمع المسلمون على أن أولاد المسلمين تبع أهليهم.

● **س: حكم أولاد الكفار يوم القيامة؟**

○ **الجواب**: أولاد الكفار في أحكام الدنيا تبع أهليهم، أما في أحكام الآخرة.

**فالصواب**: أنهم من أهل الجنة؛ لأنهم ولدوا على الفطرة.

**مداخلة**: في الآخرة كأطفال المسلمين؟

**الشيخ**: نعم؛ لأنهم ولدوا على الفطرة.

**• س: حكم المجنون إذا كان أبواه مسلمين بين مسلمين إذا يتعدى البلوغ هل يختبر أو تبع أبويه؟**

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: ابن مجنون أبواه مسلمان؟

○ **الجواب**: الأقرب والله أعلم أنه تبع أبويه ما دام جن قبل البلوغ تبع أبويه، نعم كالفَرَط.

**• س: أحسن الله إليك يا شيخ! قوله: يا حنَّان! يا منَّان!**

○ **الجواب**: منَّان ثبت في الحديث، أما حنَّان ما أعلم فيه حديث ثابت، أما منَّان ثبت إنه من أسماء الله، نعم.

**الملقي**: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ **[الأعراف: ١٨٠]**(١).

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾، منها الرحمٰن، الرحيم، السميع، البصير، القدير، القوي، الحكيم، وغيره من أسماء الله المذكورة في القرآن، وفي السُّنَّة الصحيحة يدعى بها، تقول: «يا رحمٰن، يا رحيم اغفر لي وارحمني، يا سميع يا بصير ألطف بي، يا جواد، يا كريم، يا حي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام ارحمني» إلى غير هذا، هذا معناه.

*

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٨٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ **[الأعراف: ١٨١]**[1].

يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾؛ أي: ومن الأمم ﴿أُمَّةٌ﴾ قائمة بالحق، قولًا وعملًا ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يقولونه ويدعون إليه، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ يعملون ويقضون.

وقد جاء في الآثار: أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية، هي هذه الأمة المحمدية.

قال سعيد، عن قتادة في تفسير هذه الآية: بلغنا أن نبيَّ الله ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية: «**هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها**: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أمتي قومًا على الحق، حتى ينزل عيسى ابن مريم متى ما نزل**». وفي الصحيحين، عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**»[2].

ـ وفي رواية: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» ـ وفي رواية ـ: «**وهم بالشام**».

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويدل على أن هذه الأمة هي هذه الأمة لقوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٢٤٤).

[آل عمران: ١١٠]، والمراد بالأمة جماعة ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾، «**فلا تزال طائفة على الحق منصورة، لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها، حتى يأتي أمر الله ﷻ**».

والمقصود أن هذه بشرى منه ﷺ بأن الحق لا يزول من هذه الأمة؛ بل لا يزال فيها من هو مؤمن بالله واليوم والآخر، يدعو إلى الله ويهدي إليه، حتى تقوم الساعة، يعني: حتى تأتي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، ففي الأحاديث (تقوم الساعة)، يعني: حتى يدنو قيامها، ويقرب قيامها، وذلك بوجود الريح الطيبة التي يقبض الله بها أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تقوم الساعة حتى ما يقال في الأرض: الله الله**»، وفي لفظ: «**حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله**»، فالساعة تقوم على شرار الخلق، على قوم لا يعبدون الله؛ بل يعبدون غيره، ولكن بعدما تظهر الآيات التي بيَّنها النبي ﷺ، «**حتى تطلع الشمس من مغربها**»، وعند ذلك تقع الريح بعد ذلك، بعد آخر الآيات، نعم. الله أكبر، الله أكبر.

**القاري**: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٨٢].

**الشيخ**: يعني قبل النار الذي تحشر الناس، يمكثون ما شاء الله بعد طلوع الشمس من مغربها، وبعد خروج الدابة يمكثون ما شاء الله، ثم يرسل الله الريح الطيبة.

**مداخلة**: سلمك الله! الطائفة هذه خاصة بأهل الشام يا شيخ؟

**الشيخ**: هذه الرواية: (وهم بالشام) ما يلزم منها وجود طائفة تكون على الحق في الشام، وفي النصوص الأخرى تدل على أنها لا مكان لها، لكن من أولى البقاع بها الشام في آخر الزمان، ولكن لا يلزم من ذلك أن تجمع في الشام، كلها يبقى غير الشام.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما يحمل المطلق على المقيد؟

**الشيخ**: ما هو بالظاهر؛ لأن الأمة منتشرة.

**مداخلة**: الناجية هي المنصورة يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقول: الناجية هي المنصورة، الطائفة الناجية؟

**الشيخ**: نعم، الناجية هي المنصورة.

**مداخلة**: هل لها صفات يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: صفاتهم اتباع الكتاب والسُّنَّة.

**مداخلة**: أحسن الله إليكم! قوله: «**وهم بالشام**» ثبتت مرفوعة أم قول معاذ بن...؟

**الشيخ**: جاءت من طرق تحتاج إلى تأمل، ألف فيها بعض العلماء المؤلفات، تحتاج إلى تتبع، لكن لو صحت ما يلزم منها، يدل على أنه وجود طائفة منها بالشام، حال الشام الآن حال فيها شر كثير من البدع، فيها أهل سنة وأهل خير موجودين في الشام وفي غير الشام.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! في صحيح مسلم في حديث سعد: لا يزال أهل الغرب ظاهرين تقوي حديث (وهم بالشام)، في صحيح مسلم في حديث سعد بن أبي وقاص؟

**الشيخ**: من شان تأكد أهل الغرب، العرب يعني الذي يسقون بالغرب (الدلو الكبير).

المقصود من هذا: أن هذه الطائفة تكون هنا وتكون هنا، لكن لا يلزم أن تكون في محل واحد؛ بل قد يظهر أمرها في جانب ويختفي في جانب، هذا مقتضى الأحاديث الصحيحة الكثيرة.

**مداخلة**: عفا الله عنك! «**وهم بالشام**» ليس في البخاري ومسلم عفا الله عنك؟

**الشيخ**: ما أتذكر الآن، الزيادة هذه ما أتذكر تحقيق أسانيدها.

**مداخلة**: قول المحشِّي عفا الله عنك! على ابن كثير، الشيخ مقبل قال: رواه البخاري ومسلم. الشيخ: يمكن أنه بغير زيادة «**وهم بالشام**» يمكن بغير.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما يكون في زمن عيسى هذا؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ما يكون في زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام؟

**الشيخ**: في زمن عيسى يسلم الناس كلهم.

**مداخلة**: تجمع الناس يعني حوله؟

**الشيخ**: يسلمون الناس كلهم.

*

**□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣][(١)].**

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)﴾ ومعناه: أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا، حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ أي:

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأربعاء ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

وسأملي لهم، أطول لهم ما هم فيه ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: قوي شديد.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني هذا من أسباب عقوباتهم، من عقوباتهم: الإملاء، والإنظار، حتى يغتروا ويظنوا أنهم على شيء، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾، بسبب أعمالهم الخبيثة، وإعراضهم عن الله، وارتكابهم المحارم فيستدرجون، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني من العقوبات، هذا من العقوبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٠ـ ٥٢]، نسأل الله العافية، فاستدرجوا ومكر بهم لما ضيعوا أمر الله، وارتكبوا محارمه، وخالفوا أوامره، استدرجوا ثم أخذوا، نسأل الله العافية.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ **[الأعراف: ١٨٤]**[(١)].

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مغرب الأربعاء ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

يعني محمدًا ـ صلوات الله وسلامه عليه ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾؛ أي: ليس به جنون؛ بل هو رسول الله حقًّا دعا إلى حق، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾؛ أي: ظاهر لمن كان له قلب ولب يعقل به ويعي به، كما قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، يقول إنما أطلب منكم أن تقوموا لله قيامًا خالصًا لله، ليس فيه تعصب ولا عناد، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؛ أي: مجتمعين ومتفرقين، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله: أبه جنون أم لا؟ فإنكم إذا فعلتم ذلك، بان لكم وظهر أنه رسول الله حقًّا وصدقًا.

وقال قتادة بن دعامة: ذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ كان على الصفا، فدعا قريشًا فجعل يُفَخِّذهم فَخِذًا فَخِذًا: «يا بني فلان، يا بني فلان»، فحذرهم بأس الله ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون. بات يصوت إلى الصباح ـ أو: حتى أصبح، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ **[الأعراف: ١٨٥]**(١).

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ ـ هؤلاء المكذبون بآياتنا ـ في ملك الله وسلطانه في السماوات والأرض، وفيما خلق الله من شيء فيهما،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْل من لا ينبغي أن تكون العبادة. والدين الخالص إلا له. فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾؟ يقول: فبأي تخويف وتحذير وترهيب ـ بعد تحذير محمد وترهيبه، الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه ـ يصدقون، إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله ﷻ؟!.

وقد روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى وعفان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جُدْعَان، عن أبي الصلت، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي، لما انتهينا إلى السماء السابعة، فنظرت فوقي، فإذا أنا برعد وبرق وصواعق**»، قال: «**وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني، فإذا أنا برَهج ودخان وأصوات فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يُحَرِّفون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب**»(١). علي بن زيد بن جدعان له منكرات.

**مداخلة**: صحة الحديث هذا يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٥٣).

**مداخلة**: صحة الحديث هذا يا شيخ؟

**الشيخ**: هذا من منكرات علي.

❊

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٦][1].

يقول تعالى: من كُتِب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد، ولو نظر لنفسه فيما نظر، فإنه لا يجزي عنه شيئًا، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ [المائدة: ٤١]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

❊

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧][2].

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ﴾ [الأحزاب: ٦٣] قيل: نزلت في قريش. وقيل: في نفر من اليهود. والأول أشبه؛ لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأربعاء ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأربعاء ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]

وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «منتهاها»؛ أي: متى محطها؟ وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة؟

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة، أن يرُدَّ علمها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يجلِّيها لوقتها؛ أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، أي لا يعلم ذلك أحد إلا هو تعالى؛ ولهذا قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة في قوله: قال: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون. قال معمر: قال الحسن: إذا جاءت، ثقلت على أهل السماوات والأرض، يقول: كَبُرَت عليهم.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ قال: ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة.

وقال ابن جُرَيْج: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ قال: إذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم، وكوِّرت الشمس، وسيرت الجبال، وكان ما قاله الله ﷻ فذلك ثقلها.

واختار ابن جرير ؒ: أن المراد: ثَقُلَ علم وقتها على أهل السماوات والأرض، كما قال قتادة.

وهو كما قالاه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السماوات والأرض، والله أعلم.

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ يقول:

خفيت في السماوات والأرض، فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قال يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قضى الله أنها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قال: وذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ قال: «**إن الساعة تهيج بالناس، والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه**»

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا**»(١). وقال مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ فَمَا يَصِلُ الإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ**»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها برقم (٦٥٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب قرب الساعة برقم (٢٩٥٤).

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ اختلف المفسرون في معناه، فقيل: معناه: كما قال العوفي عن ابن عباس: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأن بينك وبينهم مودة، ـ كأنك صديق لهم. قال ابن عباس: لما سأل الناس محمدًا ﷺ عن الساعة، سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدًا حفي بهم، فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده، استأثر بعلمها، فلم يطلع الله عليها ملكًا مقربًا ولا رسولًا.

وقال قتادة: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرّ إلينا متى الساعة. فقال الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، والسُّدِّي، وهذا قول. والصحيح عن مجاهد ـ من رواية ابن أبي نَجيح وغيره ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال: استَحْفَيت عنها السؤال، حتى علمت وقتها.

وكذا قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأنك عالم بها، لست تعلمها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾

وقال معمر، عن بعضهم: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك عالم بها.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك عالم بها، وقد أخفى الله علمها على خلقه، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

ولهذا القول أرجح في المعنى من الأول، والله أعلم؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

ولهذا لما جاء جبريل ﵇، في صورة أعرابي، يعلِّم الناس أمر دينهم، فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد، وسأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، ثم قال: فمتى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»؛ أي: لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد، ثم قرأ

النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية[(١)].

وفي رواية: فسأله عن أشراط الساعة، ثم قال: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**». وقرأ هذه الآية، وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب: «**صدقت**»؛ ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدقه، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

وفي رواية قال: «**وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها، إلا صورته هذه**»[(٢)].

وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد، في أول شرح صحيح البخاري، ولله الحمد والمنة ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: هاء على نحو من صوته ـ قال: يا محمد، متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: «**ويحك إن الساعة آتية، فما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**». فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[(٣)].

وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين.

ففيه أنه عليه السلام، كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام برقم (٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٣٩ و٤٤٠).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر رضي الله عنه برقم (٣٦٨٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب برقم (٢٦٣٩) (٣٦٨٨).

أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم، وهو الاستعداد لوقوع ذلك، والتهيؤ له قبل نزوله، وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

ولهذا قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ﵂، قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ، سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «**إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة**».

ثم قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس؛ أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة، وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». انفرد به مسلم[١].

وحدثنا حجاج بن الشاعر، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي عن أنس بن مالك، ﵁؛ أن رجلًا سأل النبي ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هُنَيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: «**إن عُمِّرَ هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**» ـ قال أنس: ذلك الغلام من أترابي وقال: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة ـ وكان من أقراني، فقال للنبي ﷺ: «**إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٢].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك برقم (٦١٦٧)، ومسلم في كتاب الفتن، باب قرب الساعة برقم (٢٩٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب قرب الساعة برقم (٢٩٥٢).

ورواه البخاري في كتاب «الأدب» من صحيحه، عن عمرو بن عاصم، عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن أنس؛ أن رجلًا من أهل البادية قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فذكر الحديث، وفي آخره: «**فمر غلام للمغيرة بن شعبة**»، وذكره وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بـ«**ساعتكم**» في حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال ابن جُرَيْج: أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بشهر، قال: «**تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ**» رواه مسلم[1]. وفي الصحيحين، عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا العوام، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عَفَازة عن ابن مسعود، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى**»، قال: «**فتذاكروا أمر الساعة**»، قال: «**فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال عيسى: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل، وفيما عهد إليَّ ربي عز وجل، أن الدجال خارج**»، قال: «**ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص**»، قال: «**فيهلكه الله عز وجل، إذا رآني، حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافرًا تعالى فاقتله**». قال: «**فيهلكهم الله عز وجل، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم**»، قال: «**فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه**»، قال:

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم» برقم (٢٥٣٨).

**«ثم يرجع الناس إليَّ فيشكونهم، فأدعو الله ﷻ، عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى تَجْوَى الأرض من نتن ريحهم ـ أي: تُنْتِن ـ»**. قال: **«فيُنزل الله المطر، فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر»**(١).

قال أحمد: قال يزيد بن هارون: ثم تنسف الجبال، وتمد الأرض مد الأديم ـ ثم رجع إلى حديث هشيم قال: ففيما عهد إلي ربي ﷻ، أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلًا أو نهارًا. ورواه ابن ماجه، عن بُنْدَار عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حَوْشَب بسنده، نحوه.

فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين، ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام، فتكلم على أشراطها؛ لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذًا لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال، ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بُكَيْر، حدثنا عُبيد الله بن إياد بن لَقِيط قال: سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: **«علمها عند ربي لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هو، ولكن سأخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها: إن بين يديها فتنة وهرجًا»**، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة: **«القتل»**. قال: **«وَيُلقَى بين الناس التَّنَاكرُ، فلا يكاد أحد يعرف أحدًا»** لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وله شواهد أيضًا، الحديث له شواهد، الهرج والقتل كله له شواهد، قيام الساعة.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٧٥).

**مداخلة**: نُصوِّب يا شيخ؟!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: نصلحها عبيد الله؟

**الشيخ**: نعم، عبيد الله بن إياد.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال وَكِيع: حدثنا ابن أبي خالد، عن طارق بن شهاب، قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ الآية [النازعات: ٤٢].

ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، به وهذا إسناد جيد قوي.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم طارق من صغار الصحابة، مرسل صحابي.

**مداخلة**: صاحب الذباب يا شيخ؟

**الشيخ**: نعم

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، والعاقب والمُقَفِّي، والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها. ومع هذا كله، قد أمره الله تعالى أن يَرُد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨](١).

أمره الله تعالى أن يفوّض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ قال عبد الرزاق، عن الثوري، عن منصور، عن مجاهد. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ قال: لو كنت أعلم متى أموت، لعملت عملًا صالحًا.

وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: وقال مثله ابن جُرَيْج.

وفيه نظر؛ لأن عمل رسول الله ﷺ كان دِيمة. وفي رواية: كان إذا عمل عملًا أثبته فجميع عمله كان على منوال واحد، كأنه ينظر إلى الله ﷻ، في جميع أحواله، اللَّهُمَّ إلا أن يكون المرادُ أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك، والله أعلم.

والأحسن في هذا ما رواه الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: من المال. وفي رواية: لعلمت إذا اشتريت شيئًا ما أربح فيه، فلا أبيع شيئًا إلا ربحت فيه، وما مسني السوء، قال: ولا يصيبني الفقر.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة، ولعرفت الغَلاء من الرخص، فاستعددت له من الرخص.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأربعاء ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال: لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون، واتقيته.

ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير؛ أي: نذير من العذاب، وبشير للمؤمنين بالجنات، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا واضح في أنه ﷺ لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا يعلم الغيب، هذا إلى الله جل وعلا، فالرسل جميعًا، وجميع العباد كلهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، الله مالك كل شيء، وهو القدير جل وعلا، هو الذي يستحق أن يعبد ويسأل ويضرع إليه؛ لأنه المالك للنفع والضر، وهم أيضًا لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، فالواجب هو رفع الحاجات إلى الذي يعلم كل شيء، ولا تخفى عليه خافية، وهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى، فهو الذي عنده تقضى الحوائج، وبيده تصريف الأمور جل وعلا، وبذلك يعلم ما عليه أهل الشرك من الباطل، والجهل العظيم، والبعد عن أسباب السعادة.

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ **[الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]**[(١)].

ينبِّه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وأنه خلق منه

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغرب الأربعاء ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

زوجه حواء، ثم انتشر الناس منهما، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ الآية [النساء: ١].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾؛ أي: ليألفها ويسكن بها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] فلا ألفة بين زَوْجين أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾؛ أي: وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ وذلك أول الحمل، لا تجد المرأة له ألمًا، إنما هي النُّطفة، ثم العَلَقة، ثم المُضغة.

وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال مجاهد: استمرت بحمله. وروي عن الحسن، وإبراهيم النَّخَعي، والسُّدِّي، نحوه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ميمون بن مهران: عن أبيه استخفته.

وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال: لو كنت رجلًا عربيًّا لعرفت ما هي. إنما هي: فاستمرت به.

وقال قتادة: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ واستبان حملها.

وقال ابن جرير: معناه استمرت بالماء، قامت به وقعدت.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: استمرت به، فشكَّت: أحملت أم لا.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾؛ أي: صارت ذات ثقل بحملها.

وقال السدي: كبر الولد في بطنها.

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: بشرًا سويًّا، كما قال الضحاك، عن ابن عباس: أشفقا أن يكون بهيمة.

وكذلك قال أبو البَخْتري وأبو مالك: أشفقا ألا يكون إنسانًا.

وقال الحسن البصري: لئن آتيتنا غلامًا.

﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾. ذكر المفسِّرون هاهنا آثارًا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها، ثم نتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك، إن شاء الله وبه الثقة.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «**ولما ولدت حواء طاف بها إبليس ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ فقال: سمِّيه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمَّته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**».

وهكذا رواه ابن جرير، عن محمد بن بشار، بُنْدَار، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، به.

ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد، به وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في مستدركه، من حديث عبد الصمد مرفوعًا ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي زُرْعَة الرازي، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعًا.

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعًا.

قلت: «وشاذ» [هذا] هو: هلال، وشاذ لقبه. والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

**أحدها**: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به. ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعًا، فالله أعلم.

**الثاني**: أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعًا، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه. وحدثنا ابن علية عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب، قال: سمى آدم ابنه «عبد الحارث».

**الثالث**: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا، لما عدل عنه.

قال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده ـ يعني: قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا، فهوّدوا ونَصَّروا، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حُملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ، لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وَوَرَعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم،

مثل: كعب أو وهب بن مُنَبّه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار، عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام، أولادًا فيعبِّدهم لله ويُسَمّيه: «عبد الله» و«عبيد الله»، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس وآدم فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تُسميانه به لعاش. قال: فولدت له رجلًا فسمَّاه «عبد الحارث»، ففيه أنزل الله، يقول الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ إلى آخر الآية.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس قوله في آدم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ شَكَّت أحَبِلَتْ أم لا؟ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ فأتاهما الشيطان، فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون؟ أبهيمة يكون أم لا؟ وزيَّن لهما الباطل؛ إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي، لم يخرج سويًّا، ومات كما مات الأولان، فسميا ولدهما «عبد الحارث»، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآية.

وقال عبد الله بن المبارك، عن شريك، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ آدم ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ فأتاهما إبليس ـ لعنه الله ـ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لَتطيعُنِّي أو لأجعلنَّ قرني له أيل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ ـ يخوفهما ـ فسمِّياه «عبد الحارث» فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا،

ثم حملت الثانية، فأتاهما أيضًا فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت، لتفعلُنَّ أو لأفعلَنَّ ـ يخوفهما ـ فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضًا، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسمياه «عبد الحارث»، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسدي، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه ـ والله أعلم ـ أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أُبي بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم:

حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد ـ يعني ابن بشير ـ عن عقبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب قال: لما حملت حواء أتاها الشيطان، فقال لها: أتطيعيني ويَسْلَم لك ولدك؟ سميه «عبد الحارث»، فلم تفعلْ، فولدت فمات، ثم حملت فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل. ثم حملت الثالث فجاءها فقال: إن تطيعيني يسلم، وإلا فإنه يكون بَهِيمة، فهيَّبهما فأطاعا.

وهذه الآثار يظهر عليها ـ والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا حَدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام: فمنها: ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله. ومنها ما علمنا كذبه، بما دُلَّ على خلافه من الكتاب والسُّنَّة أيضًا. ومنها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته، بقوله ﵇: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حَرج**» وهو الذي لا يصدَّق ولا يكذب، لقوله: «**فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**». وهذا الأثر: هل هو من القسم الثاني أو

الثالث؟ فيه نظر. فأما من حدث به من صحابي أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في هذا والله أعلم، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ ثم قال:

**□ تفسير قوله تعالى:** ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ **[الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٨]**(١).

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر ولا تنتصر لعابديها؛ بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾؛ أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا ولا يستطيع ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤]. أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها، ما استطاعوا خلق ذبابة؛ بل لو استلبتهم الذبابة شيئًا من حَقير المطاعم وطارت، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها، فمن هذه صفته وحاله، كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾؛ أي: بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾؛ أي: لعابديهم ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ يعني: ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء، كما كان الخليل، عليه الصلاة والسلام، يكسر أصنام قومه ويهينُها غاية الإهانة، كما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨] وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ـ فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبًا للأرامل، ليعتبر قومهما بذلك، ويرتئوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح ـ وكان سيدًا في قومه ـ كان له صنم يعبده ويطيِّبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه، ويلطخانه بالعَذِرة، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفًا، ويقول له: «انتصر». [ثم] يعودان لمثل ذلك، ويعود إلى صنيعه أيضًا، حتى أخذاه مرة فقرنا معه جرو كلب ميت، ودلَّياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل، وقال:

**تَـالله لـو كُـنـتَ إِلَـهًـا مُـسْـتَـدن لم تَكُ والكَلْبُ جَمِيعًا في قَرَنْ**

ثم أسلم فَحسُن إسلامه، وقتل يوم أحد شهيدًا، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مأواه.

وقوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ يعني: أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواء لديها من دعاها ومن دحاها، كما قال إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]؟

ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها؛ أي: مخلوقات مثلهم؛ بل الأناسي أكمل منها؛ لأنها سمع وتبصر وتبطش، وتلك لا تفعل شيئًا من ذلك.

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾؛ أي: استنصروا بها علي، فلا تؤخروني طرفة عين، واجهدوا جهدكم! ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾؛ أي: الله حسبي وكافيّ، وهو نصيري وعليه متكلي، وإليه ألجأ، وهو وليي في الدنيا والآخرة، وهو ولي كل صالح بعدي. وهذا كما قال هود عليه السلام، لما قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦]، وكقول الخليل عليه السلام: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٨٠] الآيات، وكقوله لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلى آخر الآية، مؤكد لما تقدم، إلا أنه بصيغة الخطاب، وذلك بصيغة الغيبة؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾.

وقوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ إنما قال: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة، وهي جماد؛ ولهذا عاملهم معاملة من يعقل؛ لأنها على صور مصورة كالإنسان، فقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ فعبر عنها بضمير من يعقل.

وقال السدي: المراد بهذا المشركون، وروي عن مجاهد نحوه. والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير، وقاله قتادة.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ **[الأعراف: [١٩٩، ٢٠٠]**[(١)].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، يعني: خذ ما عفا لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء فخذه. وكان هذا قبل أن تنزل «براءة» بفرائض الصدقات وتفصيلها، وما انتهت إليه الصدقات. قاله السدي.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أنفق الفضل. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال الفضل.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أمره الله

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٩ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم. واختار هذا القول ابن جرير.

وقال غير واحد، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال: من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسُّس. وقال هشام بن عُرْوة، عن أبيه: أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وفي رواية قال: خذ ما عفي لك من أخلاقهم.

وفي صحيح البخاري، عن هشام، عن أبيه عروة، عن أخيه عبد الله بن الزبير قال: إنما أنزل ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس. وفي رواية لغيره: عن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر. وفي رواية: عن هشام، عن أبيه، عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك، والله أعلم.

وفي رواية سعيد بن منصور، عن أبي معاوية، عن هشام، عن وهب بن كيسان، عن ابن الزبير: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال: من أخلاق الناس، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم. وهذا أشهر الأقوال، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعًا: حدثنا يونس حدثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ عن أمي قال: لما أنزل الله ﷻ، على نبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ قال رسول الله ﷺ: **«ما هذا يا جبريل؟»** قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.

وقد رواه ابن أبي حاتم أيضًا، عن أبي يزيد القراطيسي كتابة، عن أصْبَغ بن الفرج، عن سفيان، عن أُمَيّ عن الشعبي. نحوه، وهذا ـ على كل حال ـ مرسل، وقد روي له شاهد من وجوه أخر، وقد روي مرفوعًا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة، عن النبي ﷺ، أسندهما ابن مردويه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة الباهلي، عن عقبة بن

عامر رضي الله عنه، قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: **«يا عقبة، صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك»**.

وروى الترمذي نحوه، من طريق عبيد الله بن زَحْر عن علي بن يزيد، به. وقال: حسن.

قلت: ولكن «علي بن يزيد» وشيخه «القاسم أبو عبد الرحمٰن»، فيهما ضعف.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذه من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، أن تصل من قطعك، وأن تعفو عن من ظلمك، وأن تعطي من حرمك، من مكارم الأخلاق، والحديث وإن كان ضعيف لكن معناه صحيح، كون المؤمن يعطي من حرمه، إن صار قريبه ليس بواصل لا يكون مثله، يعطي من حرمه ويصل من قطعه، يكون أجود، يكون أحسن، ويعفو عن من ظلمه كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، من صفات المؤمنين، الخيار الكمَّل العفو، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا»**، إذا كان العفو في محله، إذا كان العفو في محله هو مطلوب. فإذا أساء إليه بعض الإساءة ورأى من المصلحة العفو جمعًا للقلوب على التقوى، وحرصًا على بقاء المودة والمحبة، وحرصًا على إماتة الشحناء والعداوة هو مأجور، أما إذا كان العفو قد يضر، قد يشجع المعفو عنه على الباطل والشر، فالقصاص حينئذٍ يكون أولى. وبهذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، يعني: إذا كان الانتصار في محله وينفعه، فهذا من صفات المؤمنين، فإذا كان الانتصار ما يترتب عليه كبير شيء فالعفو أفضل.

**مداخلة**: إذا كان مظلوم وسمح له في الدنيا لكن يرجو شيء عند الله سبحانه وتعالى؟

**الشيخ**: يؤجر، يعفو في الدنيا والله يأجره يوم القيامة.

**مداخلة**: لكن هل ما يعتبر من الإعراض والإعفاء؟

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ما يعتبر من إعفائه؟

**الشيخ**: إذا عفا عنه خلاص هذا العفو.

**مداخلة**: لكن إذا احتسبه عند الله؟

**الشيخ**: جود..... يعفو لأجله.

**مداخلة**: يعفو عنه بالمرة لا يطلب شيء لا دنيا ولا آخرة؟

المقصود: يعفو عنه يعني: يسقط حقه إما لقرابة أو لرجاء مصلحة عامة أو لطلب الأجر من الله فقط، لأسباب شرعية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال البخاري قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ «العرف»: المعروف. حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ـ وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ـ وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ـ كُهولًا كانوا أو شبابًا ـ فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر رضي الله عنه فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، قال الله

لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله ﷻ. انفرد بإخراجه البخاري.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! من شفع عند مشفوع ثم أهدى المشفوع له إلى الشافع هديه ما حكم أخذها؟

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

في الحديث: «**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا**»[(١)]، أخرجه أحمد وأبو داود وجماعة بإسناد جيد. قال الحافظ في البلوغ قال: في إسناده مقال ولكن بمراجعة أسانيده لا بأس به. فإذا شفع له إنه يعطيه كذا من بيت المال، أو شفع إنه يعفو عنه، أو شفع له إنه يزوجه فلا يقبل الهدية.

**مداخلة:** أحسن الله إليك! من قال: إنه لا بأس أن يأخذ مقابل هذا؛ لعموم حديث: «**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه**»؟

**الشيخ:** هذا عام والشفاعة خاص، من باب تخصيص العام بالخاص، «**من صنع إليكم معروف فكافئوه**» هذا عام. ومسألة الشفاعة خاص، والعام لا يقضي على الخاص بل الخاص يقضي على العام، هذه قاعدة: الخاص هو الذي يقضي على العام لا العكس، نعم. ومثل الآيات الكثيرات كثيرة: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، لا ينافي قوله ﷺ: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**» (ليس للقاتل من مورثه شيء) يخص الآية.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أخبرنا

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦١) رقم (٢٢٣٠٥)، وأبو داود (٣/ ٢٩١) رقم (٣٥٤١)، والطبراني (٨/ ٢٣٨) رقم (٧٩٢٨).

ابن وهب، أخبرني مالك بن أنس، عن عبد الله بن نافع؛ أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على عير لأهل الشام وفيها جرس، فقال: إن هذا منهي عنه، فقالوا: نحن أعلم بهذا منك، إنما يكره الجُلْجُل الكبير، فأما مثل هذا فلا بأس به. فسكت سالم وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: الجرس الكبير.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقول البخاري: «العرف: المعروف» نص عليه عروة بن الزبير، والسُّدِّي، وقتادة، وابن جرير، وغير واحد. وحكى ابن جرير أنه يقال: أوليته عرفًا، وعارفًا، وعارفة، كل ذلك بمعنى: «المعروف». قال: وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمرًا لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حرب.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود: أن الأوامر التي توجه للرسول ﷺ هي أوامر للمسلمين أيضًا لهم فيه التأسي، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، إلى آخره، كلها أوامر للمسلمين، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

المقصود: إنه يخاطب ﷺ، والمراد هو الأمة جميعًا؛ إلا ما ورد التخصيص إلا ما قال فيه: إن هذا خاص بي، أو قال الله: إنه خاص به، وإلا فالأوامر التي توجه إليه والنواهي التي توجه إليه هي موجهة

للأمة، وهكذا النواهي هي موجهة للأمة؛ لأنه قائدها وإمامها، وصاحب النذارة لها والبشارة، اللَّهُمَّ صلِّي عليه وسلِّم.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ قال: هذه أخلاق أمر الله ﷻ بها نبيه ﷺ، ودله عليها.

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال:

**خُذ العفو وأمر بعُرفٍ كَمَا ... أُمِرتَ وأعْرض عن الجَاهلينْ**

**وَلِنْ في الكَلام لكُلِّ الأنام ... فَمُسْتَحْسَن من ذَوِي الجاه لين**

وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه. وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ ـ ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: هذه الوصية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٦]، وقال في هذه السورة الكريمة أيضًا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾. فهذه الآيات الثلاث في «الأعراف» و«المؤمنون» و«حم السجدة»، لا رابع لهن، فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف والتي هي أحسن، فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجان، فإنه لا يكفُّه عنك الإحسان، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن بني آدم ينفع فيهم المعروف؛ إذا أحسنت إليهم، قد ينفع فيهم المعروف، ولكن شيطان الجن لا ينفع فيه المعروف، ولا يكون معه مصالحة ليس فيه إلا التعوذ بالله من شره، والصدق في ذلك، والصبر والحذر، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، بخلاف شيطان الإنس قد يرجع على نفسه باللائمة إذا أعرضت عنه، وصفحت عنه، قد ينتبه ويستقيم، وقد يحتاج إلى التأديب، وقد يحتاج إلى اللوم، لكن شيطان الجن لا حيلة فيه إلا التعوذ بالله من شره، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ﴾.

**مداخلة**: يا شيخ سلمك الله! الإعراض عن الجاهل يكون بعدم الكلام والا عام حتى فيه الهجر؟

**الشيخ**: يعني: عدم مخاصمته وإطالته الكلام معه، ينصحه، ويوجهه إلى الخير؛ فإذا زج في موضوعه الذي نصح فيه يعرض عنه؛ إلا أن يكون موضوع من المواضيع التي يحتاج فيها إلى التعزير، أو إقامة الحدود هذا شيء آخر، لكن ما كان من باب مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والدعوة إلى الخير، فهو إن قبل النصيحة فالحمد لله، وألا يجادل معه لا يصير معه جدال وخصومة يزيل الشحناء والعداوة أو إلى ما هو أكبر من ذلك.

**مداخلة**: ما يدخل في الإعراض الهجر وعدم الكلام يا شيخ؟

**الشيخ**: الهجر إذا دعت الحاجة إليه هو من الإعراض.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير في تفسير قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ وإما يُغْضبَنَّك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ يقول: فاستجر بالله من نزغه ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك، والاستعاذة به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: لما نزل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يا رب، كيف بالغضب؟**» فأنزل الله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

قلت: وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابَّا بحضرة النبي ﷺ، فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزع غضبًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فقيل له، فقال: ما بي من جنون وأصل «النزغ»: الفساد، إما بالغضب أو غيره، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]. و«العياذ»: الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر، وأما «الملاذ» ففي طلب الخير.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال أبو الطيب [الحسن بن هانئ] المتنبي:

**يَا مَنْ ألوذُ به فيمَا أؤمِّلُه وَمَنْ أعوذُ به مما أحَاذرُه**
**لا يَجْبر الناس عَظمًا أنت كاسرُه ولا يَهيضُون عَظمًا أنت جَابِره**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا صدق لو اجتمع الناس ما استطاعوا والله ما أراده.

**مداخلة**: من حق المخلوق!

**الشيخ**: هذه خاص بربه ﷻ، هذا الكلام مع الرب ﷻ، يا من ألوذ به فيما أؤمله، أعوذ به مما أحاذره، لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره، ولا يهيضون عظمًا أنت جابره.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير بما أغنى عن إعادته هاهنا].

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: أن المعاذ فيما يكره والملاذ فيما يحب، هذا ملاذي في الأمور التي أحبها، وهذا معاذي مما أحاذره، هذا مقصود المؤلف.

**الأسئلة**:

- **س: أحسن الله إليك! هذا رجل عنده فوائد ربوية وله إخوة محتاجين هل يعطيهم هذه الفوائد؟**
  - **الجواب**: إذا كانوا فقراء ولا يعلمهم.
- **س: أحسن الله عملك! إذا شفع الشخص من غير شرط بالعطاء فأعطي بعد انتهائه مكافأة؟**
  - **الجواب**: ما يخذ، لا يأخذ.

**مداخلة**: ما يقبل.

**الشيخ**: لا يقبل.. لا!

**مداخلة**: ولو حلف عليه!

**الشيخ**: من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له مالًا فقبله فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا، وهذا مطلق.

**مداخلة**: قول بعضهم مثل القرض!

**الشيخ**: نعم؟

● **س: قول بعضهم إنه شبيه بالقرض إذا أعطي بالشرط يحرم، وإذا أعطي بـ..؟**

○ **الجواب**: لا لا. الحديث عام.

**مداخلة**: قوله: (فهذه الآيات الثلاث: في الأعراف، والمؤمنون، وحم السجدة) المقصود بها هذه الآية في السجدة؟

**الشيخ**: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فصلت: ٣٦، ٣٧]، فصلت يعني.

**مداخلة**: قال السجدة! (حم) خلط بينها وبين (الم تنزيل) اشتبهت عليه مع (آلم تنزيل).

**الشيخ**: ما هذا عندكم؟

**مداخلة**: عند الأخ السائل.

**الشيخ**: ماذا هو؟

**مداخلة**: يقول: (حم السجدة) اشتبهت عليه (الم تنزيل)... السجدة، ابن كثير يقول: حم السجدة.

**الشيخ**: فصلت، (حم) فصلت، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٦، ٣٧]، نعم. (حم فصِّلت)...

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]**(١).

العرف: المعروف.

حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنّ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيسٍ، وكان من النّفر الّذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته: كهولًا كانوا، أو شبّانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجهٌ عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عبّاسٍ: فاستأذن الحرّ لعيينة، فأذن له عمر، فلمّا دخل عليه قال: هي يا ابن الخطّاب، فوالله، ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتّى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ وإنّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

وهذا يدلّ على فضل عمر رضي الله عنه، ووقوفه عند كتاب الله، وقَبوله النصيحة.

ويدلّ أيضًا على جواز اتّخاذ البوابين؛ حتّى لا يدخل أحدٌ إلّا بإذنٍ؛ لأنّه قد يدخل من لا يرتضى، وقد يدخل بعض المجرمين على

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ برقم (٤٦٤٢).

ولاة الأمور؛ فيؤذونهم فلا مانع من اتّخاذ الحرس والبوّابين؛ ولهذا قال عيينة للحرّ: استأذن لي؛ دلّ على أنّه لا يدخل عليه إلّا بإذنٍ.

وعيينة هذا من أمراء فزارة، عيينة بن حصنٍ بن حذيفة الفزاريّ كان من أمراء بني فزارة، والأمراء من عادتهم في الغالب التعاظم وسوء الكلام، إلّا من عصم الله، إلّا من حفظ الله؛ فلهذا قال هذه الكلمة القبيحة لعمر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه أعدل النّاس بعد الرّسول ﷺ وبعد الصّدّيق رضي الله عنه، يضرب بعدله المثل رضي الله عنه، مع الصغير والكبير، والذّكر والأنثى، والبعيد والقريب. فأطلق هذه العبارة القبيحة: (فإنك لا تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل).

كلمةٌ قبيحةٌ شنيعةٌ، لا يليق أن يقال مثلها لعمر رضي الله عنه؛ فلهذا غضب عمر رضي الله عنه وهمّ به ـ يعني: أن يعاقبه على كلامه القبيح ـ (فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وهذا من الجاهلين)؛ فما جاوزها عمر رضي الله عنه، وقف عندها ولم يفعل به شيئًا.

● **س: عفا الله عنك يا شيخ: كان عمر رضي الله عنه في بعض الرّوايات أنّه كان يغضب على أمرائه إذا اتخذوا البوابين؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

هذا البواب لا بدّ منه عند الحاجة، وإذا كان ما له حاجةٌ فلا بأس، إذا كان بين أصحابه الخاصّين ولا يخشى شيءٌ فلا حاجة إلى البواب، النّبيّ ﷺ قد يتّخذ البوّاب، وقد لا يتّخذ البواب، قد يفعل وقد لا يفعل عليه الصّلاة والسّلام، والأحوال تختلف على حسب الحاجة، لما كان في بئر أريس لما دخلها يقضي حاجةً؛ اتّخذ بوابًا أبا موسى رضي الله عنه، وجعله عند الباب.

ولما جاء وفد قريشٍ يوم الحديبية كان على رأسه المغيرة بالسّلاح يحرسه من كفّار قريشٍ، ولما مدّ عروة يده إلى لحية النّبيّ ﷺ قمعها

بجفل السّيف، وقال: كفّ يدك عن رسول الله. ولم يقل له النّبيّ ﷺ شيئًا، سكت عليه الصّلاة والسّلام.

حدّثني يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن هشامٍ، عن أبيه، عن عبد الله بن الزّبير رضي الله عنهما ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ قال: «ما أنزل الله إلّا في أخلاق النّاس»(١).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

ماذا قال عندك الشّارح عليه؟

**(من القارئ)**: في سندٍ آخر أحسن الله إليك.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

كرّره، هات الذي [معك].

وقال عبد الله بن برّادٍ، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا هشامٌ، عن أبيه، عن عبد الله بن الزّبير رضي الله عنهما قال: «أمر الله نبيّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق النّاس»، أو كما قال(٢).

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

نعم؛ يعني: خذ العفو من أخلاق النّاس؛ يعني: ما هو أيسر عليهم وأسمح لهم، ولا تشدد عليهم هذا وجهٌ.

**والقول الثّاني: (خذ العفو)**؛ يعني: افعل العفو؛ يعني: اصفح واعف عند زلة الزالّ، حيث كان العفو أنسب كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ برقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ برقم (٤٦٤٤).

ومعنى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ على قول ابن الزّبير: يعني: ما تيسّر وما تسهّل من أخلاقهم، ولا تشدد عليهم. وهو متقاربٌ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٠٦)]: «قوله: «عن هشام: هو ابن عروة، وابن الزّبير هو عبد الله.

قوله: (**ما أنزل الله**)؛ أي: هذه الآية إلّا في أخلاق النّاس. كذا أخرجه ابن جرير عن ابن وكيعٍ عن أبيه بلفظ: «ما أنزل الله هذه الآية إلّا في أخلاق النّاس». وكذا أخرجه ابن أبي شيبة، عن وكيع. وأخرج ابن جريرٍ أيضًا من طريق وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزّبير نحوه.

قوله: (**وقال عبد الله بن برّادٍ**): بموحّدةٍ وتثقيل الرّاء، وبرّاد اسم جدّه، وهو عبد الله بن عامر بن برّاد بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ، ما له في البخاريّ سوى هذا الموضع.

قوله: (**أمر الله نبيّه أن يأخذ العفو من أخلاق النّاس أو كما قال**)، وقد اختلف عن هشامٍ في هذا الحديث، فوصله من ذكرنا عنه، وتابعهم عبدة بن سليمان عن هشام عند ابن جريرٍ. والطّفاويّ عن هشام، عند الإسماعيليّ. وخالفهم معمر وابن أبي الزّناد وحمّاد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه من قوله موقوفًا. وقال أبو معاوية: عن هشامٍ، عن وهب بن كيسان، عن ابن الزّبير. أخرجه سعيد بن منصورٍ عنه. وقال عبيد الله بن عمر: عن هشامٍ، عن أبيه، عن ابن عمر. أخرجه البزّار والطّبرانيّ وهي شاذّةٌ. وكذا رواية حمّاد بن سلمة عن هشامٍ عن أبيه عن عائشة عند ابن مردويه.

وأمّا رواية أبي معاوية فشاذّةٌ أيضًا مع احتمال أن يكون لهشامٍ فيه شيخان، وأمّا رواية معمرٍ ومن تابعه فمرجوحةٌ، بأنّ زيادة من خالفهما مقبولةٌ لكونهم حفّاظًا. وإلى ما ذهب إليه ابن الزّبير من تفسير الآية ذهب مجاهدٌ.

وخالف في ذلك ابن عبّاس؛ فروى ابن جريرٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ يعني: خذ ما عفا لك من أموالهم؛ أي: ما فضل. وكان ذلك قبل فرض الزّكاة. وبذلك قال السّدّيّ، وزاد: نسختها آية الزّكاة.

وبنحوه قال الضّحّاك، وعطاء، وأبو عبيدة، ورجح ابن جريرٍ الأوّل واحتجّ له، وروي عن جعفرٍ الصّادق، وقال: ليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق منها ووجّهوه بأنّ الأخلاق ثلاثةٌ بحسب القوى الإنسانيّة: عقليّةٌ، وشهويّةٌ، وغضبيّةٌ.

فالعقليّة: الحكمة، ومنها الأمر بالمعروف. والشّهويّة: العفّة ومنها أخذ العفو. والغضبيّة: الشّجاعة، ومنها الإعراض عن الجاهلين، وروى الطّبريّ مرسلًا، وابن مردويه موصولًا من حديث جابرٍ وغيره: لمّا نزلت خذ العفو وأمر بالعرف، سأل جبريل فقال: لا أعلم حتّى أسأله، ثمّ رجع فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك». [انتهى كلامه].

• **س: الحديث هذا أحسن الله إليك صحيحٌ مرفوعًا صحيحٌ؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما ذكر سنده، ما ساق السّند، على كلّ حالٍ الآية عامّةٌ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ سياقها واضحٌ؛ يعني: خذ ما تيسّر وما يحصل فيه تسامحٌ بجمع القلوب، يكون العفو من الأخلاق والعفو منه كونه يعفو عنهم كما تأولها الحرّ بن قيسٍ، مثل ما قال ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والنبيّ ﷺ يقول: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا**».

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: يعني: اعمل بالعفو عند وجود الجاهل والغلطان.

أمّا كونه يأخذ من أموالهم قبل الزّكاة محلّ نظرٍ، الأقرب مثل ما

قال الحرّ وأقرّه عمر رضي الله عنهما، المراد به العفو عن ما قد يقع من الزلّات والهنّات.

• **س: أحسن الله إليك: الزّكاة قبل أن تحدد ورد حديث عن زكاة الخيل وزكاة الإبل هل هي نسخت بتحديد الزّكاة؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الزّكاة محددةٌ موضحةٌ.

• **س: قبل أن تحدد في المدينة؟**

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

الزّكاة محددةٌ واستقرّت الشّريعة على التحديد.

*

## ☐ تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩][(١)].

هذه الآية الكريمة تتعلق بالحث على العفو والترغيب في الصفح والإعراض عن الجاهلين، وعدم الانتقام فيما يتعلق بحظ النفس وحق النفس، وأن العفو من الإنسان في حق نفسه والتحمل والصفح عن الجاهلين أفضل له وخير له وأحسن عاقبة، أما ما يتعلق بحق الله فالواجب أن يؤخذ حق الله من إقامة الحدود والردع عن المعاصي، هذا أمر لله لا بد من أخذ حق الله؛ ولهذا يقول سبحانه جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ يعني: في حقوق الناس، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾؛ يعني: أعرض عن الانتقام منهم لجهلهم، وعلِّمهم ووجِّههم، كما في الآية الأُخرى: ﴿وَإِذَا

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (٢/ ٤٥١).

سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٥]، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أهل العلم والإيمان يتحملون عن الجاهلين ويعلمونهم ويرشدونهم ويوجهونهم ويعفون عما قد يقع من الهفوة ومن الزلة في الكلمات أو غير ذلك، يرجون ما عند الله ويتألفونهم على الإسلام وعلى الهدى، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، والله يقول ﷻ في كتابه العظيم وهو أصدق القائلين: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ﴿، فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه، فما ضرب خادمًا ولا خادمة ولا زوجة عليه الصلاة والسلام، وما كان ينتقم لنفسه إذا نيل منه، إلا أن ينتهك شيءٌ من حرمات الله فينتقم لله عليه الصلاة والسلام، ويغضب لله، ولما آذاه قومه قبل الهجرة وكان يعرض عليهم نفسه في أيام الحج في أيام منى على القبائل يطلب منهم أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه فيردون عليه ردًّا سيئًا؛ يعني: غالبهم.

وهكذا أصحاب الطائف أبناء أبي كُلال ردوا عليه ردًّا شنيعًا، فذهب على نفسه مغمومًا من شدة كلامهم عليه وردهم عليه، فلم يفق إلا وهو بقرن الثعالب، موضع قريب من الطائف، فإذا هو بسحابةٍ قد أظلته، فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداه وقال: يا محمد إن الله قد سمع كلام قومك لك، وقد أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما تشاء فيهم، فناداه ملك الجبال، فسلم عليه وقال ملك الجبال: أمرني الله أن أنفذ ما تأمُرني به «**إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**»؛ يعني: جبلي مكة، فَقَالَ النبي ﷺ:

«**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١)، فلم ينتقم منهم ولم يأمر بالانتقام منهم، فصبر عليهم رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، فتاب الله على أكثرهم وهداهم وأخرج من أصلابهم من قُتل منهم في بدر من يعبد الله، هذا يدل على رحمته وعفوه وحرصه على اللطف واللين والصبر والحلم، وعدم الانتقام من أجل حظ النفس لعل الله يهدي ذلك الذي أساء فيرجع إلى الصواب ويقبل الحق، وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم يتصبَّرون ويتحملون ويرجون ما عند الله ﷻ، رجاء أن تقبل دعوتهم وأن يدخل أقوامهم في الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠]، رجاء أن يهدي الله أُولئك القوم فيقبلوا الحق ويدعُوا ما هم عليه من الباطل، وهدى الله الكثير ورجعوا إلى دين الله، ولما فتحت مكة دخلوا في دين الله أفواجًا.

وفي **حديث أنس**؛ أن الرسول ﷺ كان ذات يوم يمشي بين أصحابه وعليه بردٌ نجرانيٌّة لها حافة غليظة، كان العرب يلبسون البرود؛ يعني: الإزار والرداء كما يلبس كثير من الناس اليوم من اليمن وغير اليمن، ويلبسون القُمص أيضًا والأعمة فتارة يلبسون رداءً وإزارًا، وتارة يلبسون القُمص مع العمامة، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة، والأعرابي: البدوي هم من عادتهم الجفاء إلا القليل، فقال: مُر لي من مال الله الذي عندك. (فَالتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) ولم يعاقبه عليه

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين برقم (٣٢٣١)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين برقم (١٧٩٥).

الصلاة والسلام، وصبر واحتسب يرجو ما عند الله ويتألف أُولئك على الإسلام والخير، وتقدم قصة الذي بال في المسجد وزجره الناس، فقال: «**دعوه**» فلما قضى بوله أمر أن يصب على بوله سجلٌ من ماء، وكان بدويًّا جاهلًا ثم دعاه وعلَّمه، وقال: «**إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِد لَا تَصْلُح لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْل وَلَا القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله وَقِرَاءَة القُرْآن**»[1]، فعلَّمه ووجَّهه إلى الخير، وكان الناس حُدثاء عهد بالإسلام يحتاجون إلى الصبر والتعليم، فهكذا ينبغي للدعاة إلى الله وأُمراء الإسلام وملوك الإسلام والعلماء وأعيان الناس، أن يتحملوا من الجاهل من ولدٍ أو جارٍ وغير ذلك، حتى يعلم حتى يوجه إلى الخير؛ لأن هذا أقرب إلى الخير من الانتقام فيما يتعلق بحظ النفس.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [**الأعراف: ٢٠١ ـ ٢٠٢**][2].

يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ﴾؛ أي: أصابهم «طيف» وقرأ آخرون: «طائف»، وقد جاء فيه حديث، وهما قراءتان مشهورتان، فقيل: بمعنى واحد. وقيل: بينهما فرق، ومنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ترك النبي صلى الله عليه وسلم والناس الإعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد برقم (٢١٩)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد برقم (٢٨٥) واللفظ له.

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

فسَّره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب.

وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾؛ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾؛ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه.

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هاهنا حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يشفيني. فقال: «**إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك**»(١).

ورواه غير واحد من أهل السنن، وعندهم: قالت يا رسول الله، إِنِّي أُصْرَعُ وَأَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «**إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك**»(٢). قَالَتْ: لَا بَلْ أَصْبِرُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ أَوْ لَا يَنْكَشِفَ عَنِّي. قَالَ فَدَعَا لَهَا. وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة «عمرو بن جامع» من تاريخه: أن شابًّا كان يتعبد في المسجد، فهويته امرأة، فدعته إلى نفسها، وما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل، فذكر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ فخرَّ مغشيًّا عليه، ثم أفاق فأعادها، فمات. فجاء عمر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٤١)، والحاكم في المستدرك في كتاب الطب برقم (٧٧٠١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح برقم (٥٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض برقم (٢٥٧٦).

فَعزَّى فيه أباه وكان قد دفن ليلًا فذهب فصلى على قبره بمن معه، ثم ناداه عمر فقال: يا فتى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] وأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمر، قد أعطانيهما ربي ﷻ، في الجنة مرتين.

وقوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾؛ أي: وإخوان الشياطين من الإنس، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾؛ أي: تساعدهم الشياطين على [فعل] المعاصي، وتسهلها عليهم وتحسنها لهم.

وقال ابن كثير: المد: الزيادة. يعني: يزيدونهم في الغي، يعني: الجهل والسفه.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ قيل: معناه إن الشياطين تمد، والإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك. كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم.

قيل: معناه كما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ قال: هم الجن، يوحون إلى أوليائهم من الإنس ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ يقول: لا يسأمون.

وكذا قال السُّدِّي وغيره: يعني إن الشياطين يمدون أولياءهم من الإنس ولا تسأم من إمدادهم في الشر؛ لأن ذلك طبيعة لهم وسَجِيَّة، لا تفتر فيه ولا تبطل عنه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣] قال ابن عباس وغيره: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا.

❊

❑ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣]**[1].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول: لولا تلقيتها. وقال مرة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأتها.

وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قال: لولا اقتضيتها، قالوا: تخرجها عن نفسك. وكذا قال قتادة، والسدي، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

وقال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول: تلقيتها من الله عز وجل.

وقال الضحاك: عنه ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول: لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾؛ أي: معجزة، وخارق، كما قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] يقولون للرسول ﷺ: ألا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ونؤمن بها، قال الله تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾؛ أي: أنا لا أتقدم إليه تعالى في شيء، وإنما أتبع ما أمرني به فأمتثل ما يوحيه إلي، فإن بعث آية قبلتها، وإن منعها لم أسأله ابتداء إياها؛ إلا أن يأذن لي في ذلك، فإنه حكيم عليم.

ثم أرشدهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات، وأبين

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الدلالات، وأصدق الحجج والبينات، فقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

*

**□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]**(١).

لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما ورد الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**». وكذلك رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة وصححه مسلم بن الحجاج أيضًا، ولم يخرجه في كتابه. وقال إبراهيم بن مسلم الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ والآية الأخرى، أمروا بالإنصات.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن المسيب بن رافع، قال ابن مسعود: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة: سلام على فلان، وسلام على فلان، فجاء القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله مغرب الأربعاء ١٣ - ٥ - ١٤١٧هـ.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الآية العظيمة تدل على وجوب الإنصات إذا قرأ الإمام؛ لأن الفائدة في التدبر والتعقل، والذي لا ينصت لا يمكنه التدبر والتعقل، فالله جَلَّ وَعَلَا سبحانه يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، والله شرع رفع الصوت في صلاة الجهرية للإمام ليستفيد المأمومون ويتدبروا ويتعقلوا في الأولى والثانية من المغرب، في الأولى والثانية من العشاء، وفي الفجر وفي الجمعة وفي الأعياد؛ ليستفيد المستمعون ويتدبروا ويتعقلوا؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾. وهذا يعم القراءة في الصلاة ويعم القراءة خارج الصلاة، كان النبي ﷺ له مجالس مع أصحابه، خارج الصلاة، يقرأ وهم يستمعون، ويبين لهم ما قد يخفى عليهم ويرشدهم ويتخولهم الموعظة، وفي بعض الأيام قال لابن مسعود: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**». قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»[1]، فقرأ أول سورة النساء حتى أتى على قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فقال: حسبك، قال عبد الله بن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان، يعني: يبكي تذكر الموقف يوم القيامة، حين يجاء به يشهد على هذه الأمة أنه بلَّغها، وكل رسول يشهد على أمته أنه بلَّغها.

واختلف أهل العلم فيما إذا جهر الإمام هل يقرأ المأموم الفاتحة أو ما يقرأ، على قولين، أصحهما أنه يقرأ، وأنه مستثنى من الآية

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ برقم (٤٥٨٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر برقم (٨٠٠).

الكريمة، الآية عامة يستثنى منها سورة الفاتحة، هذا الصحيح يقرأ المأموم سورة الفاتحة، إن كان هناك سكتة قرأ فيها وإلا قرأ ثم أنصت؛ لقوله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»(١)، وقوله ﷺ: «**لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ**». قُلْنَا: نَعَمْ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**»، فاستثناها، والسُّنَّة تخصص القرآن وتقيد مطلقه. أما في السرية فيقرأ الفاتحة المأموم ويقرأ معها ما تيسر، في الأولى والثانية، كالإمام، في السرية: الظهر والعصر يقرأ المأموم كما يقرأ الإمام، الإمام يقرأ وهو يقرأ سرًّا، والمأموم يقرأ الفاتحة ويقرأ معها في الأولى والثانية، وفي الثالثة والرابعة يقرأ الفاتحة فقط، وهكذا الإمام في الثالثة والرابعة يقرأ الفاتحة فقط، وربما قرأ النبي ﷺ في الثالثة والرابعة بعض الشيء زيادة في الظهر؛ كما في حديث أبي سعيد، ولكن الغالب أنه يكتفي بالفاتحة بالثالثة والرابعة في الظهر، وهكذا في العصر، وهكذا في العشاء، وهكذا في المغرب، الفاتحة.

وروى مالك رَحِمَهُ اللهُ في الموطأ أن الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقرأ في الثالثة من المغرب بعد الفاتحة ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وثبت أنه ﷺ قال لبعض الأنصار لما اشتكاه قومه، قالوا: إنه يقرأ الفاتحة ويقرأ معها ما تيسر ثم يقرأ ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، زيادة ولا يكتفي بغيرها، فقال: مالك

يا فلان؟ قال: إني أحب سورة ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فقال له ﷺ: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة، ساقه بعد الحديث (٧٧٤)، وأخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص برقم (٢٩٠١).

وفي اللفظ الآخر: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[١]، فدل على أنه لو قرأ زيادة مع الفاتحة في الثالثة والرابعة لا يضر، لا حرج، لكن ترك ذلك أفضل؛ لأن النبي ﷺ ترك ذلك، (كان يقرأ الفاتحة)، كما في حديث أبي قتادة في الصحيحين، كان النبي ﷺ يقرأ في الثالثة والرابعة بفاتحة الكتاب، يعني: بها فقط، وهكذا في الثالثة والرابعة من العصر، في الثالثة من المغرب، في الثالثة والرابعة من العشاء.

**الأسئلة:**

● **س: عفا الله عنك! الحديث الذي فيه تقدير قيامه عليه الصلاة والسلام في الأخريين من الظهر... قدر الأوليين من العصر؟**

**الشيخ**: هذا حديث أبي سعيد المشار إليه.

**مداخلة**: . . ؟

○ **الجواب**: هذا حديث أبي سعيد قد يقرأ بعض الأحيان ﷺ.

**مداخلة**: يكون من السُّنَّة أحيانًا يزيد على. . . ؟

**الشيخ**: وفي حديث زيد بن الأرقم: (أنهم أُمِروا بالسكوت لما نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: أُمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام، ولا مانع من أن يكونوا أمروا بذلك، فيما جهر فيه عند قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ وفي العموم أمروا بالسكوت ونهوا عن الكلام في الصلاة، الصلاة ما هي محل كلام، متى دخل فيها حرم عليه الكلام، واشتغل بذكرها من قراءة وغيرها.

● **س: أحسن الله إليك! يقولون: من السُّنَّة أن يقرأ في الثالثة والرابعة من الظهر أحيانًا؟**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ برقم (٨١٣).

○ **الجواب**: هذا ظاهر حديث أبي سعيد أنه كان يقرأ في الأوليين من العصر على قدر الأخريين من الظهر. فدل على أنه يقرأ في الأخريين زيادة على الفاتحة، لكن لعل هذا كان بعض الأحيان؛ لأن حديث أبي قتادة في الصحيح أصح من حديث أبي سعيد، وفي حديث أبي قتادة قال: (ويقرأ في الأخريين بفاتحة الكتاب)، يعني: من الظهر، (بفاتحة الكتاب).

● **س: صلاة الصدِّيق ! في فريضة المغرب ما يقال عنها؟**

○ **الجواب**: لا بأس ﷺ، لا بأس، هذا يدل على أنه لا بأس، فالصديق ﷺ رأى أنه لا بأس بهذا.

**مداخلة**: لكن السُّنَّة يعني: هل فيها شيء يؤيد هذا؟

**الشيخ**: ما أذكر شيء، أقول: ما أتذكر شيء، إلا حديث الأنصاري اللي يقرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، بعد الفاتحة في كل ركعة، نعم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! في الجهرية أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم؟

● **س: قصة الأنصاري ظاهره في الجهرية يعني.**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: فيما يجهر فيه يعني، قصة الأنصاري؟

○ **الجواب**: إيه، في الجهرية، هو الأنصاري وفي السرية، ما يخليها أبد.

**مداخلة**: السرية... مسكوت عنهم؟

**الشيخ**: لا، يعلم، يسمعون بعض قراءته؛ مثلما يسمعون الصحابة بعض قراءة النبي ﷺ، أبو قتادة إنما أخبر عن النبي ﷺ لأنه يسمع،

يسمعون بعض الآيات يقرأها عليه الصلاة والسلام، حتى يستفيدوا ويعلموا سنته، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم، مثلما قال أبو قتادة وغيره: (وكان يسمعنا الآيات أحيانًا)، نعم.

• **س: لكن ما يقال السُّنَّة ألا يزيد على الفاتحة في فريضة المغرب مطلقًا؟**

○ **الجواب**: الأمر فيها واسع إن شاء الله، لكن الأصل هو هذا، الفاتحة، لكن لو قرأ بالآية هذه كما قرأ الصديق لا نعلم فيها بأسًا، لكن مقتضى الأدلة أن الأفضل الترك لعدم الدليل، قول الصحابي رضي الله عنه وأرضاه إذا لم يخالف سنة قول قوي، لا مانع من العمل به إذا لم يخالف سنة.

**مداخلة**: الأمر بالاقتداء بالشيخين لا يحتج به؟

**الشيخ**: . . . بالشيخين وبالخلفاء الراشدين.

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: قد يحتج به على قراءة هذه الآية كما قرأها الصديق.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أيضًا: حدثنا أبو كريب، حدثنا المحاربي، عن داود بن أبي هند، عن بشير بن جابر قال: صلى ابن مسعود، فسمع ناسًا يقرأون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفهموا؟ أما آن لكم أن تعقلوا؟ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ كما أمركم الله.

قال: وحدثني أبو السائب، حدثنا حفص، عن أشعث، عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار، كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئًا قرأه، فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث الزهري، عن أبي أُكَيْمضة الليثي، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاةٍ جهرَ فيها بالقراءة، فقال: «**هل قرأ أحد منكم معي آنفًا؟**» قال رجل: نعم يا رسول الله. قال: «**إني أقول ما لي أنازع القرآن؟**» قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة من الصلوات حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه أبو حاتم الرازي.

وقال عبد الله بن المبارك، عن يونس عن الزهري قال: لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به الإمام، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته، ولكنهم يقرءون فيما لا يجهر به سرًّا في أنفسهم، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرًّا ولا علانية، فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

قلت: هذا مذهب طائفة من العلماء: أن المأموم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الإمام لا الفاتحة ولا غيرها، وهو أحد قولي الشافعي، وهو القديم كمذهب مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل، لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة. وقال في الجديد: يقرأ الفاتحة فقط في سكتات الإمام، وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم. وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل: لا يجب على المأموم قراءة أصلًا في السرية ولا الجهرية، لما ورد في الحديث: «**من كان له إمام فقراءته له قراءة**». وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعًا، وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان، عن جابر موقوفًا، وهذا أصح. وهذه المسألة مبسوطة في غير هذا الموضع وقد أفرد لها الإمام أبو عبد الله البخاري مصنفًا على حدة واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضًا، والله أعلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله البخاري هو الصواب، حديث: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَتُهُ لَهُ قِرَاءَةٌ**»، حديث ضعيف، والصواب وقفه على جابر، ولو صح لكان عامًّا يستثنى منه الفاتحة؛ لأن الأدلة الخاصة تخص العام، مثلما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وحديث عبادة في الصحيح: «**لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ**». قُلْنَا: نَعَمْ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**» صريح في هذا، «**فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**»، أخرجه الإمام أحمد والترمذي والجماعة بإسناد صحيح، فهذا صريح في تخصيص الآية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ يعني: في الصلاة المفروضة. وكذا روي عن عبد الله بن المغفل.

وقال ابن جرير: حدثنا حُمَيْد بن مَسْعَدة، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا الجريري، عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيزَ قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان، والقاص يقص، فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظرا إلي، ثم أقبلا على حديثهما. قال: فأعدت فنظرا إلي، وأقبلا على حديثهما. قال: فأعدت الثالثة، قال: فنظرا إلي فقالا إنما ذلك في الصلاة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾.

وقال سفيان الثوري، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير، عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ قال: في الصلاة. وكذا رواه غير واحد عن مجاهد.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق، عن الثوري، عن ليث، عن مجاهد قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا فيه نظر، العموم، الآية عامة، وفيه تعظيم للقرآن إذا قرئ والإنسان حاضر ينصت، تخصيصه بالصلاة يحتاج إلى دليل، وهكذا في المواعظ والخطب إذا حضرها ينصت للفائدة، حتى يستفيد ولا يشوش على غيره، فما فعله عبيد بن عمير وعطاء مخالف للسنة، والذي أنكر عليهم أصاب السُّنَّة. والمقصود من القراءة النفع، فالقارئ يقرأ لينتفع، والمستمع يستمع لينتفع، والله جَلَّ وَعَلَا أرشد عباده إلى هذا الأمر، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾، والنبي ﷺ قال: «**وإذا قرأ فأنصتوا**»،، يعني: الإمام. ولا يليق بالمؤمن أن يسمع كتاب الله يتلى والواعظ يتكلم وينصح ويأمر وينهى ويرغب وهو يتحدث مع صاحبه، هذا لا يليق بالمؤمن أبدًا، فاللائق به أن يُقبل ويستفيد ويتذكر ويحضر قلبه؛ لعل الله ينفعه بذلك، وكم من مستمع انتفع أكثر مما ينتفع من قراءته هو.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! ما روي عن الإمام أحمد.. أنها نزلت في الصلاة؟

ما جاء عن الإمام أحمد... نقل الإجماع على أنها نزلت في الصلاة؟

**الشيخ**: لا ما.. ليس بإجماع، نقل الإجماع صعب في هذا، الآية عامة.

**مداخلة**: أحسن الله إليك يا شيخ! حكم الاستماع؟

**حكم الإنصات للقرآن خارج الصلاة؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: حكم الإنصات للقرآن خارج الصلاة؟

**الشيخ**: وش فيه؟

**مداخلة**: حكم الإنصات؟

**الشيخ**: الذي يظهر أن من كان حاضرًا يلزمه الإنصات، ولا يشوش على الناس، ولا يُعرض عن كتاب الله، إذا كان في المجلس والقارئ يقرأ ينصت، إلا إذا كان له حاجة يقوم.

**مداخلة**: الوجوب يا شيخ؟!

**الشيخ**: هذا ظاهر القرآن الكريم.

• **س: أحسن الله إليكم! كثير من الناس يستمعون إلى إذاعة القرآن، وتكون المرأة مثلًا في البيت ومشتغلة في بعض حاجاتها، فتمر الإذاعة بقراءة القرآن وهو شغال ويأتي برنامج وهو الراديو مشغل! هل يلزمون بإغلاقه أم يترك؟**

○ **الجواب**: إلا يستمعون، أحسن لهم، لكن لا يسولفون.

**مداخلة**: إي لكن قصدي...

**الشيخ**: يستمعون ويستفيدون هم، تصلح غداها ولا عشاها وتستمع للفائدة.

**مداخلة**: نعم إذًا قد تذهب والقرآن شغال...؟

**الشيخ**: ولو، ما يضر، لكن لا يصير عندها ضوضاء وحكي.

**مداخلة**: لا، ما يصير.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: هذا فيه فائدة عظيمة.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

• **س: تسبيح المأموم أو تهليله على قراءة الإمام؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: تسبيح المأموم أو تهليله؟

○ **الجواب**: لا ، ينصت، عليه الإنصات.

**مداخلة**: عليه الإنصات.

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: ولو في النافلة أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: ولو في النافلة مثل التراويح؟

**الشيخ**: إذا وقف الإمام ما يخالف.

**مداخلة**: أما إذا . . .

**الشيخ**: إذا دعا الإمام (كان النبي ﷺ في قيام الليل يقف)، فإذا وقف ودعا فالمأموم كذلك.

**مداخلة**: لكن إذا لم يقف الإمام؟

**الشيخ**: إذا استمر ينصت.

**مداخلة**: إذا لم يقف الإمام لا يدعو.

**الشيخ**: ينصت نعم.

**مداخلة**: وإذا وقف في الفرض!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: في الفرض؟

**الشيخ**: إذا وقف ولا في شيء، لا ، ما يضر إن شاء الله؛ مثل إن دعا في الآية قبل أن يركع، يمشي ما ينازع القرآن، إذا وقف ما في منازعة، نعم.

**علة ضعف حديث: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة..»**.

● **س: أحسن الله إليك! الحديث الأخير هذا ليس له علة إلا عدم سماع الحسن من أبي هريرة؟**

**الشيخ**: أيش؟

**مداخلة**: الحديث الأخير؟

○ **الجواب**: نعم، علته كون الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

**مداخلة**: فقط؟

**الشيخ**: أعد السند، حدثنا.

**الملقي**: وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة**»، تفرد به الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

**الشيخ**: عباد بن ميسرة الظاهر فيه بعد كلام، انظر عباد بن ميسرة.

**مداخلة**: هذا هو يا شيخ! عباد بن ميسرة المنقري.

**الشيخ**: المنقري؟

**مداخلة**: نعم.

**الشيخ**: نسبة إلى منقر من تميم.

**مداخلة**: البصري المعلم.

**الشيخ**: إيه.

**مداخلة**: لين الحديث، عابد، من السابعة، الترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير.

**الشيخ**: يصير فيه علتان، علة عباد وعلة عدم سماع الحسن من أبي هريرة.

**مداخلة**: لكن لم يثبت سماع الحسن من أبي هريرة في أي حديث يا شيخ!

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: الحسن لم يثبت عنه سماع من أبي هريرة في أي حديث؟

**الشيخ**: ما أتذكر شيء يعني: صرح فيه بالسماع، ما أتذكر شيء، أقول: ما أذكر شيء الآن.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والشعبي، والسدي، وعبد الرحمٰن ابن زيد بن أسلم: أن المراد بذلك في الصلاة.

وقال شعبة، عن منصور، سمعت إبراهيم بن أبي حرة يحدث أنه سمع مجاهدًا يقول في هذه الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ قال: في الصلاة والخطبة يوم الجمعة. وكذا روى ابن جريج عن عطاء، مثله.

وقال هُشَيْم، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: في الصلاة وعند الذكر.

وقال ابن المبارك، عن بَقِيَّة: سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ قال: الإنصات يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة.

وهذا اختيار ابن جرير أن المراد بذلك الإنصات في الصلاة وفي الخطبة؛ لما جاء في الأحاديث من الأمر بالإنصات خلف الإمام وحال الخطبة.

وقال عبد الرزاق، عن الثوري، عن ليث، عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئًا، قال: السكوت.

وقال مبارك بن فَضَالة، عن الحسن: إذا جلست إلى القرآن، فأنصت له.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عبَّاد بن ميسرة، عن الحسن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١). تفرد به أحمد رحمه الله.

**مداخلة**: يبقى الإنسان في مكة في رمضان وأئمة الحرم يصلون وبعض الناس يجلسون يسولفون ويتكلمون في أمور الدنيا والإمام يقرأ القرآن، هل لهم أن يجلسوا في الحرم أم يؤمرون بالخروج؟

**الشيخ**: الذي يظهر لي أنه ليس من الأدب الشرعي، أن يجلسوا وهم يسمعون القرآن ويسولفون، ليس من الأدب، إما أن يستمعوا، وإما أن يصلوا، وإما أن يسكتوا، وإما أن يخرجوا، أو يكونوا في مكان آخر لا يسمعون.

**مداخلة**: لكن إذا كان أنها إحدى عشر ولا يريدون أن يصلون البقية؟

**الشيخ**: يجلسون ولا يقومون.

**الشيخ**: ولا يشوشون على الناس.

**قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

**الشيخ**: بركة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه.

*

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٤١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ **الأعراف: ٢٠٥، ٢٠٦**](١).

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وهذه الآية مكية.

وقال هاهنا بالغدو ـ وهو أوائل النهار: ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أصيل، كما أن الأيمان جمع يمين.

وأما قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾؛ أي: اذكر ربك في نفسك رهبة ورغبة، وبالقول لا جهرًا؛ ولهذا قال: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء ولا جهرًا بليغًا؛ ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**»(٢).

وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (٤/ ١٧٣)، وتعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٧ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٥٣٨).

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه، وسبوا من أنزله، وسبوا من جاء به؛ فأمره الله تعالى ألا يجهر به، لئلا ينال منه المشركون، ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعهم، وليتخذ سبيلًا بين الجهر والإسرار. وكذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية الكريمة وما جاء في معناها تفيد أن السُّنَّة عدم الجهر بالدعاء والذكر؛ بل يكون بين العبد وربه؛ لأنه أكمل في الإخلاص وأتم في الإخلاص وأبعد عن الرياء ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾، يكون الإنسان دائمًا ذكرَ ربه، في بيته، في الطريق، في الدكان، في السيارة، في الطائرة، في أي مكان، تسبيح، وتهليل، وذكر، ودعاء، من غير رفع صوت يشغل به الحاضرين، أو يسبب به مشاكل على الحاضرين، أو يشغلهم عن أمور أخرى، أو يفضي إلى الرياء؛ بل يكون مخافتًا في ذلك، بينه وبين ربه، يضرعه ويدعوه ويذكره كثيرًا بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير إلا ما جاء به النص، إلا ما جاء به النص في الرفع. فما جاء به النص يرفع؛ كالذكر عقب الصلاة، إذا سلم يرفع صوته في الذكر؛ كما قال ابن عباس: (كان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة على عهد النبي ﷺ، قال: **كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته**»، والصحابة سمعوا ذلك من النبي ﷺ، للتعليم، وبكل وقت الناس محتاجين للتعليم، في كل صلاة محتاجين للتعليم، كما احتاجه الأولون يحتاجه الآخرون إلى قيام الساعة، فالناس في حاجة إلى التعليم، فالسُّنَّة رفع الصوت بالذكر في أدبار الصلوات المكتوبات، كما فعله عليه الصلاة والسلام، وليتعلم الجاهل، وليتذكر الناسي. وهكذا في

التلبية، التلبية، يرفع صوته في التلبية؛ لأنه ذكر شرعي كان النبي ﷺ يرفع صوته بالتلبية والصحابة يرفعون أصواتهم؛ ليظهر الشعار العظيم؛ لتذكير الحجاج وتنبيههم، حتى يتذكر الناسي، ويتعلم الجاهل. وهكذا التكبير أيام العيد، في ليلة عيد الفطر وصباح العيد، يرفع الناس أصواتهم بالتكبير. هكذا في عيد الأضحى، في أيام العشر عشر ذي الحجة يكبر الناس ويرفعون أصواتهم بالتكبير تأسيًا بالنبي ﷺ والصحابة، وتذكيرًا للناسي وتعليمًا للجاهل، فالأصل هو الإخفات إلا ما جاء في الشرع الجهر به. وهكذا كانوا في أسفارهم يرفعون أصواتهم بالذكر والدعاء؛ فقال ﷺ: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، اربعوا على أنفسكم**»، يرفع صوته لكن ليس بالجهر الكثير، النبي ﷺ كان يسمعون صوته، كان يذكر الله ويسبح ويقول: سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله، في السفر، ويقول: عند القبول: «**آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»، يسمعه الصحابة ويتأسون به. فهكذا من بعد الصحابة يعمل كعملهم كما سمعوا من النبي عليه الصلاة والسلام، لكن وسط، لا بالجهر الكثير؛ ولهذا قال: (اربعوا)، يعني: ارفقوا على أنفسكم.

**الأسئلة:**

● **س: عفا الله عنك! رفع الصوت في القنوت؟**

○ **الجواب**: والقنوت كذلك؛ لأنه مثل الخطب القنوت تطبع الخطب، خطب الجمعة والأعياد والاستسقاء والمواعظ.

**مداخلة**: وكذلك يا شيخ! قيام الليل والنوافل؟

**الشيخ**: يتخير الإنسان، تارة يجهر وتارة يسر، النبي ﷺ ربما أسر وربما جهر في صلاة الليل في القراءة.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: يعمل ما هو أخشع لقلبه.

• **س: أحسن الله إليك! نقل الصحابة ﷺ، الجهر في ركعتي الطواف، هل هذا يدل على الجهر في؟**

**الشيخ**: نعم؟

**مداخلة**: أقول: الجهر في ركعتي الطواف حينما نقل؟

○ **الجواب**: نعم، جهر النبي ﷺ ليتعلموا ليستفيدوا، هي سرية، لكن جهر النبي ﷺ حتى سمعوه يقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، كما سمعوا من قراءته في سنة المغرب، في الاستفتاح ليتعلموا منه عليه الصلاة والسلام، هو سر ولكن قد يجهر ببعض صلاته بعض الشيء حتى يتعلم الناس؛ ولهذا قال أبو هريرة: يا رسول الله! أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللَّهُمَّ باعد بيني وبين خطاياي، يعني: الاستفتاح، بالسرية.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد زعم ابن جرير وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قبله: أن المراد بهذه الآية: أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة. وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به، ثم المراد بذلك في الصلاة، كما تقدم، أو الصلاة والخطبة، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان، سواء كان سرًّا أو جهرًا، فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه؛ بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال، لئلا يكونوا من الغافلين.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما عند القراءة فهو الإنصات، عند الخطبة الإنصات، ما هو بمعنى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ عند سماع القرآن، لا، ينصت لسماع القرآن، ويسأل عند آية الرحمة ويتعوذ عند آية الوعيد؛ كما في التهجد بالليل.

**مداخلة**: أحسن الله إليك! القراءة مع القارئ في غير الصلاة هل يكون من الإنصات؟

**الشيخ**: لا، ينصت، لا يقرأ معه، هذا ضد المشروع، القراءة معه ضد المشروع، لا، ينصت ولا يقرأ معه.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا مدح الملائكة الذين يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ وإنما ذكرهم بهذا ليتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم.

**قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ذكَّرنا، ذكَّر العباد، يعني: ذكر خبر الملائكة تذكيرًا لنا حتى نتأسى بهم، نعم، عليهم الصلاة والسلام.

● **س: أحسن الله إليك! إتمام الصفوف الأول، لو جاء الإنسان والإمام راكع ووجد هناك صف ثالث والثاني لم يكمل؛ فهل يدرك الثاني ولو فاته الركوع؟**

**الشيخ**: لا، السُّنَّة أنه يكمل الأول فالأول؛ مثل ما أمر النبي ﷺ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**» ﷺ كان يقول لهم عند الإحرام قبل أن يحرم، قبل أن يكبر: «**أَتِمُّوا الصَّفَّ الأَوَّلَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ**»(١)، يتصبر حتى يكمل ولو فاتته الركعة.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: يعمل بالسُّنَّة.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف برقم (٦٧١).

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم.

- **س: حديث: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ»[(١)]؟**

○ **الجواب**: لا بأس به جيد، وهو من أدلة فضل الأيمن، نعم.

**مداخلة**: أحسن الله إليك!

**الشيخ**: نعم.

**مداخلة**: ولو في الحرم؟

**الشيخ**: نعم؟

- **س: ولو في الحرم يتحرَّى الصف الأول؟**

○ **الجواب**: في الحرم قد تفوته الصلاة كلها، الحرم ما في حيلة، الأقرب والله أعلم في الحرم أنه ما يتعين هذا؛ لأن الصفوف متباعدة، قد تفوته الجماعة.

**مداخلة**: إذا كانت آخر ركعة عفا الله عنك!

**الشيخ**: نعم؟

- **س: إذا كانت الركعة الأخيرة، يعني: ...؟**

○ **الجواب**: الأصل هو هذا، يكمل الصف الأول فالأول، هذا هو الأصل؛ كما أمر النبي ﷺ؛ لكن في الحرم قد لا يتيسر هذا.

- **س: أيهما أفضل، الأيسر القريب من الإمام أو البعيد؟**

○ **الجواب**: الأيمن أفضل.

**مداخلة**: نعم؟

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر برقم (٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب إقامة الصفوف برقم (٩٩٥).

**الشيخ**: الميامن أفضل.

**قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا شرع لنا السجود هاهنا لما ذكر سجودهم لله ﷻ، كما جاء في الحديث: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»(١). وهذه أول سجدة في القرآن، مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع. وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ أنه عدَّها في سجدات القرآن(٢).

❋

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [**الأعراف: ٢٠٥**].

قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: الآصَالُ: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ.

فهذه الآية الكريمة تدل على شرعية التسبيح والتحميد والتكبير والذكر صباحًا ومساء البكرة والعشي، والعشي ما بعد الزوال إلى غروب الشمس يقال لها: عشي وأصيل، وقبل الزوال يقال لها: بكرة من طلوع الفجر إلى ما قبل الزوال كله بكرة، والعشي ما بعد الزوال إلى غروب الشمس.

والسُّنَّة للمؤمن الإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير صباحًا ومساء كما أرشد الله إلى البكرة والأصيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكوت في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد وإتمام الصفوف الأول... برقم (٤٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة، باب عن سجود القرآن برقم (١٠٥٦) وضعَّفه البوصيري بسبب وجود عثمان بن زائد وهو ضعيف (مصباح الزجاجة ١/ ٣٥٣).

ﭐذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]؛ فالإنسان مشروع له أن يعتني بالذكر والتسبيح والتحميد والتكبير في أوائل النهار وفي آخر النهار، وفي أول الليل تكون أوقات معمورة بالذكر صباحًا ومساء ليلًا ونهارًا، ومن ذلك يقول: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ أو سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ صباحًا ومساءً، في الصحيحين إذا قالها مائة مرة: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»[(١)]، وفي رواية: «**لَمْ يَجِئْ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَهُنَّ أَوْ زَادَ**». هذه الفضائل في غفران الذنوب وحط الخطايا كلها مقيدة في الأحاديث الأخرى والآيات الدالة على اجتناب الكبائر والحذر من الكبائر.

فالله ﷻ يقول سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١]، ويقول النبي ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[(٢)]. في لفظ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**». والصلوات الخمس فيها من الأذكار، الصيام فيه من الأذكار، الجمعة كلها فيها أذكار؛ لكن لا بد المؤمن يحذر الكبائر والإصرار عليها فإنها من أعظم العوائق لتكفير الذنوب وحط الخطايا، وإِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ:**

---

(١) متفق عليه حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... إلخ برقم (٢٣٣).

**اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النشور»**(١)، يستحب هذا أيضًا كل يوم، ويستحب أيضًا أن يذكر الله مائة مرة كل يوم: لا إلـٰه إلّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، مائة مرّةٍ في كل يوم، وإذا أتى به في الصباح كان ذلك أكمل وأفضل، أخبر النبي ﷺ أنها تكون عدل عشر رقابٍ، وكتبت له مائة حسنةٍ، ومحيت عنه مائة سيّئةٍ، وكانت له حرزًا من الشّيطان يومه ذلك حتّى يمسي، وهكذا التعوذ بكلمات الله التّامّات من شرّ ما خلق، من أسباب السلامة من الشرور يقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(٢).

وفي الحديث أن رجلًا قال: (يا رسول الله ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة)؛ يعني: مِن أذاها قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ**». وفي حديث عثمان رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**»(٣). فالخير كثير؛ ولكن المؤمن ينبغي له أن

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هرير رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٦٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٩١) وحسّنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره برقم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٨٨)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٨٦٩)، والإمام أحمد (١/ ٦٢، ٦٦، ٧٢).

يحرص ويجتهد في فعل الفضائل، فعل الخيرات، والتحرز من السوء بما أرشد إليه النبي ﷺ من الدعوات والأذكار ويرجو ما عند الله، يحسن الظن بالله ويرجو ما عند الله من الخير ويفعل الأسباب من التعوذات والأذكار والاستغفار والتوبة والندم، والإكثار من كل خير والبعد من كل شر مع حسن الظن بالله، ومع الرجاء وعدم الاتكال على العمل، بل يفعل الأسباب ويرجو ربه، يفعل ويرجو ويحذر السيئات ويخاف ربه ﷻ، يكون مع الخوف والرجاء لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾؛ يعني: الرسل زكريا وغيره ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] رغبًا رجاءً، رهبًا خوفًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٠] مع الخوف ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]. هكذا المؤمنون لا يدلون بأعمالهم ولا يأمنون؛ ولكن يحسنون ظنهم بالله رجاءً وخوفًا، رجاءً لفضله وإحسانه وخوفًا من نقمته وغضبه ﷻ.

آخر تفسير سورة الأعراف، ولله الحمد والمنة.



# فهرس الأحاديث

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|

| طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|

# فهرس الموضوعات

| الموضع | الصفحة |
| --- | --- |